ترنيمة عشق

بقلم

حورية عبيدة

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر والمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م

رقم الإيداع	٢٠١٥ / ١٧٣٧٦
الترقيم الدولى	978 – 977 – 776 – 099 - 7

تصميم الغلاف

الفنان حسين جبيل

دار يسطرون للطباعة والنشر – مصر – القاهرة

الجيزة: شارع الملك فيصل – المطبعة – تليفون - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩

obeikandl.com

إهـداء

إلى أجمل ترنيمة عشق..

وأروع دفقة ضياء في عمري..

أولادي: أحمد، والتوأمتين منة وهنا.

حورية عبيدة

obeikandl.com

obeikandl.com

شكر وعرفان

قد يأتي يومٌ أروي فيه قصة كتابي هذا؛ فدوماً للحب والجمال والتضحية والآلام حكايا تستحق أن تُروى.. رداء المحبة والعشق ألقيته على مقالاتي الصحفية والتي جمعتها بين دفتي هذا الكتاب؛ فكانت ترنيمة عشق للحياة والوطن والإنسانية بل ولذاتنا، هي دعوة نروم منها ملامسة مواطن الجمال ومهامسته، نمارس فيها وبها نقدا بناءً ابتغاء الفرار من القبح لننال نصيبنا من الفرح الإنساني الذي نستحقه، موقنين أن الله حين خلقنا أكرمنا فبث فينا من روحه ثم أسجد لنا الملائكة تكريما لعِظم رسالتنا؛ لنعى أن إعمار الكون لا هدمه هو دورنا المحتم في الحياة، وأن تجميله وتحسينه لهو الشأو العظيم الذي يتوجب علينا بلوغه.

حقيقة حروف اللغة تقف حائرة عاجزة عن أن تعبر عن نبل ونقاء المشاعر ورقيها وسموها تلك التي أُحاطني بها أصدقاء وزملاء كرام آويت إليهم فأجادوا عليّ بهبة من الطمأنينة؛ حين تولوا عني عبء ومسؤلية إخراج وتقديم الكتاب في أبهى حلة من غير سوء؛ وأنا بعيدة في أبوظبي – مع أسرتي – أعاني الغربة والحنين الموجع للوطن مذ أمد، فكان المدد الجميل والكريم من ثلة الأصدقاء النبلاء وهم يغدقون عليه من فيض ودهم ورعايتهم فتخاله كتابهم هم.

أهدي شكري واحترامي للفنان الموهوب حسين جبيل مدير التحرير الفني لجريدة الشروق، ولجريدة "المشهد" المصرية التي احتضنت مقالاتي

بين جنباتها ولفرسان الصحافة بها – كُتاب وشباب الصحفيين– الذين لم يتوانوا عن تشجيعي ومؤازرتي، أما دار "يسطرون" للطبع فلها خالص تقديري لجهدها المخلص والمميز.

شكرا لكم جميعا بحجم روعتكم وجميل صنيعكم.. وتحايا تليق بقرائي الكرام الذين طالبوني مرارا بجمع مقالاتي؛ فليتهم يدركون عمق محبتي وصدق مودتي لهم وتقديري لثقتهم في قلمي.

الكاتبة / حورية عبيدة

الجمعة ٢٦ رجب ١٤٣٦هـ

١٥ – ٥ – ٢٠١٥ م

أبوظبي– الإمارات العربية

obeikandl.com

الأولة.. آه يا وطن

في زي قشيب وجمال مهيب وبعقل نجيب ترفل الإمارات هذه الأيام في عرس يستمر شهرا من كل عام يتعانق مع أزهى اوقات السنة مزاجا ألا وهو فصل الخريف الذي يمتد نحو ٣ أشهر في بلد يغوص باقي السنة في صيف رطب حار يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه الى سيارة أو "مول" ذي تكييف.

٤٢ عاما تمر على قيام دولة تحولت من قبائل ترعى الغنم وتصيد البحر يلتفت اهلها يمنة ويسرة فلا يجدون إلا القاهرة قبلة الحضارة والعلم والموضة والجمال.

زايد الخير – رحمه الله– يتقدم الركب ويعلن اتحاد الإمارات السبع ثم يغادر الدنيا تاركا شعبه في حبور وسرور.

أبو ظبي عاصمة البهاء والنور تعيش يوميا مهرجانات واستعراضات من كافة دول العالم لترضي أمزجة ١٣٢ جنسية تحيا على أرض الدولة، بنايات وسيارات وشوارع وهيئات ترتدي ابهى حلة يتنافس فيها المتنافسون على حب الوطن.

شعار الإمارات "نبدأ من حيث انتهى الآخرون" فنقلوا أحدث النظم التعليمية من اليابان واستراليا وسنغافورة والصين وبريطانيا، وفي ميناء جبل علي ينافسون الصين في إعادة التصنيع والتصدير بأرخص الأسعار، ويقيمون المتاحف ليكتبون تاريخا حاضرا لدولة لم تكمل نصف قرن بعد.

مدن للإنتاج الإعلامي ومهرجانات ثقافية ومشافي وفنادق وأسواق تجارية متكاملة مغلقة مكيفة تروج للسياحة فيتقاطر السياح من كل حدب وصوب يعلنون تضامنهم مع أجهزة التكييف التي تتحدى مناخ يصل في كثير من الأوقات إلى ٦٠ درجة مئوية.

شوارع وشرطة صديقة للمواطن والوافد تستقبلك بالورود والابتسامات والملصقات التوعوية يزرعون بينك وبينهم ودا جميلا، وطوابير تعشق الانتظار فيها لهدوئها وانتظامها وأنت تحتسي قهوتك مع التمر عنوانا للضيافة العربية.

نتفق أو نختلف سياسيا مع الدولة.. ولكن سنتفق على طيبة شعبها وتدينه وحبه للخير والعمل التطوعي وعشقه للمصريين تحديدا وإجادتهم للهجتنا تماما يتكلمونها إذا أرادوا الدلع في الكلام معتبرين أن المصريين هم الأقرب لطيبة قلوبهم.

يعشقون السياحة والترحال وجهتهم آسيا وتركيا وأوروبا فتشعر "بغصة في الحلق" فقد كانت قاهرتنا حلمهم الأول منذ سنوات ليست بالبعيدة ليروا عندنا أعجوبة الدنيا حينذاك ألا وهو "الأسانسير"!! ويتغنون ببلدهم الذي لا يعيشون فيه بل يعيش فيهم فتتذكر أنها مقولة فكري مكرم عبيد.. فتشعر "بغصة ثانية" ولكن نقول لا مانع من تقليد الحب.

يلقبون أبو ظبي "بالمحروسة" وهنا لا مجال لغصة ثالثة بل يعتصر الألم قلبك على المحروسة "الأصل" والتي كنا نظنها غير قابلة للتقليد.

قولا وفعلا.. سرا وجهرا من يقيم على أرض هذه الدولة الشابة الفتية يحبها والتي نجحت في تربية الأمزجة على التعايش مع كافة الجنسيات

بمعتقداتها السماوية والوضعية فصنعت لوحة من الفسيفساء ندر أن ترى مثلها.

حين تنظر لفسيفسائهم ترى بجوارها لوحة متوهجة بلون الهلال الأحمر لجمع تبرعات لبلدك.. فتنكس رأسك في الأرض معلنا أنك لست المصري المقصود.

آه على وطن يمتلك الحضارة والعقول والإرادة والشعر والمناخ والموقع والمساحة والتسامح وكل أغاني الحب حين ينسحب البساط من تحت أقدام عاجزة أبصارها وأسماعها وعقولها..

فمتى تتألق يا وطني لأنك تستحق؟!

obeikandl.com

احنا شعب وانتوا شعب

حين يلتقي مصريان خارج الوطن يريدان أن يتعارفا يكون السؤال دائما: من أي المحافظات أنت؟ أما الآن فقد تحول السؤال ليصبح: أي الفريقين أنت؟ أدرك وقتها أنهما لم يعرفا نفسيهما جيدا.

لم يعرفا أن المصري بفطرته.. اهتدى لخالق الأكوان فشيد المعابد وأقام التماثيل ونحت الصخر واستعد ليوم الحساب وادخر لآخرته ما يعتاش منه معلنا حبه للحياة الأولى مدركا أن الآخرة هي الحيوان.

بعزيمته.. دانت له الصخور والصحاري والجبال والقيعان وتفجرت ينابيعه فزرع وحصد ومكث وأنشأ حضارات لا تلين إلا لسلطان لا يلين.

بتسامحه.. استقبل فاتحين وزائرين وغازين وحاقدين وطامعين فخلع عليهم مسوحه فعشقوه إنسانا ووطنا وفنا وذوقا فسكنوه ولم يغادروه.

بعبقريته.. نحت الصخر وغرس الزرع وشق النهر ونظر في الفلك وحنط الجسد يبغي خلودا في الزمان والمكان.

لتدينه.. دعا له نوح أطول الأنبياء عمرا ولأرضه المباركة أم البلاد وغوث العباد ولنيلها الفياض ذي البركات، وأمَن عليه الصديق يوسف لتكون طوبى وأمنا لكل الغرباء.

بذكائه.. أوقد في الظلمات نبراس العلم والفكر والخط والفن والأدب وقت أن كان العالم يرتع في الجهل.

لتكريمه.. سعت العصا واحتمت العذراء وتجلي ربك لكليمه وانشق البحر وانبجثت العيون وسجدت الكواكب والشمس والقمر واستعلى غريق الجب لكرسي العرش وسكن الخليل لأليفه الولود الودود وأهدى للمصطفى وجها حسنا وملبسا حريريا وعسلا شافيا.

لمزاجه.. تدللت الكلمات وعزفت الألحان وانسابت الأشعار وتجملت الفنون وأبدعت المتون فغنت وطربت لترانيمه أطيارالأكوان.

بجاذبيته.. أتاه الاسكندرالمقدوني فغزا قلبه الحسن وتربع ملكا عليه وعلى بلاده البعيده.

بحبه..مزج دماءه بدماء معتقة إفريقية وأسيوية..يونانية ورومانية.. عربية وألبانية.. شركسية وأوربية.. فهيهات هيهات لمن أراد فصل هذا المزيج.

بكرمه.. سقي نيله العطاشى ولما اشتد ظمؤهم أبوا أن يفارقوه ونسجوا منه مواويل للعاشقين.

بقناعاته.. يتصالح دائما مع نفسه ومع الوجود كله، مع عطاء رب السماء فينام قرير العين راضيا مرضيا يعلم أنه لن يكون نسيا منسيا.

ترى هل ذلك المصري ذو الوصفة السحرية العصية قادر أحد على أن يقسمه لجزئين اثنين؟ وكيف يقسم جسدا يسري فيه شريان دم واحد سقياه من نيل واحد ؟

يا دعاة الانقسام أنتم فتنة كل الأعصار، حاولوا ثم حاولوا فسوف نرمكم بحجر.إن تحاولوا فذلك نتاج جهلاء لم يقرؤا سيد عويس ولا جمال حمدان.

"إحنا شعب.. وإنتوا شعب" بئست النغمة الشاذة والكلمة الخبيثة واللحن الفاسد الذي يعزف على..آهات وطن.

التسامح..الفريضة الغائبة

"إننا نقتل أنفسنا عندما تضيق خياراتنا في الحياة" عبارة تستحق الكثير من التأمل.. قائلها هو الزعيم الإفريقي نيلسون مانديللا الذي غادر الدنيا أول أمس عن عمر يناهز الخامسة والتسعين عاما قضى معظمها مناضلا ثوريا ضد نظام الفصل العنصري في بلاده دولة جنوب إفريقيا.

"أبو الأمة" وهذا وصفه أمضى نحو سبعة وعشرين عاما في السجن لتمسكه بأفكاره الداعية للحرية والمساواة في دولة كانت مضرب المثل في العنصرية والتي ترجمت ذلك باهتمامه بالتخريب والتآمر وقلب نظام الحكم.. ونتيجة للضغوط الدولية ووسط حرب أهلية متنامية في البلاد أطلق سراحه ليواصل رحلته النضالية الجديدة للتسامح والتعايش مع الآخر ومحاربة الفقر والدعوة للمصالحة العرقية وتشكيل حكومة وحدة وطنية والتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان.

كللت جهود نيلسون مانديللا بتوليه منصب رئيس الدولة مدة خمس سنوات وحصوله على نحو مئتين وخمسين جائزة دولية منها نوبل للسلام ١٩٩٣ وميداليات وأوسمة عديدة وتمتع باحترام كبير في العالم عامة وفي وطنه خاصة.

الحقيقة أنني هنا لست بصدد سرد حياة هذا الزعيم ــ الذي يستحق ولاشك ــ ولكنني أعجب بمسيرة حياته التي جعلت الإنسان محور اهتمامه ومبلغ تقديره وعنايته باعتباره الركيزة الأساسية وحجر الأساس في بناء

الأوطان. وكانت من أهم حقوق الإنسان التي دافع عنها هي الحرية والذي كان يؤكد مرارا على أن الحرية لا يمكن أن تعطي على جرعات.. فالمرء إما أن يكون حرا أو لا يكون. ولا يعتقد أحد أن طريق هذا الزعيم كان مفروشا بالرياحين بل ناله من التحقير والسجن والنفي مالم ينله زعيم سياسي غيره. لكنه كان يرى أن العظمة في هذه الحياة ليست في التعثر ولكن في القيام بعد كل مرة نتعثر فيها.

أقول هذا وعيني على وطني الذي تهان فيها الحريات والكرامة وقيمة الإنسان التي كرمه الله فنفخ فيه من روحه وأمر بعض خلقه بالسجود له والبعض الآخر مسخرة له.. وأهملت مشاكل المواطن الأساسية من مأكل ومشرب وملبس وأمور حياتية ضرورية، وتم تكريس الوقت والطاقات والأموال ووسائل الإعلام لعبادة الوثن الواحد والعزف على روح الانقسام والإقصاء.

وافتقدت وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية أصول العمل الإعلامي وآدبياته وانتهكت مواثيقه وحرماته فنراها ليل نهار تنافق وتداهن وتمجد بطولات وهمية وتصنع من البلاطجة شرفاء ومن القتلة أنبياء ومن الشرفاء غرباء وتزيف تاريخ حاضر أمام أعيننا توهمنا أنه سراب وتبدد مكاسب فتحولها هباء منثورا وتغيب عقولا مستخدمة اساليب ومصطلحات تحط من كرامة المصري وتوزع ببزخ شديد ألقابا كالعمالة والخيانة والإرهاب لمجرد اختلاف الأراء.. وكأنهم أرادوا غير الحكمة الإلهية القاضية باختلاف الناس بل وإقرار العدل مع المخالفين والمعارضين "ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى". انفرد

ديننا بالتسامح مع المخالفين والتركيز على الجوامع المشتركة التي تقرب ولا تباعد وليس على نقاط التمايز والاختلاف. ومع ذلك نجد من يحرص على شق الصف وتعميق الشرخ وجر البلاد لأتون تناحر لن يبقي ولن يذر.

لماذا تسخر كل الإمكانات والقدرات والطاقات والفضائيات لتعميق وترسيخ الضغائن والأحقاد ولم نسمع عمن سعى لبذل الجهود وإعلاء لقيم التسامح والمصالحة والتآلف حتى يعم السلام البلاد والعباد؟ أين المفكرون والمبدعون والسياسيون وعلماء الاجتماع والشرفاء الحقيقيون ليزيحوا الستار عن المعدن الحقيقي للمصري وإرادته وعزيمته بل وجبروته في التحدي وتخطي المحن وإبراز ما يمتاز به من قيم التسامح وأخلاقياته في الحفاظ على وطنه وقيمه كوعاء يحتويه وينتمي إليه.

ولن يكون ذلك إلا بجعل المواطن المحور والجوهر والهدف ولب الاهتمام.. نريد ترتيبا للأولويات يا سادة.. والإعلام يمتلك الأدوات والتأثير لكنه يفتقر إلى بوصلة الرشاد والتوجيه.. ولذلك لا نسمع منه غير معزوفة واحدة لمن يريد أن يغني ويرقص على جثة وطن.

من النيل.. إلى الفرات

يستغرقنا المشهد المصري طويلا وكثيرا بفعل مؤامرات داخلية وخارجية تعبث في الداخل لنظل في حال انشغال دائم عما يحدث في أراضينا العربية المحتلة والمسجد الأقصى أولي القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم.

فهدم الأماكن الأثرية مسلسل لا ينتهي واقتحام المسجد وتدنيسه وحفريات الهيكل المزعوم وإقامة المستوطنات التي تؤمن بسياسة تغيير "الأرض" الواقع.. والتخطيط لإنشاء "كانتونات" سكنية لتقطيع أوصال الضفة الغربية وإنشاء عوازل بينها للفصل بين الشعب الواحد حتى لايتعايش حتى مع نفسه.. والمحميات الطبيعية يتم نزع صفتها عنها وبناء آلاف المستوطنات على أراضيها.. وإلى تفيق الدول العربية تحديدا مصر وسوريا والعراق سنستيقظ ولاشك على كابوس ضياع كامل للدولة الفلسطينية وليس الأقصى فقط.

ولأن الأقصى يتغلغل في وعي المسلم ووجدانه وتاريخ الذات الإسلامية فيجدر بنا الإشارة إلى أنه كان بؤرة سلام وتعايش بين الأديان السماوية الثلاث.وقد شهد لحظتين كاريثيتين هما اللحظة الصليبية المندثرة والصهيونية المعاصرة.. وكلتا الهويتين الصليبية واليهودية لا تؤكدان نفسيهما إلا من خلال تدمير الوجود الإسلامي وهدم التاريخ العربي وتغيير الشخصية "القدسية" تغييرا كاملا.

فقد اعتمدت عقيدة الصليبين على نفي الآخر وذّلك بالمذابح المروعة التي راح ضحيتها ٧٠ ألف مسلم وجمعهم لليهود والمسيحيين في بعض الكنائس وحرقها بمن فيها.. يقول بعض الشهود الصليبين "أنه كان بالإمكان رؤية أكوام الجثث والرؤوس والأيدي والأرجل والدماء تصل لركب الخيول" وكان ذلك ليلة الاحتفال بأعياد السيد المسيح!! ثم حرقوا جميع الجثث حتى يتسنى لهم السير في طريقهم للأماكن المقدسة ومع ذلك ظلت آلاف الجثث بشوارع المدينة طيلة خمسة أشهر حتى تحللت وفاحت الروائح النتنة.

لماذا نسرد التاريخ الصليبي الأسود؟ الحقيقة أن التاريخ يكاد يعيد نفسه فإذا نظرنا لأهداف الصليبين وجدناها تحركها وازع ديني باعتبارها حربا مقدسة تقربا للرب.. تماما مثلما يردد حاخامات يهود بأن قتل العربي هو كذلك قربى للرب وكما استبعد الصليبيون التعايش مع الآخر وقتلوا وهجروا المسلمين والمسيحيين ومنعوهم من دخول مقدساتهم وإتلاف مئة ألف من الكتب والمجلدات وتحويل الحرم القدسي إلى مراحيض أو مخازن أسلحة أو قاعدة حربية أو اصطبلات لخيولهم ومحلات خمور وتغيير المسميات الإسلامية والعربية.. تماما نجد الأفاعيل الصهيونية اليوم تقريبا تسير على نفس المنوال بفارق واحد هو التهويد لكل ماهو إسلامي أو مسيحي.

لقد تحولت المرحلة الصليبية إلى لحظة تاريخية بينما المرحلة الصهيونية مازالت مستمرة بكل مفعولاتها الكاريثية.. ورغم كثرة الحديث حول حل الدولتين والذي قبله الكثيرون على مضض واعتبارالقدس الشرقية عاصمة

للدولة الفلسطينية المنتظرة والذي أيدته بعض دول العالم إلا أننا نسمع تصريحا لوزير خارجية الكيان الصهيوني يرفض هذا الحل حتى لو تم نزع سلاح الدولة الفلسطينية بشكل كامل!! وأضاف أن المفاوضات مع الجانب الفلسطيني من غير المرجح أن تفضي إلى نتيجة خلال التسعة أشهر وأن الثقة معدومة ين الطرفين.

ومن جانبها ذكرت صحيفة "هاأرتس" أن ٥ لقاءات تفاوضية في القدس المحتلة وأريحا لم تكن إلا فرصة للفلسطينيين للتنفيس عن غضبهم وأن حل إقامة دولتين مجرد خيال. وجاء ذلك بالتزامن مع تصريحات صائب عريقاتالتي قال فيه أن الرئيس الأمريكي حذره من تقديم طلب رسمي للانضمام للمنظمات الدولية للضغط على إسرائيل وإلا فإن ذلك يعني تخطي الخطوط الحمراء وتهديد مصالح أمريكا بالمنطقة !!

إذا لاحل باسترجاع الأراضي العربية المحتلة. ولاحل بإقامة دولتين. ولاسبيل للجوء للمنظمات الدولية. وتهويد القدس مستمر وسياسة تكسير العظم الفلسطيني متواصلة.وإضعاف حماس وأذرع المقاومة يسير على قدم وساق.. إذا ليس غريبا أن نشاهد القنوات الصهيونية تحديدا هذه الأيام تتكلم عن "دولة إسرائيل الكبرى" ولم لا؟ فالعراق قسمت لمصالح الأمريكان وربيبتها وإيران. وسوريا يحاك لها سيناريو لإعادة ترتيبها طبقا لنفس أجندة تلك الدول، ومصر فالمشهد فيها غني عن البيان ولا يحتاج لكثيرمن الكلام. بعد فقدها القدرة على التأثير على الساحة الإقليمية والدولية أما باقي دولنا العربية والإسلامية فلا تستحق أن تحدث عنها أبدا.

"من النيل إلى الفرات" حلم صهيوني.. كابوس عربي أوشك أن يتحقق.

كفانا قبحا

في زيارتي لتركيا حرصت على جولة في حواريها ومناطقها شديدة الفقر رأيت شوارعا بالغة الضيق شحاذوها ينتشرون في كل مكان بلا تطفل أو تبجح وشاهدت بيوتا لم تتعد مساحتها ٤٠ مترا مقسمة بطريقة تفي بأغراض المعيشة أصحابها ودودون بشوشون يرتدون ملابسا مبهجة ألوانها شرفاتهم ونوافذهم متألقة بالزهور والخضرة تطل على طرقات تتباهى بنظافتها فتعجبت كيف لسيارة جمع القمامة أن تمر في مثل هذا الضيق؟ زال العجب حين رأيت الفتيات تقمن بتنظيف محيط بيوتهن من الخارج ثم يجمعنه في سلال مخصصة يحملنها لأقرب ميدان في ساعة محددة لتأتي سيارة مخصصة تستلمها لتلقي بها في أفرانها لإعادة تدويرها مقابل مبلغ مالي زهيد يدفعه السكان أنفسهم بدون تدخل الحكومة بل وتتنافس الأحياء في عمليات التشجير والتجميل على أسطح المنازل والحوائط الخارجية حتى ليخيل لك أنك تسير داخل لوحة لمنظر طبيعي رسمت بعناية فائقة.

في الأسبوع الماضي خصص يوم أعتبره لتأبين اللغة العربية لا للاحتفال به.. لغة الضاد الشريفة الثرية بمفرداتها الغنية بمعانيها المتفردة بجمال خطها الأبية العصية على من يتعلمها إلا من يعشقها لينال سرها ودرها وبهائها الذي يليق بها.. شرفها المولى سبحانه وضيعها أهلوها، استصعبوها وحقروها ولاكوا بألسنتهم لغات تحمل ثقافات مغايرة إحساسا بالدونية والعيب فيهم

لا فيها، ويظل الشاكون المتباكون عليها ماهم بفاعلين شيئا ولا بطارحين سهلا يعيدها ويروض أبناءها على حبها.

حين تكون تعيس الحظ فلابد وأنك قد بدأت حوارا مع من يصدمك بأحكام مسبقة ونتائج مستلهمة عن رأيك ومعتقدك وقناعتك الباطنة حتى قبل أن تتفوه! وما عليك إلا أن تذعن اتقاء لعصبيته التي بدأت تلوح في الأفق! أناس نصبوا أنفسهم جلادين وقضاة وعشماويين والثبور وعظائم الأمور تنتظرك إن لم توافقهم الرأي وإلا فالعداوة والخيانة والعمالة صفات تلاحقك لا مراء، فقط مسموح لك إما أن تكون معه وإلا فبالضرورة أنت عدوه! فإذا قلت أن المزاج المصري وسطي وديننا وسطي وأنك ترغب في حل وسطي يلم الفرقاء وتبغي قائدا جامعا لشتات أمة بروح التسامح والتصالح تفاجأ باتهام جديد سابق التجهيز بأنك تمارس التقية في التخفي والمواراة! وكأن هدفا حدد سابقا بأن نعادي أنفسنا كي ننسي عدونا الحقيقي.

ترى هل هناك رابط بين فقرات المقال الثلاث؟ حقيقة أراها ترتبط برباط فقداننا لثقافة الجمال وفلسفته والإحساس به، فحواري تركيا وساكنوها وشحاذوها لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها المصرية لكن الفارق أنهم شعب محب للحياة يحس الجمال ويعيشه مهما ثقلت المتاعب الاقتصادية، يرون الجمال في نظافة شارع وغرس زهرة ونبتة خضرة وتغريدة عصفور على شجرة هم زارعوها.. أما إهمالنا للغتنا فهو جهل بهويتنا وقيمتها وجمالها وشرف الانتساب لها والتباهي والتماهي مع ثقافات قبيحة أحب أهلها لغتها فتجملوا في أعيننا نحن فقط.. أما حوارنا مع بعضنا بعضا فنفتقد فيه

نفوسا جميلة إذا تحاورت فبالحسنى وإذا أخطأت فبحياء وإذا أقنعت تبسمت وإذا سألت تأدبت.. آداب الحوار والاختلاف يا سادة نفتقدها بشدة مع أن الرفق إذا دخل في شئ زانه وإذا خلا منه شانه.

لقد كان الهادي البشير يرى الجمال على بساطته في ملبس نظيف ومظهر حسن وتبسم وجه ومسحة رأس يتيم ودعابة لسان ورقة قلب تجمع..

"كن جميلا تجد الوجود جميلا" كفانا نشرا لثقافة القبح.

obeikandl.com

نشكر.. إنسانيتكم

الرابع من يناير من كل عام وعلى مدى سبع سنوات موعدهم مع الإنسانية.. مدينة دبي التي احتلت مكانة دولية مرموقة وصارت مقصدا للملايين من سكان العالم استثمارا وسياحة أصبحت عنوانا إنسانيا بارزا لمبادرات الشكر والإحسان لكل من خدم البلد مخلصا مواطنا كان أم وافدا لا يفرقون بين أحد منهم أبدا.

الرابع من يناير هو "يوم الجلوس" الذي تولى فيه سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم مقاليد الحكم في دبي، حيث حفلت سنوات حكمه السبع بحملات ومبادرات إنسانية هدفها دعم تواصل الفرد بالمجتمع ونشر مظاهر الرحمة والتعاطف بين فئات الشعب الإماراتي، ويرفض تخصيص آية فعاليات أو مظاهر احتفالية بل طالب بتوجيه الاهتمامات والإنفاقات لفئات مهمة في المجتمع تحتاج للتقدير والشكر.. والانتباه.

وهذا العام تمت الدعوة للاحتفال بفئات الخدمات الأساسية العامة كعمال النظافة والبناء وسائقي المواصلات العامة ومنسقي الحدائق وخدم المنازل.... في حملة عنوانها "شكرا لكم" وأوضح في دعوته أن هذه الفئات لها دور حيوي في نهضة البلاد ويستحقون كل الشكر والثناء على جهودهم "ونريد الاحتفاء بهم لنعرفهم أن خدماتهم تجعل الحياة أسهل وأفضل وأجمل" كما قال.

و في كلمة له بهذه المناسبة أشار إلى أن العطف على هذه الفئات والإحسان إليها وشكرهم لا يعبر عن قيم التراحم في المجتمع فقط وإنما عن قيم إسلامية أصيلة ومبادئ حضارية تعلي من قيمة الإحسان لكل من يقدم لنا خدماته، ودعا إلى ضرورة تقديم هدايا رمزية لهم ونشر صورهم على حسابه الشخصي "تويتر" وأنه سيكون أول البادئين بإهدائهم وتكريمهم.

ويعد حاكم دبي ضمن أكثر ١٠ زعماء في العالم حضورا على مواقع الاتصال الاجتماعي تتويجا لمبادراته التي تلمس هموم المواطنين ومراعاتها على أرض الواقع اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، ويحظى حسابه الشخصي بمتابعة نحو مليون ونصف متصفح واختير كأكثر شخصية قيادية عربية تتعامل مع الجمهور ويشاركهم مناسباتهم.

وكان على مدار السنوات السبع الماضية قد تبنى مبادرات عدة.. منها "دبي العطاء" لتعليم ملايين الأطفال حول العالم، و"نور دبي" لعلاج عيون الفقراء في إفريقيا وأسيا، و"كسوة مليون طفل" في البلدان التي تعرضت للكوارث الطبيعية، و"ازرع شجرة" للحفاظ على البيئة، و"مجتمعي" وبها تم تحويل دبي لمدينة صديقة لذوي الحالات الخاصة وتذليل كافة الصعوبات أمامهم في مجال العمل والطرق والمواصلات وتخصيص خط ساخن لحل مشاكلهم ونشر لغة الإشارة للتواصل معهم.

في تهذيب النفوس

بكلمات معدودات وأسطر قليلات وأسلوب أخاذ نفاذ.. أنقل لكم كلمات أشبه بدستور يهتدي به العقلاء لتهذيب النفس البشرية حتى يصعد الرقي الإنساني إلى عليائه.. فقد تعبنا من ملاحقة الأحداث الجارية التي تلاحقنا هي بدورها ورأيت مناشدة الهدوء للأرواح والنفوس فاستقيت لكم كلمات لابن حزم الأندلسي القرطبي في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق.

*احرص على أن توصف بسلامة الجانب وتحفظ على أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفظون منك.

*وطن نفسك على ما تكره يقل همك إذا أتاك.

*صبرك عمن يقدر عليك ولا تقدر عليه ذل ومهانة، وصبرك عمن تقدر عليه ولا يقدر عليك فضل وبر، وصبرك عمن لا تقدر عليه ولا يقدر عليك فضل وفرض.

*من جالس الناس لم يعدم هما يؤلم نفسه وإثما يندم عليه وغيظا ينضج كبده وذلا ينكس همته..فاجعل الناس كالنار تدفأ بها ولا تخالطهم.

*الوجع والفقر والنكبة والخوف لا يحس أذاها إلا من كان فيها فاستمع منهم ولا تسمع عنهم.

*لا شيئ أضر على السلطان من كثرة المتفرغين حوله، فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه وإن لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه.

*من قبيح الظلم الإنكار على من أكثر الإساءة إذا أحسن في الندرة.

*العتاب للصديق كالسبك للسبيكة فإما تصفو وإما تطير.

*من عجائب الدنيا قوم غلبت عليهم آمال فاسدة لا يحصلون منها إلا على إتعاب النفس عاجلا.. أو آجلا.

*كلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلا.

*إن آعجبت بعقلك ففكر في كل فكرة سوء تمر بخاطرك تعلم حينئذ نقصان عقلك، وإن أعجبت بأرائك فتفكر في سقطاتك، وإن أعجبت بنفسك ففكر بعيوبك لو ظهرت إلى الناس.

*التعسف في أمر الرقيق والرعية يدلان على خساسة النفس ودناءة الهمة وضعف العقل لأن العاقل رفيع النفس إنما يغالب الأكفاء والنظراء، ومن يستطل على من هو أقل منه قوة فهو بمنزلة من يتبجح بقتل جرذ أو بعقر برغوث وحسبه بهذه ضعة وخساسة.

تخلفنا.. يشغلهم !!

أقسم الامبراطور إبان الثورة اليابانية أن يكون هدف عهده تحصيل المعرفة حيثما وجدها في أي مكان ولم يحث بالقسم، ونحن في عالمنا العربي والإسلامي نمتلك ما يربو على ألف مركز وأكاديمية للبحث العلمي ونحو ستمائة جامعة ومعهدا متخصصا ولا نزال ندرج ضمن العالم المتخلف علميا وتقنيا.

المدهش أن ظاهرة تخلفنا لم تشغلنا (!!) بقدر ما شغلت الغربيين فأبدعوا لها نظريات تقدم تفسيرات متباينة منها العرق والمناخ والإسلام نفسه كدين! حين يرون أن النفس السامية (نحن) فطرت على التوحيد تدينا وعلى البساطة في المعرفة والفن والمدنية، في حين أن الجنس الآري (هم) فطرت عقيدته على الانسجام مع من حولها من معطيات لذا كان لها أن ترتقي وتتسيد وتمتلك قيم المعرفة والحضارة، وطبقا لعلم نفس الأجناس أو الأنثروبولوجيا (هم واضعوه) قرروا أن الجنس السامي أقل من الآري موهبة وقدرة وذكاء، وأن العقل العربي لا يدرك إلا المفردات، وأن المعرفة الإسلامية مجرد محاكاة وتقليد لفلاسفة الإغريق وضرب من التكرار لآراء وأفكار يونانية، وأن هذا العقل يفتقد عبقرية المكان بسبب ظروف البيئة المتقلبة القاسية المناخ التي جعلت العقلية العربية عقلية صحراوية تنتقل من الضد إلى النقيض ومن الرحمة إلى القسوة ومن السخاء إلى البخل، ولا تستطيع أن تجمع العلوم وتقارن وتركب وتصل بين الأضداد، وأن ما يبرع

فيه العرب فقط الانشغال دائما بالماضي والبكاء على الآثار وعدم الاكتراث بالحاضر والمستقبل.

والحقيقة أن رؤية الغربيين لنا مردها عنصرية ألفناهم عليها وأجادوها بمهارة نعهدها فيهم لا تحتاج تجلية، لكن الأنكد أن نجد أنفسنا نحن لا نمتلك ردا على ما يدعونه بسبب قصور مناهج وآليات العملية التعليمية والبحث العلمي، فمن منا يعلم أن الحسن الهمذاني سبق نيوتن واكتشف الجاذبية في كتابه (الجوهرتان العتيقتان) وأن الرازي في كتابه (المباحث الشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات) والبغدادي وابن سينا هم أول من اكتشفوا قوانين الحركة قبل نيوتن كذلك، وآن المسلمين أول من برع في علوم الفلك والفزياء والكيمياء والرياضيات بدافع عقيدي لأداء العبادات لارتباطها بالشهور القمرية واتجاه القبلة فتطلب ذلك منهم استخدام مناهج البحث العلمي لسبر أغوار الأفلاك وعلاقتها بالأهلة بزوغا وأفولا، ومن هنا كانت العلوم الشرعية التي تعني بفهم القرءان الكريم وكيف أنه طوف في أركان الكون وحث أصحاب العقول الراجحة على البحث والتأمل في ظواهره والوقوف على قوانينه وطبيعتها والإفادة منها في إعمار الحياة على الأرض التي هي هدف الخليقة.

لقد وعى المسلمون الأوائل الدرس.. فهل نعي نحن ذلك الإرث الحضاري وندرك أننا أمة تمثل ربع سكان العالم وتشغل ربع مساحة اليابسة في موقع يمتاز بسهولة الاتصال وتمتلك ثروات وتكاملا تضاريسيا ومناخيا ومصادر مياه متنوعة وثلاث أرباع نفط العالم وربع احتياطي الفحم ومواد معدنية

ومشعة ومصادرعديدة للطاقة.. وعقول بشرية نابهة وقيم إنسانية سامية ونفوس للمجد سامقة ؟

إن هذه الإمكانات المادية والبشرية لن تؤتي ثمارها دون بعث المقومات المعنوية والروحية كي تؤمن الأمة بكل مشاعرها ووجدانها بدور العلم بنية ومنهاجا وأسلوب حياة، وحتى نلهب حماس الشباب خاصة ليكسبوا التأهيل العلمي المناسب لتجتاز الأمة تخلفها وتدرك أن طلب العلم من المهد إلى اللحد، وإذا كان هناك من يضعف الحديث الداعي لطلب العلم ولو في الصين.. أقول إذا اطلبوه ولو في اليابان وتمنوا معه ذلك الامبراطور غير الحانث في يمينه.

obeikandl.com

الخاطبة

قررت أشتغل خاطبة.. هكذا سولت لي نفسي الأمارة حين طلبت مني إحدى صديقاتي عروسا لأخيها وبسرعة البرق هداني عقلي لإبنة صديقتي الأخرى واطمأن قلبي وقلت نعمّا هي تلك الزيجة لتقارب المستوى الاجتماعي والثقافي بين العروسين وأثنيت على فراستي وسعيت سعيا حميما لتوفيق رأسين في الحلال،وتعجبت ممن يزعم أن المشي في الجنازة مقدم على المشي في الجوازة ولبست مسوح التقوى أدعو ربي أن يجعلها صدقة جارية لي يوم العرض عليه.

بدأت مجهوداتي تؤتي أكلها وأوشك اللقاء الصالوني أن يسفر عن فوز مبين في أولى خطواتي كخاطبة وقبل أن أنتشي وينتفش ريشي صك أذني سؤال مفاجئ من حيث لا أحتسب من أهل العروس حول اتجاهات العريس السياسية! طبعا قلت أضغاث أحلام وأن رأسي تحتاج إلى فرمطة كالحاسوب من كثرة مشاهدة التلفاز ولكن بعد إعادة السؤال تأكدت أني في علم ولست في حلم،طبعا كان السؤال تتمة للعبقرية المصرية التي أكدت لنا أننا شعبان في وطن واحد ولفرط سذاجتي كنت أحسبنا شعبا واحدا منسجما منذ آلاف السنين وطبعا فشلت الزيجة لأن العروسين من شعبين مختلفين.

على سبيل التندر والسخرية قررت نشر ما حدث على موقع التواصل الاجتماعي لأشرك أصدقائي الإعلاميين الضحك على هذه المأساة الملهاة،

فإذا بي أتلقى سيلا من التعليقات الصادمة.. الأول رفض أن يجتمع "الشامي مع المغربي" والثاني يؤكد أنه رفض عريسا لابنته لأنه من أنصار عكاشة والثالث رفض عريسا مؤيدا لحزب النور والرابع يلقي اللوم على "عام الكراهية" الذي حكم فيه الإخوان وتسببوا في تقسيمة الشعبين والخامس يعيش بلندن أشار إلى أن تسطيح العقول بهذه الطريقة يعود لفترة حكم مبارك التي قضى فيها على عقول المصريين وسادسة شكت من وقف حال بناتها لأن العرسان ليسوا من نفس الشعب وسابع أعلن رفضه القاطع للتوفيق بين من أيد التفويض ومن رفضه، وسخرأحدهما من أن الزواج المختلفي الاتجاهات لن يؤدي إلى إنجاب الصبيان والبنات وإنما إلى حشد مليونيات ومظاهرات واستخدام الملوتوفات والخرطوشات،وآخر أشار لتلك الزوجة التي أخذت أبناءها وتركت بيت الزوجية تطلب طلاقا بائنا لا رجعة فيه.

تفاجأت بالردود فطلبت الحلول وبعبقرية مصرية ساخرة لا مثيل لها كالعادة طالب أحدهم بضرورة إتمام الزيجة بين الشعبين في الأمم المتحدة وأخرى ناشدت الأزهر بعقد زواج مدني كالذي يحدث بين الطوائف المختلفة دينيا وثالث نادى بفتح مكاتب خاطبة متخصصة واحد يحمل لافتة لزواج الفلول والآخر لزواج الثوريين ورابعة قدمت لنا إعلانا مبتكرا مكتوبا فيه " فلان الفلاني/ أعزب/ موظف/ لديه شقة/ وليست لديه ميول سياسية ".. وقبل أن يتسرب الإحباط لنفسي وأعتزل المهنة قبل مزاولتها بشرني أحد الأصدقاء بأن الحل يكمن في مكتب يحمل لافتة "زواج المتحولين" معلقا بقوله "ما أسرع التحول في المواقف هذه الأيام".

هالني ردود الإعلاميين الذين يصرون على الرفض التام لعودة اللحمة بين أبناء الوطن الواحد وأدركت أننا بحاجة لجهود ليست هينة من علماء الاجتماع والدين والمثقفين المخلصين لعلاج التشوهات التي أصابت الشخصية المصرية وجعلتها خربة وأبرزت أسوأ ما فيها وتباهت به! أية رسالة إعلامية يقدمها إعلامنا إلا عدم الرغبة في رأب الصدع ومزيد من الشرخ وتعميق للجرح واستمرار للترف،وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على نفوس نسيت أن الوطن كالإنسان حين يخرج من الجنة (شعب ووطن واحد) فكل الطرق أمامه تقوده إلى جهنم حتما.

obeikandl.com

وطننا عشقنا

أصبحنا.. "بلاد تجيد كتابة شعر المراثي.. وتمتد بين البكاء والبكاء.. بلاد بكعب الحذاء تدار.. فلا من حكيم.. ولا من نبي.. ولا من كتاب.. بلاد بها الشعب يأخذ شكل الذباب.. بلاد تعد حقائبها للرحيل وليس هناك رصيف.. ولو موتنا كان من أجل أمر عظيم لكنا ذهبنا إلى موتنا ضاحكين.. ولكنهم قرروا أن نموت ليبقى النظام.. وأخوال النظام.. وتبقى تماثيل مصنوعة من عجين.."

لم أجد أبلغ من شعر نزار قباني معبرا عن مسلسل الرعب الذي بدأ الوطن يحيا حلقاته ويبدو أنه يأبى أن ينتهي عاجلا، وكأننا نريد أن نصبح مواطنين بلا وطن وأن نعتقل داخل أحزاننا وأن لا نسير إلا نحو الهاوية بعد أن اقترب احساسنا بالأمان أن يضيع، فأوطاننا مقل العيون وجواهرنا العتيقة التي تحتاج لأن نصنها قبل أن نفقدها ونندم عليها، هل نسينا قول الجاحظ في رسالته "كانت العرب إذا غزت أو سافرت حملت معها تربة بلدها رملا وعفرا تستنشقه" فهل ما قرأته كان حقيقة أم ضربا من الجنون أو حتى الخيال؟

عقلي غير قادر على أن يصدق أن بيننا كارهين حاقدين مارقين لأحلامنا سارقين، وأننا نسير في طريق "لبننة" أو "أفغنة" الوطن والذي لا يمكن لأي عاشق لتراب هذا البلد أن يقبله ولابد من مواجهة ذلك مهما كلفنا من غال وثمين، ولكني في نفس الوقت أدرك أن العنف لا يلد إلا عنفا أشد

وأنه ككرة النار تحرق كل ما يقابلها لكنها تزداد لهيبا واشتعالا بما تلتهمه في طريقها.. وقلبي يدرك كذلك أننا شعب متسامح لم يجبل على الكراهية والعنف وأنه يعي قيمة الوطن فمثله لا يتكرر، وأوقن أن بلادنا هي البقعة الفاضلة في قلوبنا، لا يمكن أن أتصور أننا فقدنا الراشدين المتعقلين المخلصين القادرين على رأب الصدع وحل المعادلة قبل أن تصعب علينا وتتعقد.

كيف نعيش في وطن نحمله داخلنا نعشقه ونشتاق إليه ونقسم به ونتركه يضيع ونحن نعلم أن ضياعه يخيفنا أكثر من الظلام؟ كيف نتطلع لضحكاته ونحن نسقيه الكثير من الدموع والدماء ونقدم له القرابين من أرواح الشهداء؟ لابد أن نعي أن مشاكلنا لن تحل بالمهدءات والمسكنات، كما أنها لن تنتهي كذلك بإشعال المزيد من النيران.. بلادنا تحتاج ليد حانية واعية تعبر بها لبر الأمان، وعقل يدرك أن الوطن عصي على الرحيل من قلوبنا مهما رحل الراحلون أو كره الكارهون، وأنه باق ولا يمكن بيعه مهما غلت الأثمان أو برزت أنياب الذئاب اللئام.

يا وطني الحب والأمن والصديق، يا من أدركت أنا مؤخرا أن قسوتك أحيانا وعقابك وغضبك حب، متى نوفيك حقك ونزيل حزنك ونمسح دمعك ونرد إليك فرحك ونكفيك ما أهمك؟ يا وطن نحمله داخلنا وعشقه عصّي على الكتمان وأبّي على التفتيت والانقسام، يا وطن لا تؤدي جميع الطرق إلا إليك أو هكذا يجب حتى نجنبك السقوط السحيق الذي دبر لك بليل، يا وطن يئن.. وقلوبنا له تحن.. تود لو تطمئن.. فمتى تطمئن؟

كارين بولنس العاشقة

بأنامل أنيقة رقيقة تعزف بالفرشاة فتصوغ لوحاتها قصائد تروي عشقا لسحر الحروف والخطوط، فنرى بين الألوان ألوانا ذات تنغيم خاص يملأ الوجدان إحساسا ونورا وبهجة.. إنها "كارين بولنس" الفنانة التشكيلية العاشقة للخط العربي المفتونة بالزي الإسلامي الراهبة في محراب الثقافة الإفريقية، ابنة السوربون فرنسية اللسان شرقية المزاج والهوى والتي تعزف بريشتها لتبدع فنا عالميا ندر مثله.

التقيتها على كورنيش مدينة أبوظبي الساحر تحمل معها ٣٥٠ لوحة من رسمها تعرضها للبيع تبرعا لمستشفى السرطان ٥٧٣٥٧ بالقاهرة ضمن فعاليات مهرجان "لون حياتهم".. وفي ركن خاص بمعرضها البسيط الأنيق تحت لوحة مغلفة بعناية فائقة تحمل اسم "شجرة الأمل" تبسمت قائلة "ليست للبيع بل هدية للمستشفى" شكرت لها إنسانيتها واقتربت منها أبحر معها في رحلتها الفنية متى وكيف بدأت، تعود للوراء بذاكرتها حيث كان عمرها ٤ سنوات فقط لكنها كانت تتمتع بوعي وجداني مبكر، وقت أن سافرت مع أسرتها في رحلة إلى تركيا واستمعت للأذان لأول مرة حيث ترك في وجدانها أثرا جميلا لم تفهمه وقتها، ثم وجدت نفسها وقد انبهرت بالفن الإسلامي بالعاصمة اسطنبول وحين عادت لفرنسا كانت تصر في حفلاتها المدرسية على ارتداء الزي الإسلامي معلنة بكل فخر أنها "أميرة تركية"!! وقد لازمها عشقها حتى أصبح جزءا من شخصيتها

فأصبحت ترتدي زي المحجبة المسلمة فيظن الرائي في بلادها أنها سورية أو فلسطينية نظرا لتشابه ملامح الوجه.. ووقتها أدركت كذب الادعاءات الغربية التي تزعم أن الزي الإسلامي يعوق الحركة ويقيدها وأن "البنطلون والبلوزة" الأوربية أكثر عملية وحرية، وترى أن ملابسنا قريبة من قلبها لأناقتها وتعدد القطع وتناسق ألوانها وتؤكد أن الشعب الفرنسي يحترم الاختلاف والشعوب المتمسكة بتراثها وثقافتها.

obeikandl.com

قبائل الآكان

بدأت رحلتها مع الفن منذ أكثر من ٢٠ عاما متأثرة بالفنان الجزائري "علي فضيلي" المقيم بفرنسا المتخصص في رسم الخط العربي مازجا بين التقليدية والحداثة حيث أقامت معه معرضين للوحاتهما ومنه عشقت الخط العربي لمرونته وليونته وقدرته على التطويع، وشغفت ببلاد المغرب العربي فسافرت مرات عدة لتشتري خامات طبيعية ترسم بها اشتقت ألوانها من الحناء والزعفران والكحل ونبتة الحجر "لابيس لازولي" بعد طحنه والعديد من النباتات المجففة التي تحرص على شرائها من التجار كبار السن لتضمن جودتها ونقائها. ثم حالفها الحظ حين سافرت مع والدتها المهندسة المعمارية إلى ساحل العاج "كوت دي فوار" فتأثرت بثقافات قبائل "الآكان" الممتدة على طول ساحل غرب إفريقيا في (كينيا وغانا وتوجو وساحل العاج) وانبهرت بألوانهم الصاخبة وعشقهم للفن الذي مزجوه بثقافتهم واحتفالاتهم ومعيشتهم وطقوسهم حتى أن الموازين التي يكيلون بها هي في حد ذاتها قطع فنية مبهرة متقنة الصنع بشكل جميل ملحوظ.

تزهو "كارين بولنس" بفنها النادر عالميا لخلطها بين ألوان الجرافيت والزيت والنباتات والأحجار الطبيعية بصورة متناغمة تطلق عليها "سلم الألوان الموسيقي" ولمزجها بين الفن الإسلامي والإفريقي في كل لوحاتها، كما تفخر بأصدقائها العرب والمسلمين والأفارقة داخل وخارج فرنسا، وتتمنى زيارة كل الدول العربية وتهيم عشقا بالكباب التركي وسلاطة الحمص والفلافل على الطريقة السورية.

الاحتفال بالصندوق السحري

١٣ فبراير من كل عام الاحتفال العالمي بيوم "الراديو" كما حددته منظمة اليونسكو وهو ذات اليوم الذي انطلق فيه أول بث إذاعي للأمم المتحدة عام ١٩٦٤، والقصة الطريفة وراء تحديد ذلك الموعد تظهر مدى تأثيره في جمهور مستمعيه منذ بدايته، فقد اقترحت أسبانيا أن يتم الاحتفال يوم ٣٠ اكتوبر..ففي ذلك اليوم بثت إذاعة "بي بي سي" الأم معالجة درامية لرواية "حرب العوالم" للكاتب الانجليزي "إتش جي ويلز" التي يتخيل فيها احتلال كائنات من المريخ للأرض، وكانت الحلقة المقدمة إذاعيا مدتها ساعة كاملة ألقيت بطريقة أداء نشرات الأخبار مما أدى إلى انتشار الاضطراب بين جمهور المستمعين الذين اعتقدوا أن ما يسمعونه نشرة إخبارية حقيقية!! وقوبل اقتراح أسبانيا بتحديد يوما للاحتفال بالموافقة ولكن تم تغيير الموعد إلى الثالث عشر من فبراير.

وتهدف اليونسكو من وراء ذلك إلى لفت الانتباه لأهمية الراديو لكونه أكثر الوسائط الإعلامية جذبا للمستمعين لرخص تكلفته وقدرته الفائقة على تخطي الحدود الجغرافية والاصطناعية ولأجل توفير طريقة سهلة لنقل المعلومات، وهنا يجدر بنا ألا نغفل أبدا أن اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية واختراع أجهزة التلغراف اللاسلكي مهدت الطريق لبزوغ عصر الإذاعة الذي ساهم فيه الألماني هاينريش هيرتس والإيطالي

جوليلمو ماركوني والبريطاني أوليفر لودج والأسباني سيرفيرا بافيرا والهندي شاندرا بوز.

وتعد مصر من أوائل الدول العربية استخداما للراديو سنة ١٩٣٤ وبرعت السلطات الحاكمة في الإفادة منه فظهر نموذج "أحمد سعيد" بإذاعة صوت العرب الذي سقط صولجانه بعد هزيمة ٦٧ وقد كانت مدرسته هي السائدة في العالم العربي حيث المذيع ذا الصوت الجهوري الرنان الخطابي المثير للحماس وامتدت هذه المدرسة إلى "بي بي سي" عربي في النصف قرن الأول من عمرها وظهر أمثال هذا النهج في فلسطين والعراق والمغرب، ولكن مع تعدد وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بات من الضروري ان يتغير هذا الأسلوب وأن يستخدم المذيع صوته كفرشاة يرسم بها صورا مستخدما أحاسيسه ليقنع المستمع أنه معه في مكان الحدث، والمذيع الحاذق هو الذي لا يختلف صوته أمام الميكرفون أو في يومه العادي كما يقول "فريد مان"رئيس قسم الاتصال بجامعة ميرلاند الأمريكية.

وكما سجل الراديو خطابات لقادة عالميين تركوا بصماتهم في التاريخ لعب كذلك دور الأنيس والرفيق والمثير للخيال والدهشة وقدم العديد من الفنون والآداب وعمل على إثرائها وإنمائها وكان له الفضل في نشر الفنون الرفيعة كالموسيقى والغناء والشعر والمسرح وسرد الحكاوي والقصص التراثية والحفاظ على اللغة والهوية وقيم المجتمعات وحشد الجماهير تجاه القضايا الكبرى.. وخلق جمهورا من المستمعين ذواقا للفن الراقي تواقا لأن يسمو بأحاسيسه راغبا في أن يكون أكثر وعيا وتثقيفا وقربا من ذلك الصندوق السحري عشقُنا الأول منذ الطفولة.

بتحبيني يا هدير ؟

"أنا تعبان يا أمي ولو خرجت من هنا هاخرج أخرس، بيعذبونا جامد،خرجوني علشان خاطري،إنتوا مش بتجولي ليه،بيخلونا نستحمى في اليوم ٣ مرات بالمية المتلجة ويسبونا من غير هدوم والجو برد أوي وبنام على رخام متلج ونتغطى بخيش خشن اوي يا هدير،وبيصحونا الساعة ٦ ويقعدونا على ركبنا وراسنا في السقف، وياويل اللي يتحرك والا يهز راسه، والأكل فيه دم وأنا مش باكل خالص، وبيقولوا لي امسح وقبل ما أتحرك يقولوا لي يا ابن.. ويجيب الكهربا في رقبتي ويعذب فيا بالساعات، خرجوني أو خلوهم يقتلوني بس بلاش أكون هنا، اللي عاوز يتكلم يرفع إيده في اليوم مرة واحدة، امبارح من الظهر للعشا راسنا في السقف ولما طلبنا مية قالوا إنها مقطوعة وقعدوا يشربوا، ممنوع نصلي أو نقرأ قرءان أو نلبس شبشب، سامحيني يا أمي مش قادر أخبي أكتر من كده ذل،لو قعدت أكتر من كده ها خليهم يقتلوني،ها تتصرفي يا أمي؟ بتحبيني يا هدير ومش ها تسبيني صح؟ حتى لما أستغفر يقولولي ممنوع تحرك بؤك.

هذا الكلام الذي يدمي القلوب كان للطفل محمود مريض الكلى المعتقل منذ ٢٨ يناير في مدينة نصر وقيل أنه بسجن ابو زعبل بتهمة الانتماء إلى جماعة محظورة، وهدير هي أخته التي دونت كلامه على أحد مواقع التواصل الاجتماعي بعد زيارته هي ووالدته، والحقيقة لا أكاد أصدق ما قرأت،وأميل إلى أن تكون القصة من صنع خيال أحد المواقع الإخبارية لزيادة نسبة متصفحيه،وأنا هنا لا أضطلع بمهمة الدفاع عن هذه القصة وفي نفس الوقت لا أستطيع تكذيبها، ولكني أطالب المنظمات الحقوقية التي

تملأ البلاد طولا وعرضا من حقوق للإنسان لحقوق الطفل إلى حقوق للمساجين والمعتقلين ومن هم قيد التحقيق أو الحبس الاحتياطي لتقوم بزيارتهم بشكل مفاجئ طبقا للوائح والقوانين في هذا الخصوص للتأكد من هذه القصة وغيرها ورصد أية انتهاكات لهؤلاء أيا كانت جرائمهم أو انتماءاتهم العقيدية أو السياسية، فحتى المجرمون والقتلة والمتهمون بالعمالة لهم حقوق وطرق معاملة تراعى فيها الإنسانية طبقا لكل المواثيق العالمية التي وقعت مصر عليها.

لن أتكلم عن الطفل وحقوقه ونوع "التأديب" المسموح له وهل يحق له المكوث في السجون أم لا، وإنما أذكر بقوافل التوعية في السبعينات التي كانت تضم كبار العلماء وكان من بينهم فضيلة العلامة الشعراوي ــ رحمه الله ــ والتي كانت تطوف بالسجون والمعتقلات لإعادة جماعات التكفير والهجرة إلى جادة الصواب فهكذا عومل من قتل الشيخ الذهبي وغيره من بعض الفئات الضالة فكريا فهل الأطفال المقبوض عليهم أشد خطرا وبأسا وانحرافا لدرجة لم نعد قادرين على أن نرحم طفولتهم؟ أعود وأكرر أنني أميل إلى أن قصة الطفل محمود من نسج الخيال ولكن كي يطمئن القلب نريد الشفافية هل هناك أطفال معتقلون؟ كم عددهم؟ أين يكونون؟ كيف يعاملون؟ لأن القصة لو ثبتت صحتها نكون أمام كارثة جد خطيرة حين نسأل أنفسنا بأي نفسية سيخرج محمود وأمثاله وكيف سيواجهون المجتمع؟ من أين له بالنفس السوية وهو يحمل نية مبيتة على الانتقام وكره المجتمع الذي أهدر آدميته؟ الأسئلة كثيرة ومريرة وملحة تنتظر إجابات، وإنا معها لمنتظرون.

زمان الوصل بالأندلس

حين تكون الكتابة هواية لا مهنة يصبح من العبث إلزام النفس في موعد محدد إمساك القلم إن لم تكن الفكرة ضاغطة وملحة، وهذا ماحدث لي فقد سئمت حديث السياسة وتعبت النفس من سماع القصص الغنية بالمعاناة، فقررت مهادنة الروح والبحث عما يجلي قلقها وتوترها فمددت يدي لمكتبة الموسيقى واخترت قرصا مدمجا بشكل عشوائي فانسابت أمواجا شعرية لتصنع لحظات من الإبداع حين سمعت "يا من لعبت به الشمول.. ما ألطف هذه الشمائل.. نشوان يهزه دلال.. كالغصن مع النسيم مائل.. لي فيك قد علمت عشق.. لا يفهم سره العواذل" فتساءلت من منا لم يطرب وجدانه لروائع الكلم المعروفة بالموشحات؟ ذلك اللون الشعري الذي يحمل أصالة عربية متجذرة لا تخطئها الذائقة السليمة ومن ينقب في تراثنا الراقي سيجد تميزهذا الفن لغة وشعرا وتاريخا لارتباطه بحضارة الأندلس حتى صار دالا عليها ورمزا لها وأضحى تحفة أصيلة رائعة في زمن أتخمتنا فيه الفضائيات بالابتذال والانحطاط والرداءة التي كنا نحسبها عابرة.

في موشح آخر "العيون الكواحل سابوني.. آه آه ولذيذ المنام أحرموني.. وجرى دمعي من عيون هامل (فاضت).. آه آه يا رفاقي ساعدوني" نجد أنه جمع بين الفصحى والعامية مما أسهم في انتشار هذا الفن في الأوساط الشعبية ثم انتقل للقصور والطبقة الراقية، ومعروف أن أشهر شعرائه أبو

حسن علي الضرير صاحب (ياليل الصب) والمعتمدبن عباد ولسان الدين بن الخطيب صاحب (جادك الغيث) التي اشتهرت باسم (بالذي أسكر).

والموشحات المتوارثة كاللوحة التشكيلية لا يجوز تغيير معالمها ولذلك اكتسب هذا القالب قدرة على التماسك عبر الزمن واتسم أداءه بالانضباط والدقة المتناهية وصنف كفن من الذوق الرفيع يجتذب جمهورا خاصا يبحث عن فن شرقي اصيل بعد سنوات من التغريب والتجريب.

والموشح لفظة مشتقة من كلمة "الوشاح" أي الرداء الموشى بالزخارف والمرصع بالجواهر، وله أغراض عدة كالغزل والوصف والمدح والذكريات، ويختلف عن ضروب الشعر العربي لالتزامه بقواعد معينة وخروجه عن أوزان الشعر المعروفة، ويعود تاريخه لنحو ألف عام بفضل شعراء الأندلس الذين أقدموا على تغيير شكل القصائد التقليدية ذات الوزن والقافية الواحدة وانتهجوا أسلوب تعدد القوافي وظهرت له ثلاث مدارس: الأندلسية والحلبية (التي التزمت بالموشح الديني في مدح الله) والمصرية، وينسب ابن خلدون فن الموشحات للشاعر الأندلسي محمد بن محمود القبري، ومما زاد في ازدهاره انتقال عالم الموسيقى زرياب تلميذ اسحق الموصلي من بغداد (فترة هارون الرشيد) إلى الأندلس (فترة الخليفة محمد بن عبد الرحمن) واستقراره بها.

ومن أشهر الموشحات (لما بدا يتثنى لزرياب) و(يا شادي الألحان، ويا غصين البان، والعذارى المائسات لسيد درويش) و(العيون الكواحل وملأ الكاسات ومقدمة كلا من قدك المياس وكامل الأوصاف) وبحزن دفين ورومانسية خاصة شدت فيروز للشاعر لسان الدين الخطيب (جادك

الغيث) يحكي فيها مأساة الأندلس التاريخية التي انهارت معها حضارة عربية متقدمة أدبا وفلسفة وعلوما حيث يقول مطلعها: جادك الغيث.. إذا الغيث همى.. يا زمان الوصل بالأندلس.. لم يكن وصلك حلما.. في الكرى أو خلسة المختلس.

obeikandl.com

حديث الكراهية

متى يدركنا الوهن والإرهاق؟ سؤال يلح عليّ دوما كلما شاهدت الفضائيات تنوح برامجها بالقبح اللفظي والعنف الحواري والتخوين والتشهير وكيل الاتهامات والمحاولات المستميتة لنفي الآخر وإهانته وتجريحه وافتضاحه بغرض ركله بعيدا عن المشهد، فإذا سالت عن أدلة الاتهام حدقتك نظرات الكراهية معلنة أن سؤالك رفاهية وأن الكلام لا يحتاج لتجلية، وأنه "لا ينبئك مثل خبير"، فإذا حاولت تحري الصدق حتى لا تصيب القوم بجهالة ولتتجنب سبيل الندامة تجد الآفاق زرعت بعلماء اللسان جاهلي القلوب سفهاء العقول، فتتيقن أننا نكابد مرحلة الدرك الأسفل من الانحطاط والتردي تقودها أقنعة رموز الفساد يهدفون الخراب والدمارلأنهم نسل زراع الفتن في كل الأعصار.

في الطرقات والمقاهي والأسواق لا تجد للين الكلام وسيلة ولا للهدوء سبيلة، فالنقاشات حادة وحديث الكراهية حناجره مشهرة والكلمات صدئة ملوثة، والألفاظ معاركها محتدمة تصاحبها لغة جسد عنيفة تشد من أزر ألسنة لاتحتاج مؤازرة هي أشد بأسا وضراوة من خنجر منقوع في سم زعاف، يعود بعدها المرء إلى بيته وقد ازداد أعداؤه وقل رفقاؤه.

على صفحات الجرائد ومواقع التواصل حفاوة غيرعادية كذلك بحديث الكراهية حيث الحرب الضروس من السباب والعراك الملفوظ وكأنه الجهاد الأعظم لنصرة الأوطان بنصل قلم مسنون يسطرون به هوى أنفس خربة تجرح وتشوه منظومة القيم الأخلاقية،أما دواوين العمل فانقسمت

لفريقين أو يزيد كل فريق بما لديه متمسكون متعصبون مهددون الآخرين بالغباء والقصور في فهم واستيعاب الأمور والسعي بالإضرار والإفساد بالبلاد والعباد، بينما بعض العقلاء غير القادرين على المواءمة فيسعون للمغادرة وترك سفينة الوطن بعد أن فقدت بوصلة النجاة، ووجدوا أن الحل الوحيد لحال التوهان هو الغربة والهجران حتى وإن اتهموا بالنكران.

أعود للسؤال: متى يدركنا الإرهاق لنكف عن هذه الممارسات المسؤولة عن الشتات الذي نعانيه والذي جلب إلينا من المحن والإحن ما نكابده كل ساعة بلا كلل أو ملل؟ أين المفر من محاولة تحويلنا لشعب من الأغبياء شديد الحرص على الهدم دون البناء؟ حقيقة أبحث عن الأفكار الناضجة والعقول الواعية القادرة على الإمساك بالدفة، أود لو استميل عواطف نفوس رحبة ونبيلة لاتحمل ضغينة، أنقب عمن يبشر ولا ينفر، عمن يحتمل السفاهات من أجل الأهداف الساميات، عمن لا يبحث للانتقام سبيلة، ويعرف للعفو طريقه ويقبل ضريبة الإصلاح ولو لم يوف قدرا وقيمة، عمن يمتلك الهمة في رأب الصدع وتطبيب الجرح وإن لم ير إلا الاندهاش، عمن يستمطرسحب المحبة راغبا أن تستعيد الأوطان كل الأبناء والأحبة.

لا نريد جيلا للكراهية وارث لأنه وجد أباه هكذا فاعل، نريد للرعشة أن تعود للقلب حين يسمع كلمة وطن، وأن تعيد رائحة ترابه بعث الصفاء في النفوس، وأن تهدأ السفينة وترسو آمنة مطمئنة، وأن يروق المزاج المصري بعد أن نصغى لهمه وحزنه العميق وسره الدفين.. فمتى تهتز أوتار العود بنغمات الحب الودود؟ متى نتكابرعلى صغار الأمور ونتعالى على الحماقات والتفاهات، ويكون كل منا للآخر جانبه لين، لنبني وطنا إذا صح منه الود فالكل هين.. بوضوح نريد "نفوسا عظيمة".. فبأي مصنع هؤلاء يُنتجون ليتحملون سفاهة بعض العقول الساكنة في العيون والألسنة؟

كيف نصلح المعادلة ؟

تجربة علمية مثيرة أجراها قسم الاجتماع بإحدى الجامعات الإماراتية للتعرف على السمات الشخصية للشعوب المختلفة أثبتت بما لايدع مجالا للشك أن شعوبنا العربية مازال الطريق أمامها طويلا لتقيم أية شراكة فاعلة بمعناها الحقيقي.

فقد قامت الجامعة بجلب بعض أفراد الجاليات الأسيوية ووضعت كل منهم على حدا في سكن مجهز يتسع لعشرين شخص ووفرت لكل فرد فرصة عمل وتركتهم ليعيشوا بمفردهم، وفي نفس الوقت فعلت العكس مع عينة الأفراد من الجنسيات العربية إذ اختارت من كل بلد عشرين شخصا ووضعتهم سويا في مكان يسعهم ويلبي احتياجاتهم بشكل كريم، ثم اختارت عينة أخرى مختلطة من مختلف الدول العربية ليعيشوا معا.

النتيجة كانت مذهلة، فبعد مرور عام استطاع كل فرد من أفراد العينة الأسيوية أن يجتذب عشرين أسيويا آخرين من بني جلدته أو غيرها ليسكنوا معه ويتشاركوا في دفع القيمة الإيجارية وتكاليف المأكل والمشرب بروح العائلة الواحدة مما أدى إلى توفيرالنفقات وزيادة مدخراتهم وبالتالي زيادة نسبة تحويلاتهم النقدية لبلدانهم. أما أفراد العينة العربية فلم يستطيعوا العيش معا فتنافروا وتشاجروا ورفضوا الخضوع لرأي الأغلبية وأحب كل منهم أن يعيش طبقا لطريقته ورأيه الخاص، وآثرت أكثريتهم ترك

السكن وفضلوا السكنى فرادى حتى ولو أدى ذلك إلى ارتفاع التكاليف المعيشية لكل فرد وقلة مدخراته!

الأسى والحزن كفيلان بإصابة اللسان بالخرس وتوقف المداد عن القلم، وآترك للقارئ الكريم أن يتخيل إلى أي مدي يحق لنا أن نتشبث بنظرة تفاؤلية مستقبلية لروح الفريق الواحد والتعاون الذي يمكن أن تمارسه دولنا العربية في أي مجال من مجالات التعاون والمشاركة الفاعلة إذا كانت الروح الفردية هي الغالبة والمتحكمة والمسيطرة، والحقيقة هي كذلك في كافة مؤسساتنا وهيئاتنا إلا ماندر منها، وما أفراد العينة البحثية إلا إفراز حي ومعبر عن سمت الشخصية العربية، وعلى هذا يمكننا أن نفهم كيف استطاعت اليابان ودول النمور الأسيوية أن تنهض وتعيد بناء بلدانها وتتبوا مكانها بين دول العالم المتقدم رغم فقر إمكاناتها الطبيعية ولكن كان اسثمارها الحقيقي في العنصر البشري.

لنبحث سويا عن السؤال الذي يشغلني دائما: لماذا نجاحاتنا داخل اوطاننا فردية ونتفاخر بفرديتنا بينما تميزنا وتفوقنا في الغرب يكون بنكهة روح الفريق الواحد ووقتها نتفاخر بروح العمل الجماعي!! أبحث عن صحة المعادلة التي يجب أن تكون، لأنه حين تصح المعطيات والمدخلات حتما تصح النتائج والمخرجات هكذا تعلمنا دروس المنطق.

ليته لم يبح بسره

باغتتني إحدى صديقاتي الفاتنات اسما ووجها وأهدتني هدية من العيار النفيث وجعلتني "أدمن" لصفحة ثقافية دون مشورتي وفوجئت بإشعاركومبيوتري بأني قد توليت هذا المنصب الرفيع، حاولت أبوس القدم كي تبدي هي الندم وتتراجع فرفضت، فأصبت بالاضطراب لأن الصفحة مزينة بزينة الكواكب هم كتابها وشعراؤها وفنانوها وأدباؤها وكيف أكون أنا وسط هذه القامات السامقات وكيف أبدي رأيا وأنا أدري أني لا أدري، فرفعت شعاري على الصفحة طالبة العفو والسماح من ست الملاح لأن هذا المنصب الرفيع لن يسلم من الأذى وستراق على جوانبه الدم (دمي أنا طبعا) وتصبح الصفحة التي قضت على كتاب حياتي.

لم أجد مهربا ولاملجأ فشمرت عن ساعد الجد وقلت أن المواجهة قادمة لامحالة، واستعنت بالله على الشقاء،وخلعت الحذاء على استحياء ودخلت الصفحة بهدوء حتى لا يشعرن بي أحد،ولكن وقعت الفأس في الرأس ولمحني أديب ومفكرالصفحة ومبدعها وطلب رأيي في أحد الأعمال الفنية، فقررت ارتداء مسوح النقاد واستعرت كلمة من هنا وأخرى من هناك من أخوات (الوعاء الناقل للثقافة، والوجدان الشعبي، والطقوس الحياتية، ومن الميلاد إلى العدودة) وغيرها من العبارات في توليفة أتقنتها حتى أثبت له أن الصفحة تشرفت بي (!!) وتخيلت أن الأمر سيقف عند هذا الحد ولم أدرأنه

انقلب للجد،حيث تفاجأت بأديبنا يبدي إعجابه بتعليقي البليغ الشامل الشافي الوافي وتحليلي الثاقب الموضوعي (ده هو اللي بيقول).

طبعا نفشت ريشي وانتفخت أوداجي وصدقت أني ناقدة ولست حاقدة على كل موهوب في الشعر والأدب وكم تمنيت أن تزول النعمة من عنده لتأتيني أنا (أيوه عارفة إن ده حسد).. المهم أبى أديبنا إلا أن يسر لي بمكنون صدره (وليته ما فعل) إذ قال بالحرف الواحد "لا أخفيك سرا في أنه ساورني الشك في قدراتك ومواهبك الفكرية والعقلية كامرأة" (خدوا بالكم من كلمة العقلية دي) وأنه اضطر لمتابعة مقالاتي الصحفية فأعجب "بلغتي وتعبيري وفكري" فقرر أن يعتذرلي وألقى اللوم على مجتمعاتنا العربية الذكورية التي تحقر دوما نون النسوة وترفع من شأن ذال الذكورة (مالقتش في العربي حرف مذكر يقابل نون النسوة).

لاأخفي عليكم أرغيت وأربدت وأزبدت وتقمصت شخصية فريد شوقي أقصد عنتر بن شداد وقررت الدفاع عن الحمى وأهل الحي من النساء ورفعت شعار "عليّ وعلى أعدائي يارب" وشاورت صديقة أحسبها شريرة مثلي فأرسلت لي على الواتساب صورة "قبضة يد" فتذكرت وقتها ما درسته في كلية الإعلام بأن الصورة أبلغ من ألف كلمة وأن الضربة القاضية هى الحل ولابد من النزال والاقتتال، شمرت عن ساعد الجد (تاني) وبدأت تسميع حصة تاريخ مطولة بدأتها كليوباترا وحتشيسوت ونفرتاري وبلقيس ومريم وأسيا وزليخة وهاجر وسارة وخديجة وعائشة وفاطمة الزهراء وسكينة وزينب ونفيسة العلم وشجرة الدر ومارجريت تاتشر وأنديرا غاندي وبنظير بوتو حتى جولدا مائير لم أتركها.

فجأة لفت نظري أن كل تلك النماذج غيرعربية عدا نساء بيت النبوة وهذا إنما يدل على عظمة النبي صلى الله عليه وسلم حين طبق الإسلام الحق فتبوأت النساء مكانتها العالية باعتبارهن شقائق الرجال والاختلاف فقط في نوعية الأدوار المنوط بها، أما الآن فمازال الرجل يمارس قهره لقدرات المرأة ومواهبها ثم يتهمها بضيق أفقها وضعف امكاناتها، وهولا يعلم أنه بغروره الذكوري اعطى لنفسه مقود العالم فقاده للحروب والشرور ناسيا بلقيس الملكة التي وعت أن الملوك إذا دخلوا قرية جعلوا أعزة أهلها أذلة فآمنت وأنقذت شعبها.. أو لستم تتفقون معي حين تقود النساء العالم سيصبح أكثر رحمة ورأفة؟

obeikandl.com

لو لم أكن مصريا لحمدت الله على ذلك

أتمنى أن يُقرأ مقالي بترو قدر المستطاع وأن تتفتح له عيون القلوب لا الوجوه فيبدو أن الحروف أصبحت تحتاج إلى محام حين ننطقها أو نكتبها ببراءة أصبنا أم أخطأنا ولأن المتربصين كثر لذا أعلم مسبقا أنني سأتلقى سيلا من الاتهامات مختلف ألوانها في ظل مناخ أعتدنا فيه التسرع في إبداء الأحكام.

أتحدث عن السباق الحنجوري كلاما وغناء لتمجيد المصري وإرضاء غروره ودغدغة حواسه لمجرد أنه مصري وأن كل مصري الله عليه! وإذا كان مصطفى كامل أعلن أنه لو لم يكن مصريا لود.. نجد البعض يردد "لو لم أكن مصريا لحمدت الله على ذلك" وبين المقولتين تتأرجح الشخصية المصرية صعودا وهبوطا، والحقيقة أنني لاأقصد الانتقاص من مصريتنا وقيمتها ولكني أرغب الصدق مع النفس حين أجد التغني بها ترفع المصري لعنان السماء بينما قدر إنجازه على أرض الواقع يناقض أغانيه ونرى شعوبا تفوقنا تقدما حبا لأوطانها قولا وفعلا لا غناء وغرورا.

ونحن داخل الوطن نشعر بتضخم الأنا وأن الدنيا يجب أن تخضع لنا وتسبح بمجدنا ولزاما عليها أن تدور في فلكنا ولكن حين يخرج البعض من الإطار ويعيش فترة خارج الوطن يرى الصورة بوضوح أكثر وكيف أن التحولات العالمية رهيبة ولا شيء يحتم عليها أن تتأثر بالمشهد المصري وأن العديد من دول العالم تمارس حب الأوطان بطريقة واقعية من أجل بناء

مستقبل يليق بأجيالها، هل يعني ذلك أنني أنتقص من قيمة الشخصية المصرية؟ قطعا لا ولكن مايحزنني أننا نعيش أسارى استدعاء اللحظة الماضية هروبا من لحظاتنا الآنية، ففي حين يعيش العالم حولنا سباقا محموما مع الزمن نركض نحن للخلف بسرعة لا نحسد عليها نفتش في قديم دفاترنا: كيف كنا وماذا فعلنا وكم قدمنا؟ ثم نضع نقطة في نهاية السطر ونأبى أن نبدأ سطرا جديدا في صفحة الإنجازات تماما كالعمياء التي تمشط شعر مجنونة فلا العمياء قادرة على أن تبصر ماذا صنعت يداها لتزيده تنسيقا وجمالا ولا المجنونة تكف عن نكش شعرها حتى نتفرغ لغيرها.. وهكذا صرنا نعيش خيلاء الماضي وغير قادرين على رؤية واقع يحتاج معايشة ومعالجة لبناء مستقبل يليق بنا كي نلحق بعجلة التقدم غير القابلة للتوقف.

عجبا تراه حال المصريين بالخارج وهم يعانون نفس المشكلة فلا تستطيع أن تجمعهم لتستفيد من قدراتهم وإبداعاتهم أو حتى معرفة أوجاعهم ولا يمكنك أخذ وعود قابلة للتحقيق لأي عمل يرفع من شأن الوطن ومع ذلك تجدهم يتجمعون في أي حفل غنائي لفنان مصري أتاهم يشنف أذانهم بمصريتهم فتنتفخ الأنا وتتورم وهم يصفقون ويصرخون ويبكون وهم جلوس في مقاعدهم حنينا للوطن حتى تجلوا النفوس وتصفوا يعودون بعدها وقد توازنت كيمياؤهم النفسية وسمت أرواحهم وهدأت انفعالاتهم وتيقنوا مرة أخرى أن الدنيا أتتهم راغمة وراغبة لتثبت لهم أن المصري الله عليه!

حقبقة أبحث في الشروخ التي أصابت شخصيتنا فأصبحنا نلوذ بالماضي إعجابا وبكاء ولا نرى جمالا يمكننا غرسه في واقعنا، أدعو القارئ أن

يشاركني تحليل الأسباب واقتراح الحلول شرط ألا ندخل دائرة الجدال العقيم فنصبح كمن يحاول الإمساك بالزئبق.. تراني ظلمت الشخصية المصرية وقسوت عليها؟ أم أن مشرط الجراح ضروري لاستئصال الورم وإبراء العلل رحمة بها لتستفيق في ظل عالم لا يحنو على الأغبياء أو المغرورين أو المغيبين؟

obeikandl.com

يا أمة تعرت

في مقاله الشهير "لماذا أعشق كوريا وأكره انجلترا التي تسري في دمي" كتب البريطاني ريتشارد بيرنارد بقناة "بي بي سي" عن حادثة إعلامية عاشها بنفسه، حين بث التليفزيون الكوري حلقة من البرنامج المعروف "ستار كينج" يستضيف فيه الموهوبين من كافة أنحاء العالم، ومنهم ذلك الصيني الموهوب غناء وتمثيلا القادم من هونج كونج، والذي ما إن أنهى فقرته الغنائية حتى أسرع بخلع ملابسه على المسرح وفاجأ المشاهدين بارتدائه زي عربي سعودي "ثوب وشماغ" ممسكا ببندقية بلاستيكية وجهها مباشرة لمقدم البرنامج متقمصا دور المسلم "الإرهابي"!! يضيف الكاتب قائلا "في بلادنا بل وفي بلاد المسلمين سنضحك كثيرا لمهارة الرجل بل وسنقابله بالتصفيق الحاد، ولكن في كوريا لم يكن الأمر كما تتوهمون، فقد تم قطع بث القناة بأكملها من الأقمار الصناعية، وبعد ٧ دقائق ظهر رجل انيق جالسا على كرسي فاخر يعتذر بلهجة رسمية صارمة للمسلمين كافة ويعترف بالخطأ، اتضح فيما بعد أن المعتذر هذا هو وزير الإعلام الكوري، وألقى باللوم على تواضع ثقافة الضيف الصيني تجاه الدين الإسلامي ثم قدم اعتذارا ثانيا للمملكة العربية السعودية لاستخدام زيها الوطني بشكل مهين وغير لائق".

٧ دقائق كانت كافية ليعقد الوزير اجتماعا طارئا ويسن قوانينا ويفرض عقوبات ويفند اتهامات فإذا هي: التصرف البشع، واتهام شرف المسلمين، وعدم مراعاة الجهال من المشاهدين الذين يصدقون ما يرون، وسوء

استخدام الزي السعودي، واحتواء البرنامج على لقطات عنيفة رغم أنه برنامج عائلي يشاهده الأطفال. أما عن العقوبات فكانت: إيقاف بث البرنامج مدة شهرين وغلق القناة ٣ أيام وإلزامها ببث اعتذارثابت طيلة هذه المدة على شاشتها وعلى موقعها الألكتروني وموقع البرنامج، كذلك وترحيل الضيف الصيني لبلاده بعد سجنه ٤٨ ساعة.

الحقيقة بعد قراءتي للمقال وجدت أن الصمت أبلغ ما قد يقال من كلام مضغناه ولكنا حروفه حتى مل منا، ففي بلادنا حيث نعيش نكبتنا المعتادة سنسخر بالتأكيد ممن يحاول المقارنة بين مافعله الكوريون لمجرد لقطة عفوية غير متعمدة بينما مسلسلاتنا وأفلامنا العربية والإسلامية وكتبنا بل وكثير من المثقفين والمبدعين والمفكرين والإعلامين يسخرون من الإسلام والمسلمين وينتقدون، ونحن وهم نعاود الضحك الأبله، سنسخر ممن يقارن بين إعلامنا وإعلامهم، بين مسؤليهم ومسؤلينا، بين ثقافة الاعتذار التي يحترمون بها شعوبهم والتي لا نعرف عنها شيئا، بين قدرتهم على إدارة الأزمات ومواجهتها بحسم وبين قدرتنا على المجابهة بالقبيح من الألفاظ والردح "الشرقي" الذي أتقناه، بين احترامهم للطفل والجهال وضعاف العقول من المشاهدين وبين رؤية البلهاء التي نمارسها والتي تجعل هؤلاء عندنا مجرد قطيع غنم يساق.

ماذا يهمنا إن كان الغرباء لنا ينتصرون ونحن نصنع هزيمتنا بأنفسنا؟! ومع ذلك فمازال الأمل يحدوني، ولله در من قال: أنتظر فجرا.. لأمة تعرت تبحث سترا.. لأمة تفرقت شبرا شبرا.. لأمة تشبعت ذلا وعهرا.. أنتظر فجرا يعيد فجرا.

إلى صديقي المتفائل وسط مواكب المحبطين

آثرت السلامة واكتفيت برد مقتضب على مقاله حول دور المثقف الحقيقي في الفترات العضال التي تلم بالبلاد والعباد، لكن الشاعر الأديب والإعلامي الأريب "السيد حسن" عاد ليتحفنا بروائع مقالاته "المحارب لا يستريح وسط المعركة " وقتها لذت بالصمت القلمي الرهيب لأن القضية ليست بالهينة والنفس من الأوجاع بها ما بها، وحين نشرت مقالي "لو لم أكن مصريا لحمدت الله على ذلك" أبَى المحارب أن يستريح فوكزني بصريح عباراته أن "عنوان مقالي كان له صادما" وأكمل معلقا "فرصة ليقرأ الناس لعلهم يفيقون" وهنا لم أفق أنا إلا والقلم الصامت يتمرد ويصر على البوح الأليم.

لك عندي يا صديقي المتفائل في مقالاتك سؤالان لا ثالث لهما، أولاهما: لمن يكتب المثقفون؟ ثانيهما: من لزاما عليه أن يقرأ؟ نتفق أن المثقفين والحكماء والعلماء ذاكرة الأمة، هم من خصتهم الإرادة الأزلية بالبلاغة والوعي والحكمة، هم أصحاب الهمم العوالي والغوالي والمهام الجسيمة، هم الثقات الذين يبذلون الأكباد ليقدموا لمجتمعاتهم الرؤى المعتبرة في كافة قضاياه لينعم بسعادة سرمدية، خاصة الذين لا يدينون إلا للساميات من القيم ولا يتخذون "أيدولوجيات" بعينها يعلون من شأنها وإن تعارضت مع مصالح مجتمعاتهم، غايتهم وقبلتهم الحقيقة لا يغرهم المادحون ولا يضرهم القادحون أوهكذا يجب أن يكونون، يقدمون رؤاهم لأوطانهم إخلاصا

وتقربا لا تخلصا وتكرما، مقاومون مثابرون مكرسون حياتهم وعقولهم وضمائرهم لصناعة أوطان بريئة من عللها الدفينة، يحاربون بنبل محاولات تغييب العقول وتسطيحها، يضعون أيديهم على الخلايا الفاسدة الخبيئة بجسد الآمة ليقدموا الناجع من الحلول.

أتساءل عن هؤلاء الذين يحملون مشاعل الإفاقة مَن يأخذ برؤاهم على اختلاف تخصصاتهم ومجالاتهم؟ حكماؤنا الذين كان نهجهم "خير الكلام ما زاد وفاد" تحول إلى "ما قل ودل" والآن يمارسون الانسحاب والانتحار العقلي والخرس القلمي واللساني بل والضميري وهكذا يفعلون، هم أنفسهم من أصيبوا بالإحباط (ولن أقول داء الخُباط الذي يصيب الدابة قبل موتها)، بل يهربون أو يرغبون بعد أن تيقنوا أنهم للبحريحرثون لأن شعوبهم لهم لا يقرؤون وبهم لا يهتمون وعليهم لا يفهمون ولرؤاهم لا يطبقون بل يستمتعون بأنهم في غيهم يعمهون، والعمه للبصائر والقلوب لا عمى الأبصار والعيون.

المثقفون حائرون يتساءلون لمن يكتبون؟ وماذا يكتبون وآراؤهم لا تُثَمَّن ولا يُؤخذ بها في مجتمعات تبدلت قيمها وطفا غَثُها وجُرّم مفكروها وبضاعتهم، يشعرون بغربة الأوطان تماما كما قيل للنبي سليمان عليه السلام: ما أشد العذاب؟ قال: أن تضع الرجل في قوم لا يعرفون له قدرا.. نحن ندعوا مفكرينا للبؤس والكآبة والتصحر العقلي والفكري وسوء المنقلب حين نجبرهم على تجفيف أقلامهم ورفع صحفهم وإصماتهم لأن الأغبياء هم المسيطرون على ساحات ومنابرهتكوها حتى أفسدوها، هل نرثيهم أم نرثي أنفسنا حين يتحولون طوعا أو كرها من أصحاب

أفكار إلى أصحاب "مذكرات شخصية" كالتي كنا ندونها ونحن صغار نُسَطّر فيها أحلامنا وأمنياتنا ونفرغ أفراحنا وأتراحنا وشجوننا ثم نتقن غلقها ونضعها بعناية في مكان خبيئ؟ لقد حولناهم من مفكرين إلى مدونين مفضفضين.

أن نكره أناسا بعينهم فليس هذا بإثم أما أن نتجاهلهم فتلك هي الوحشية بعينها هكذا أصدقنا القول برنارد شو، إن المجتمعات التي تنبذ مثقفيها وتتجاهل علماءها لها التعاسة التي تستحقها لأنه دليل نقصان حظها، فهم من يمنحوننا كنوزا من الفكر الثاقب والمعرفة لم تكن لنا ببال، ولكن حين يدرك الحكماء أن أعمارهم وأفكارهم مجرد هباء منثور بخس ثمنه فسنعلم وقتئذٍ أن المهزوم الوحيد هى الأوطان وذلك هو الخُسران.

"توشكري يا أستاذة يا بنت مصر يا مجدع"

أعوام ممتعة من العمل الصحفي حمل لي بريده العطر آلاف الرسائل والتحايا لطالما أثلجت صدري وألهمتني شكرا لله على المودة والقربى مع القراء، لكن لا أخفي عليكم أروع تحية تلك التي جاءتني من "وليد أبو حامد" وآه حين تعرفون من هو.. هولحن مصري بديع وأصيل عزفته يد أب مصري فلاح أجير بسيط تستحق التقبيل، يد لم تمتد لقلم لكنها احتضنت فأسا تزرع وتحصد وتمسح حبات عرق لؤلؤية.

كتب لي يقول "قرأت مقالك – إلى صديقي المتفائل وسط مواكب المحبطين – والحقيقة لن أضع على رأسك تاجا مرصعا بالاطراءات وكلمات الثناء فأسلوبي منتقص للبناء اللغوي والفكري (!!) أنا يا سيدتي عاشق للوطن وللحياة، والدي فلاح أجير رزق بأبنائه الثلاث وأنا أكبرهم فأضاف لجسمه النحيل ساعات عمل شاقة في مصنع نسيج، وكنا متفوقين دراسيا، ولأنني أكبر الأبناء فقد وجهت بأول اختبارعلمني أن سعادتي تكمن في أن أفعل مايجب عليّ فعله، فأنهيت المرحلة الإعدادية وأنا أرمق أخي الذي يصغرني فإذا به يتوق مثلي للجامعة فقررت أن أقتل حلمي والتحقت فعلا بالتعليم الصناعي المتوسط وخرجت مع إخواني نعمل في الحقل ومع طائفة المعمار وتحملت أنا العبء الأكبر حتى تخرج الاثنان من الجامعة وأصبح أحدهما طبيبا فرح به والدنا كثيرا، عملت فلاحا وبناء وعامل تراحيل أحمل الطوب والرمل وطفت البلاد شرقها وغربها أبني

صحراءه فتتحول إلى مدن أنيقة لا أستطيع أن أسكن بها، وكنت أردد أنه على قدر القسوة والمعاناة على قدر رضانا وحبنا للحياة ولقصتنا التي لابد أن نسطرها بإيدينا وأن القدر لايظلمنا إن اجتهدنا وسعينا ولذلك تحاكوا في قريتنا عن الصبية الثلاث الذين قهروا ظروفهم وانتصروا عليها.. ثم انتبهت لحالي فإذا بي في الثانية والثلاثين من العمر ولم أتزوج بعد وعلى قدر ظروفي أتممت بيتي الريفي المتواضع وتزوجت بمن تشبهني في ظروفها واكرمني الله بزوجة محبة طيبة وطفلة جميلة، قررت بعدها أن أزيد ساعات عملي فلا وقت للأحلام التي ليس لها أساس واقعي لأن سوق العمل لايرحب بالنفوس المتألمة اوالمثالية ولابد من العمل ولنكف عن الشكوى موقنين أن الشقاء هو القفز فوق مستوى قدراتنا متجاهلين أن التدرج سنة كونية وقانون إلهي وأن الموت ليس مدعاة لليأس بل دعوة لحب الحياة، ورغم الوهن الذي أصاب كتفي وجسدي النحيل إلا أن حبي للحياة وتفاؤلي يزيدني إصرارا وأعلم أن كلنا نتألم ولكن مهما قست ظروفنا ومهما أهملنا الوطن وقسى علينا فأقسم بالله أني أعشقه ويكفي أنه المسرح الذي يسمح لي أن أحيا عليه مسطرا حكايتي دون مقابل (!!)

أعود لمقالك يا سيدتي وأرى أن المثقفين في سبات عميق يخافون الاصطدام بالسلطة وبعضهم قلمه شكسبيري والآخرمأجور وأما السلوكيات السلبية الموجودة في مجتمعنا فناتجة عن فقد الثقة في النخبة والقادة وتهاوي صورهم المثالية فإذا بهم محتالون اومنافقون او لصوص، وإذا أردنا بالوطن خيرا فلنضع الناس في شيء حقيقي صادق يلتفون حوله، وقتها سنجد شعبا لم تر الأرض مثله، فراعين جدد يكملون مسيرة الأمجاد وإلا سيخرج شعب

يأجوج ومأجوج يقتلع الأخضر واليابس فاتقوا غضب الجياع فالجائع لا يحترم قيمة، وأخيرا أعشق حياتي ومحمولي القديم وبيتي الريفي المرشوش ترابه بالماء وشاي الراكية وأقول لكل شاب لاتستسلم وابدأ ولاتخش السقوط فسقوط المطر يعني البداية ولتكتب قصتك التي خلقت من أجلها متسلحا بإيمانك بالله.. والآن بعد أن أنهي رسالتي أذهب ككل يوم مبكرا إلى سوق العمل أجلس على رصيف الحياة منتظرا الرزق، منتظرا من يناديني لأحمل له أكياس الرمل أو مستلزمات المعمار وأقسم بالله أني سعيد لأن كل يوم يحمل لي بداية جديدة.. وأخيرا يا سيدتي الصنايعية هم الذين يقرؤون ولكنكم لا تشعرون ويكفيهم أنهم لايحملون شهادة " أمية جامعية "وبلسان حالهم أقول لك تحية لمقالاتك " توشكري يا أستاذة يا بنت مصر يا مجدع".

بعد أن فرغت من قراءة رسالة صديقي العامل الشاب المثقف الواعي والطموح أدركت غفلتي حين أوجه كلامي لمن اعتقدت أنهم بيدهم الأمر وأدركت فعلا أنهم لا يقرؤون، بل ويشرفني أن أتوجه لأمثال هذا الشاب العاشق للوطن وللحياة التي يقرأها كرواية جميلة حتى نهايتها ولا يتوقف عند سطرها الحزين مؤمنا أن القادم دائما هو الأفضل.. ولصديقي الشاب أقول ليتك تعلم كم أحترمك وكم أعتز بتحية الصنايعية فتوجت بها مقالي، أيها العامل المرتحل وراء الأمل قلبي يرحل معك ومع أمثالك داعيا لكم ياخير بذرة زرعت في أرض الوطن بيد أبيك الشريفة.. والله الله يامصر على شبابك وعلى فلاحيك وبنائيك.

الدود يأكلنا أحياء

صرخ كاتبا "لا تحدثونا عن القناعة والرضا بالفقر والذل والجوع والجهل في وطن حدوده الشمالية والجنوبية سواحل غنية بثروات وبترول وسياحة، يشقه النيل من أقصاه الجنوبي للشمالي، يحتضن سيناء وارض الفيروز ورماله كنوز، فيه ثلث آثار العالم، به ومعادن وذهب، أراضيه خصبة وشمسه ساطعة وسماؤه صافية، واحاته جنات صحرائه يمتلك ملايين من عقول واعية راقية".

صرخة لم تكن الأولى ولن تكون الآخرة تلك التي حملها بريدي هذا الأسبوع ردا على مقالي السابق "توشكري يا أستاذة يا بنت مصر يا مجدع" شباب يعيش غربة فى وطن لم يعد وطنه! أرسل لي أحدهم يقول "الفقراء والمطحونون ليسوا مواطنين درجة ثانية، لماذا يتجاهلهم القادمون دائما"؟ وآخر علق بقوله "متى نتخلص من المرتزقة الذين يضلون الناس ويهينون الوطن ويرخصونه ويدهسون القيم ويكفرون بميثاقهم الإعلامي والإيماني"؟ وثالث كتب "حضن الوطن أصبح كفن، والإسفاف يكاد يغرقنا ونحن لا نجيد إلا دفن الرؤوس كالأنعام".

أما الرسالة التي توقفت أمامها طويلا فكانت من "الفنان المنسي" هكذا كنى نفسه، عمره لم يتجاوز الخامسة والعشرين وحاصل على تخصص نظم المعلومات وليسانس آثار ونحات ورسام ومؤلف، ورغم إمكاناته ومهاراته لم يجد عملا إلا كفلاح أجير أو عامل بناء!! هو صاحب الكلمات التي

ابتدأت بها مقالي ومعها أرسل يقول "آمالنا خابت وحياتنا سُلبت وواقعنا حزين ومستقبلنا غائم غائب، في الليل نكتب عن الأمل والأحلام وفي النهار نعيش خياباته فلا مكان لنا في الوطن ولا في الحياة، جنة بلادي لن تطؤها أقدام المهمشين أمثالي فنحن جيل خُلق ليموت أو يقتل، ومن يتصدرون المشهد لا يملكون إلا الثرثرة والإزعاج والنباح والكذب ونحن لا نملك إلا أن نسخر منهم،من مطلوب منه أن يعود لمن الوطن أم المواطن؟ لم نعد نتنفس في بلادي، أصبحنا نغبط أولئك الذين يتنفسون في قبورهم، صدور الشباب ألغام مهيئة للانفجار في وطن قاس يهملنا ويتركنا جوعى ثم يحدثنا عن الانتماء! ألا تعلمون أن الدود يأكلنا أحياء ولم يعد ينتظرناعند مقابرنا؟! لقد مكثت ببيتي عدة أسابيع خرجت بعدها وجدت الناس كما هم عابسين حزينة قلوبهم زائغة أبصارهم، ومازال الكبار ينتعلون المسامير في أحذيتهم يدوسون بها علينا، فقط نحن من تراق دماؤهم وتنتهك أعراضهم وتهان كرامتهم، وإذا اختلفنا في الرأي مع الكبار نتهم في شرفنا وعرضنا وأصلنا بل وديننا.. ولكن ولأننا نجلد كل يوم حتما سنصبح جلادين ذات يوم".

انتهت الرسالة المريرة وامتلأت نفسي بالحسرة والأسى، فيا صديقي "الفنان المنسي" والذي احتفظ باسمه الحقيقي،على قدر ألمك والذي أحسه وأتفهمه وأقدره وألم أصحاب الرسائل السابقة على قدر فجيعتي بكم الكراهية التي ينتظرها وطني من جيل نبهنا عنه في مقالات سابقة لم يعد يسمع إلا "حديث الكراهية" ويعيش "صناعة الكراهية" والآن يحصد الوطن "منتج الكراهية"، جيل هم جلادوه المنتظرون!! هل نلوم شبابنا

وهم أحلامنا أم نلوم أنفسنا لأننا نقتل أحلامهم؟ نتركهم يتسولون إنسانيتهم بل ونفشل في تمثيل دور العاطفين والمربتين على قلوبهم! هم جيل شهيقهم الأمل وزفيرهم حقد ملتهب، جيل ينادينا بأن نصنع للفشل تمثالا في أكبر ميادينا ليطوفوا حوله! كيف نطالبهم بالوفاء لوطن حضنه قاس عليهم؟ الأسئلة مؤلمة وحزينة لم تعد تنتظر إجابات بل تنشد واقعا بات تغيره حتما بعد أصبح يأس الشباب وحزنهم علي أنفسهم فرضا.

obeikandl.com

كان يا حبة عيني جعان .. يا ضنايا

عفوا.. لسنا ممن يحترفون رؤية السيئ، بل نعشق وطننا بمره قبل حلوه، وطنا نهديه ينابيع الحب والهوى وفيوضات التصافي وهو يبادلنا العشق فيهدينا سكين الرحمة!! لا تدهشون فالوطن يلقنا ان السكين خير معلم ومربٍ، فها هو الصبي ذو الخمسة عشرة ربيعا يقنع بالخبز الحاف طعاما لكن بطنه تأبى "فتجرأ" وطلب من أمه كسرة "إضافية"، وهنا تفاجأت الأم "بتطلعات" وليدها وهي العاجزة عن تلبية مطلبه، ولأنه لامس ضعفها وخوفا من انتقال العدوى لباقي أولادها لم تدر إلا والسكين بيدها ينغرز في صدر فلذة كبدها تلقنه ما تعلمته من الوطن الحاني القاسي أن "الخبز الحاف رفاهية لا تغتفر لمرتكبيها"، ثم تنهار الأم صارخة (كان يا حبة عيني جعان، وكنت مغلولة من ضعفي وعجزي أمام ضنايا)، وكانت تلك إشارة تحذيرية لمن "يلمس ضعف الآخرين" فهل من مدكر؟

وأخريات أبين أن يأكلن بأثدائهن فبعن أولادهن أو أحدثن عاهات وحروقا في أجسادهم الغضة البريئة ليتسولن بهم وليعشن كل يوم مذلة الضعف والهوان وأشد مشاعر الإنسانية إيلاما، في بلاد لم تكتف بقتل أبنائها حسرة وظلما بل وجوعا أيضا.. السؤال الآن من قتل من؟ الأم قتلت طفلها أم الوطن يقتل أحباءه؟ تجردت الأم من أمومتها أم تجرد الوطن من حيائه؟ أصبح وطننا سمته الصلف والغرور والتعالي والتغاضي، وصرنا في هيئتنا الخارجية نبدو "أناسي" وفي دواخلنا وحوش عاجزة عن

الحزن، حين غاب الهدهد أعلن النبي سليمان عليه السلام "لأعذبنه عذابا شديدا أولأذبحنه" وفسرالعلماء هذه الآية القرءانية الكريمة بأن الذبح أرحم من التعذيب، وهكذا فطنت الأم دون أن تفقه يوما قول النبي أو حتى تقرأه.

هذا الحادث المفجع الذي يؤذ ضمائرنا ويؤرق مضاجعنا هل اعتبرناه؟ ترانا أدركنا أن الجوع لم يترك ركنا إلا ونصب خيامه في الوطن وضرب في أطنابه؟ ورغم أن مواردنا لم تشح وأرضنا لم تعقم عن الإنبات إلا أن الناس يئسوا من بلد لم يعودوا يسألوه أعطاهم أم جحدهم، بل يقتلون ابناءهم هربا من فقر أحنى الظهور ومن العوز والجوع الذي استعاذ منه نبينا صلى الله عليه وسلم واصفا إياه بقوله "بئس الضجيع".. ترانا في الصومال أم في بلاد أطعمت العالم كله من قمح سنابلها حين أجدب وجاع وضربته عجاف السنوات السبع؟ لكنه كان تحت حكم الصديق عليه السلام فلم يفعل فعلة الظالمين الذين يستولون على خيرات الوطن ويتركون الجياع مشردين يفترشون المقابر والطرق العفنة المظلمة ويلتحفون السماء ولسان حالهم يقول لمن ظلمهم: "هَبْ أنْ قد ملكت الأرضَ طيراً.. ودانَ لك العباد فكان ماذا ؟.. أليس غداً مصيرُك جوفَ قبرٍ.. ويحثو الترابَ هذا ثم هذا ؟!"

ماذا نقول لتلك الأم التعسة؟ أ نقول لها ماقاله النبي صلى الله عليه وسلم لفقير مثلها أن يحتطب؟ وأنى لها الحطب تلك المسكينة؟ أم نلعن من فسدت ضمائرهم؟ أم نُسمعهم صوت بطن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيقول لها "قرقرِ أو لا تقرقرِ والله لا تشبعِ حتى يشبع أطفال

المسلمين؟ أم نذكرهم بعمر بن عبد العزيز الذي كان ينثر القمح على قمم الجبال حتى لا يقال "جاع طير في بلاد المسلمين"؟ أم ندرك ما أدركته الصين حين أقالت المفسدين ومنعت كبار رجال الدولة من مزاولة أية أنشطة تجارية فقضت بذلك على مجاعة طالت نحو ٦٠٠ مليون صيني ؟

هل ننتظر ربيعا بل جحيما ينمو تحت أرجل الحفاة العراة الجوعى أم نقول لهم (نامِ جياع الشعب حرستك آلهة الطعام) ورغم ذلك رفض الجياع الانصياع ولم يناموا بل ثاروا على من سرق لقمة أفواههم وامتلأت معدته ونام بعمق فاستيقظ مرعوبا على أصوات جياع فرنسا تلاها جياع روسيا القيصرية.. وما فعله الجائع التونسي "بوعزيزي" ليس ببعيد، إنه التفاوت الطبقي السرطاني الذي تنمو خلاياه الخبيثة بشراهة متناهية ومقصودة والتي تنبه إليها الفاروق بن الخطاب رضي الله عنه حين قال لوال يستعمله "ماذا تفعل لو جاءك سارق؟ فقال الوالي: أقطع يده. فرد عمر: وإن جاءني من رعيتك جائع قطعت يد" وأعلن علي بن أبي طالب رضي الله عنه " عجبت لجائع لا يخرج شاهرا سيفه".

إلى متى ينتظر الجائعون وطنا يتعمد الكثيرون إظهار جفائه وقسوته وإخفاء حنانه ومودته؟ يا وطني الحاني القاسي.. شئت أم أبيت لا نرض بغيرك بديلا، فصلاتنا في محرابك أقدس تبتيلا.. ولكن قليلا من الرحمة لمحبيك وعاشقيك.

أسارى لعنة الكراكيب

مرتبكا ومربكا ذلك هو المشهد المصري الحالي والذي لا يحتاج لعين ثاقبة متخصصة أو جهد جهيد ليتم وصفه وتاطيره، فالكل يترقب ويرقب احداثه مابين طامعين وطامحين، متشائمين ومستبشرين، متوجسين ومهللين، المهم أن الجمع أصبح فريقين يخط كلاهما – من وجهة نظره – صفحة جديدة في عشق وطن يرونه قادرا على صنع خلوده.

فريق المتشائمين يرون أن الأوطان درس "نحو" فشلنا في استيعابه، حيث تحول الفاعل وهو الشعب إلى مفعول به وفيه، ومالبث ان اصبح جملة لامحل لها من الإعراب، هؤلاء يحملون على ظهورهم ولا تفارق أذهانهم وأعينهم مشاهد مريرة امتدت طيلة سنوات ثلاث، كان المصريون خلالها في زيارات أليمة لمقابر افواهها فاغرة يشيعون شهداء وأمواتا مزقوا قلب الوطن وكسوه سواد الحداد، يرمقون حماقات لقامات لم تعد سامقات بل أضحت اقدام غائصات في وحل فكري وسياسي ماله من قرار، هذا الفريق لم يعد ير إلا نوازف الجروح وكفوف بالدماء مخضبة ومقل دامعة، ولا يسمعون إلا صراخ وعويل أمهات ثكلى فقدن أبناء وأزواجا وأحبة، يرون الوطن مخيفا مرعبا يحدوهم الأمل في الهروب منه لا إليه، هؤلاء تقتلهم أوجاعهم، يرسمون لمصر لوحة تزدحم بالأرامل والأيتام والجوعى والعرايا والدماء المراقة والنفوس الخانقة، وفي جانب من اللوحة كثيرون يسكبون النار مشعلين فرحين.

هذا الفريق موقن أننا أسارى "اللعنة" لعنة الخوف من الجديد، فنظل نبحث عمن يشبهنا ويشبه قديمنا عملا بالقول "اللي نعرفه أحسن من اللي ما نعرفوش" لذلك نبحث عمن يشبه ناصرا أو السادات أو حتى مبارك! عبيد للماضي معقودة أمالنا وعقولنا عليه معلقة به قلوبنا، لا نرضى ولا نحتمل التغيير والتجديد، مرهونون بالقديم تماما كعشقنا "للكراكيب" المهملة داخل منازلنا وعلى أسطحها لا تبرحنا ولا نبرحها رغم ما تراكم عليها من أتربة السنين، مع أن قليلا من الجرأة تخلصنا منها لنتفاجأ بفراغ جميل ونظيف يصلح لنملأه بالجديد المفيد، فلسفة هذا الفريق "نريد من يشبه نفسه لا غيره ليقدم الجديد"، يقارنون بين شعوبنا العاشقة لماضيها جعلها تسجل نذرا يسيرا في سجل الاختراعات العالمية، ولكنها في ذات الوقت تقدم سجلا حافلا من المراثي والبكاء على الأطلال ومعلقات كيف كنا وبماذا تفضلنا، بينما الغربيون عشاق التجديد في كافة المجالات الحياتية علمية كانت أو سياسية قادتهم فلسفتهم لاكتشاف عوالم جديدة ودشنوا كماً من المخترعات فاقت خيالنا، وفي كل استحقاق سياسي رئاسي نراهم يبحثون عن الدماء الجديدة والفكر الجديد من أجل وطن لابد أن يُخلق ويتجدد على أيدي أناس مشاربها متعددة.

أما فريق المستبشرين – وأنا منهم – فيرون أن مصر ومنذ سنواتها الثلاث تعيش ازهى أيامها، حيث يتم سبر أغوار شعبها واختبار قدرته على تحمل الصعاب وجسام الأمور، وحيث تتجلي الصورة ليشهدوا سقوط رموز مرحلة الانحطاط إلى الدرك الأسفل من المهانة، وتتكشف زيف أقنعة قيادات وأحزاب لبست لفترة طويلة مسوح الحكمة رغم أنهم هم

المتشدقون الانتهازيون المنافقون السارقون لحلم أوطانهم وشعوبهم وهم يشعرون، يدرك هذا الفريق حقيقة زيف علماء اللسان جهلاء القلوب يعملون عمل السفهاء، يلمسون فقرا وجوعا ومرضا يكاد يفتك بنصف شعبنا ورغم ذلك لم تفلح تلك المعاناة في محو إصرار وعزيمة ساكنة في العيون رابضة في القلوب لتحقيق غد أفضل بعزيمة لا تلين بحثا عن حرية لهم تلين، يفرحون بتمسك الجميع بحقهم في التعبير عن أرائهم ورؤاهم في وقت صار صاحب المقام الرفيع يخاف قبل أن يجلس على كرسي المنصب من غضبة وثورة من نصبوه ورفعوه لأنهم ولاشك قادرون على أن يركلوه بعيدا عن المشهد، يغبطون وعيا ونضجا مبكرا شبابيا تجاه الوطن وقضاياه رغم حداثة سنهم إلا أنهم متمسكون بلعب دور فاعل في بناء المجتمع.

وبين رؤية هذا الفريق وذاك تتراوح درجة التفاعل مع المجتمع صعودا وهبوطا.. المهم ألا نكتئب أبدا وألا نقرر لحظة الانسحاب من ميدان الأمل والتفاؤل والإيمان بقدرة الوطن على إقالة عثراته مهما كثرت والنهوض من كبواته وإن تعددت، علينا أن ندرك أن الفجر لن يبقى يتيما وحده ولن يسعى متفردا وحده.. مهما احتشدت النبوءات.

عذرا يا حبيبي

خُرقت له قوانين الأرضين والسموات ليرى من آيات ربه الكبرى، أنعم عليه بمقام الخلة والتكريم والإدلال والانبساط والرفعة والاتباع، سيق له البراق ليصله بيت المقدس كي يعرج بعدها للسموات العلا، يكلم الأنبياء ثم ينتهي إلى مستوى رفيع فيسمع صريف الأقلام ليرى سدرة المنتهى والتي غشاها ما غشى من جمال أزلي ونور إلهي وعظمة ملائكي، ليرى جبريل بأجنحته الستمئة، والرفرف الخضر يسد الأفق، والبيت المعمور والخليل إبراهيم مسندا ظهره إليه، والكعبة السماوية يدخلها كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يتعبدون ثم لا يعودون إلى يوم القيامة، راى الجنة والنار رأىُ العين وسأل عن حال أصحابها، وفرضت عليه الصلاة بلا وساطة ليهبط بعدها بيت المقدس يصلي بالأنبياء إماما لهم، يُعرض عليه فيختار الفطرة لبنا خالصا سائغا للشاربين.

احتفى به رب الأكوان والملائكة والنبيون أجمعين، وأتاح له العوالم الكبرى فصغرت الدنيا في عينيه، هيأ له الثقلين والدارين تشريفا له ممن هو مستخف بالليل سارب بالنهار.. من مولاه سبحانه الذي أرسله رحمة للعالمين ممتدحا أخلاقه، يعود بعدها معلم البشرية صلوات ربي وسلامه عليه يجلس على الحصير مع الفقراء والمساكين يبكي ويدعو أن يُحشر في زمرتهم !

يا حبيبي.. في ذكرى إسرائك ومعراجك أنعي إليك أمتك التي شُغلت عن دينها بتوافه الأمور، صرنا مسلمين بلا إسلام وصارت بلاد غيرنا مسلمة

بغير مسلمين، إليك نعتذر يا من اشتقت لرؤيتنا ونحن لا نبالي، تركنا سنتك فكيف ندعي أننا اشتقنا لرؤية وجهك الوضاء؟! يا رحمة مهداة يا من كنت تردد دائما "لولا أشق على أمتي" خفت علينا من المشقة فتهاونا وتكاسلنا، آثرتنا بدعوتك المستجابة وخبأتها لتشفع لنا بها ونحن اليوم ترانا بم نؤثرك؟! كل الخلائق يوم العرض تقول نفسي نفسي وأنت وحدك يا حبيبي تقول أمتي أمتي.

يا حبيبي كم عانيت وعُذبت واضُطهدت وطُردت وحُمّلت على ظهرك الشريف القاذورات وحَثَوا على وجهك الكريم التراب، وربطت الحجر على بطنك جوعا، ورماك الصبية بالحجارة حتى سال دمك الشريف فدتك نفسي وأنت بنبل تتمتم " لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله " فما أحلمك وما أصبرك، طُردت من أحب البقاع إلي قلبك وشُج رأسك وتكسرت أسنانك وقُتل أصحابك ووُضع لك السم وأنت تردد "أنا أولى من المؤمنين بأنفسهم".

يا محمود المقام أي عقوق نقترفه تجاهك وأنت تحاول معنا كي نكون خير أمة أُخرجت للناس، كنت بنا رؤوفا رحيما فبكيت لأجلنا تحسبنا أيقاظا ونحن الرقود، رماك حاسدوك بالسحر والكذب والجنون واليوم كذلك يتطاولون ونحن لم نستفق بعد رغم أن السيل بلغ الرُّبى، اليوم من لك يا حبيبي؟ من لدين الله؟ بل من للمسلمين؟ استُضعفنا وانتُهكنا واستُبيحت أعراضنا وأسرارنا وأُريقت دماؤنا واتُهمنا بالإرهاب رغم أننا مقتولون مذبوحون بالآلاف في كافة بقاعنا!! حتى أنت يا حبيبي مازلت تُهان حتى الآن وتُسب ويُشهر بك ويُستباح عرضك يخوضون فيه ويلعبون ويُشوه

أصحابك ويرمى عرض عائش حِبك يا من كنت تبث حبها لمن زرعه في قلبك.

ولكن هل تعلم يا سيدي أن إهانتك كانت كذلك من أتباع دينك أنفسهم؟! قد هجرنا سنتك وأهملنا دعوتك وجافينا سيرتك وأنكر البعض منا أحاديثك ليكتفوا بالقرءان حكما وحده وقريبا يُنحى القرءان ليكتفوا بسفهائهم وحدهم، غالى البعض فيك وانت المتواضع القائل "أنا عبد الله ورسوله"، وتجرأنا على نبوتك يا طيب الأسماء والشمائل.

إليك أشكو أمتك، أمة الإسلام، أمة الشقاق والتمزق والخلافات والضعف والوهن، أمة القصعة التي تداعت عليها الأمم، أمة المساجد والمقدسات المنتهكة، دخل أعداؤنا غير خائفين ولا منكسين رؤوسهم بل معربدين مدمرين مدنسين، أتعرف أننا أصبحنا نكفر بعضنا البعض ولم نعد نوقر كبيرنا ولا نرحم ضعيفنا ولا نرعى حرمة الموت، وتباهينا بمنافقينا وسارقينا وشهرنا بالشرفاء فينا، ثرنا على من سرق قوتنا وحريتنا وتركنا من تطاول عليك،رفعت أنت من شأن المرأة وجعلناها نحن كلها عورة وغلفناها بسواد الحداد، نزعنا عنك الهيبة في الكلام وكأنك عابر سبيل وعدمنا الأدب في توقيرك ولم نعد نقرأ أو قرأنا وتناسينا كيف كان الإمام مالك يغتسل ويتطيب ويلبس ثيابا جددا ويتعمم ويقعد بوقار وخضوع ليقرأ من سيرتك.

يا سيدي وحبيبي شفيع المذنب إقراره، وتوبته اعتذاره، فهل تعف عنا؟ هل تعف عني؟ عن عبد ظلوم غشوم متمرد قاسي القلب مجرما؟!

الآن.. الآن يا وطني

الآن تلقي علينا الدرس يا وطني بعد أن حاول الواهمون تقزيمك وإهانتك والنيل من كرامتك، والآن فقط نقدم لك الاعتذار عمن ادعى خرافة جمود الشخصية المصرية وأنها غير قابلة للتغيير وخانعة لا تثور وقابلة للاستعباد، فقد أثبت المصري أنه يرعى داخله وحشا إذا مس أحد أرضه أو عرضه أو دينه، وعلمنا ألا ننخدع بصبره ولا بوداعته، فكهنة فرعون كانوا أول النهار سحرة فجرة وآخره شهداء برة.

نعتذر للأم المصرية الودودة الولودة المتحملة ثقل الزمن وجحوده، القابعة خلف الشقاء، الحانية بدمعها وقت الميلاد والممات، المعانية من هجران زوج أو ابن أو اغترابه أو نفيه أو سجنه أو فقده حتى أضحت تعيش مشروعا دائما للترمل أو "الاسترجال" ونعتذر عمن يشوه صورة المرأة المصرية أرق نساء العالمين طبعا وأحسنهن شمائلا وأجملهن ذاتا حفيدة هاجر التي أعطت للعرب نسبهم، ومارية التي حددت لهم خريطة أصهارهم حين نرى الراقصات والعاهرات يُقدمن على أنهن النموذج.

نعتذر للمصري أول من سطر منذ فجر التاريخ والضمير الإنساني أعظم الحضارات وأروعها،والذي اهتدى بفطرته السليمة لخالق الأكوان منبها أن وعيه لا ينفصل عن معتقده الديني وأن تنحية الدين جانبا يعني خللا في منظومته الوجدانية، فقد كسر شوكة التتار ودحر الصليبية وحمى المسيحية ونشر الإسلام.

نعتذر يا وطني لمثقفيك ومبدعيك ورموزك الوطنية عن "أرجوزات" عصرنا، فأين هم من شوقي والحكيم وحمدان وعويس والبارودي والمنفلوطي ومختار وزويل والباز ويعقوب ومحفوظ وعبد القدوس والسباعي والمازني وتيمور ونجم وناجي والعقاد وإدريس وأبو فاشا وأصلان وبنت الشاطئ وأم كلثوم ودرويش وعرابي وزغلول ومصطفى كامل.

نعتذر لترابك الذي تجلى عليه المولى فتقدست بقاعه وعاش ووُلد على أرضه الأنبياء والمرسلين والصحابة وتصدعت جباله من خشية الله وتفجرت صخوره عيون ماء وآوت إليه العذراء، لتهدي مسيحيينا إنجيلا علمهم أن مصر خزائن العصر من أرادها بسوء قصمه الله، فلم ينفصلوا عن الوطن في أشد محنهم على يد الإغريق حتى خلصهم الإسلام من عذاباتهم حاملا وصية خاتم المرسلين بهم، فكان درسا لدعاة الفتنة والانقسام.

نعتذر لشبابنا عمن وصفهم بالاستهتار واللامبالاة وألهاهم عامدا متعمدا بممارسة التفاهات والتحرش والهلوسة والجنون بل والهروب من ذاته ووطنه، فإذ به يفاجئ العالم بعبقريته وذكائه وثورته متلهفا على تحقيق حلمه في أن يتبوأ وطنه مكانته التي يستحقها، معلنا أنه أبدا لن يضيع ولن يترك وطنه للتجار والنخاسين، ونعتذر لعقولنا عمن يتصدرون المشهد والشاشات ويحتلون الساحات، يملؤها صراخا وضجيجا وكل مايثير الغثيان من سفاهات رغم أنهم مدركون بأنهم لن يكونوا مثالا للاقتداء.

نعتذر لنيلك النابع من الجنة عمن أهمله واختصمه وتركه فريسة مباحة رغم أنه بارك أرضنا وجعلها أما للبلاد وغوثا للعباد وفائضة بالخيرات، ولأرضك الطيبة المعطاءة والتي حاول البعض أن يسقيها الدماء فأبت معلنة أن كل الدم المصري حرام وأنها لن تنبت الحقد يوما وإن شرد بعض الأبناء.

يا وطني الحبيب، يا أطيب الأرضين ترابا وأكرم نسبا وصهرا، يا أطول قصيدة عشق عصية على الكتمان، يا من عقم الزمان أن يلد مثلك، يا عبقري الحضارة ومالك البراعة والمهارة، يا من فاضت مودته ومحبته للغرباء، يا حسن النوايا وطيب السجايا، يا منبع القيم والمثل والأخلاق، يا رفيع القدر والمقام.. هل تقبل الاعتذار؟

ممكن تشرشحي شوية ؟

بداية أعتذر للقراء الأعزاء عن عنوان مقالي والذي أخجل منه، لكن حقيقة ستشاركونني الخجل حين تعرفون قصته وتجدونه هو أنسب العناوين.. فكما جمعتنا الغربة والشوق والحنين الموجع للوطن، جمعتنا الصدفة حتى أصبحنا إحدى عشرة سيدة، فكان منا الطبيبة والمهندسة والإعلامية والمعلمة والسياسية والمحاسبة والعضوة بالمنظمات الدولية والحاصلة على الدراسات العليا من أرقى جامعات العالم، بسرعة تعارفنا كعادة المصريين الجميلة، وبدون أن نشعر وجدنا أنفسنا نتحدث عن المرأة المصرية التي لا نعرفها، نعم تلك التي يقدمها إعلامنا للداخل والخارج بإصرارعجيب يصيبنا بالذهول لدرجة تدعونا كي نتبرأ منها.

المصرية تجدها على شاشاتنا في البرامج والأفلام راقصة ماجنة جاهلة صوتها عال مفترية شرشوحة (أعتذر عن اللفظ ثانية) غير مهندمة فاقدة للحياء وغيرها من صفات تشعرنا بالخزي أمام أنفسنا، فما بالنا أمام الأخرين والأخريات من الجنسيات العربية والأجنبية، لدرجة أن إحدى النكات الشهيرة تصف جميع نساء العرب بالجمال والخفة والدلع وعند المصرية يصفونها (بالمفترية مايقدر عليها إلا ربنا)!! والعجب أن هُيء لبعض الجنسيات الأخرى أن الشرشحة (مزيد من الاعتذار) جزء أصيل من الثقافة المصرية!! ولاتنسى صديقتي المهندسة كيف أن إحدى صديقاتها العربيات طلبت منها أن تشرشح لها (أواصل الاعتذار)على الطريقة

المصرية كنوع من الترفيه في الجلسة وتعجبت حين استنكرت صديقتي الطلب.

والحقيقة لم أصب أنا بالاندهاش كباقي السيدات وأنا أستحضر في ذهني صور العديد من الإعلاميات على فضائياتنا وهن يمارسن قبحا لفظيا مصحوبا بلغة جسد تثير الغثيان وصوت عال منفر تجعل المشاهد يفر باحثا عن شاشة أكثر هدوءا واحتراما وأناقة في اللفظ والتناول، وأتساءل لماذا هذا التشويه المتعمد تارة وغير المتعمد تارة أخرى؟ لماذا تقدم صاحبة العبارة الشهيرة (شت أب يور ماوس أوباما) على أنها النموذج المطور للمرآة المصرية، فتحتفي بها كافة البرامج لدرجة ان تحل ضيفة على العديد من المنتديات الإعلامية والثقافية الدولية خارج مصر!! وهي تتباهى بكل فخر أنها حاصلة على دبلوم "بنين"!! والحقيقة أنا أثق في ذكاء القارئ الذي يدرك أني لا أقلل من شأن تلك السيدة التي عبرت عن مشاعرها بصورة تلقائية تجاه الرئيس الأمريكي، لكني أرفض أن تكون تلك هي الصورة المثلى التي يجب أن تصدر للعالم.

هل مطلوب منا الآن تذكير أنفسنا بمقولة الإمام الشافعي حين قال "من أراد أن يتزوج كل النساء فليتزوج مصرية"؟ أم نكرر ما حفظناه عن ظهر قلب عن تاريخنا النسائي؟! إذن إليكم هذا الدرس في مادة التاريخ والذي يبدأ من نفرتيتي وحتشبسوت وشجرة الدر وفاطمة إسماعيل وسميرة موسى وعائشة عبد الرحمن وملك حفني ناصف وصفية زغلول وهدى شعراوي ونبوية موسى ولطيفة الزيات وسهير القلماوي وفايدة كامل ورتيبة الحفني وسلوى حجازي وأم كلثوم وألفت السباعي وسكينة فؤاد وروز اليوسف

وعائشة التيمورية وعلية الجعار وزهيرة عابدين وهبة قطب.. وغيرهن ممن يفخر بهن الوطن. وهنا أتذكر الفنان السوري دريد لحام حين زار القاهرة لأول مرة تعجب من قسوتنا وتشويهنا لأنفسنا حين قال "بسبب إعلامكم وأفلامكم توقعت أن مصر كلها ملاه ليلية وخمارات وبين كل خمارة وأخرى توجد خمارة، وأن نساءكم عاريات في الشوارع وإذ بي أفاجأ بكم المحجبات"!! كما لن أنسى يوما عاد ابني فيه من المدرسة باكيا لأن أحد زملائه سبه قائلا "يا ابن المصرية" ولما سألنا علمنا أن هذه السبة تعني "يا ابن الرقاصة".

إذن أيها السادة ليهنأ أعداؤنا فنحن أشد قسوة على أنفسنا، وقادرون على تشويه صورتنا بعبقرية مدهشة غير مسبوقة، أما والمرأة المصرية التي رغم فواجع الأيام مازالت تزرع وتحصد وتنجب وتربي وتعلم وتعمل، وهي الخطوة الأولى نحو المعرفة وضحكة الحياة المخبأة، وهي البرد والسلام والدفء والحنان، والمتعبة الصامتة في آن واحد، على جبينها نضع تاج الاحترام.. أيتها الغالية الغائبة في فضائياتنا، الحاضرة في قلب الوطن وفجر الحياة، نفخر بك ولا نفخر بإعلام عليه أن يصمت طويلا.

جناة أم ضحايا ؟

مسرعة وفي حالة من الذهول دخلت عليّ المطبخ إحدى ابنتي التوأمتين تسألني كيف أرسل لها رسائل على بريدها الالكتروني أطلب منها شحن بطاقة هاتفي بقيمة مائة جنيه مصري، تبسمت وأفهمتها أن البوتاجاز لا يمكن أن يرسل سوى صينية المكرونة بالبشاميل تلك التي أقوم بإعدادها، ولأنها كانت جادة فلم تعجبها دعابتي وأصرت على أن أرى بنفسي، فتفاجأت بأن رسائلي إليها تنهال رغم غلق الكومبيرتر الخاص بي! وعلى الفور تركت صينية المكرونة تواجه مصيرها المحتم وأنا حانقة على وزارة الداخلية التي لم تراقب حسابي الخاص وكان لزاما عليها إذن أن تراقب المكرونة كي لا تحترق، المهم فتحت جهازي بسرعة لتصدمني نحو مئتا رسالة من الأصدقاء، بعضهم يطمئنني على إرساله لقيمة الشحن والبعض الآخر توجس من الطلب وأرسل يسألني مستفسرا، حينئذ تيقنت من سرقة "الأكونت" وبناء عليه قررت التصدي لهذا الهجوم المباغت رافعة شعار "عض قلبي ولا تعض أكونتي" ولبست مسوح العارفين الفاهمين ببواطن الحلول الالكترونية للشبكة العنكبوتية، وبالأمر المباشر طلبت من ابني أن يحل المشكلة وأفهمته أني أستطيع لكني أود منحه هذا الشرف، وأنا في قرارة نفسي أعلم مدى البلادة الفيسبوكية غير المسبوقة التي أعاني منها.

حُلت المشكلة واسترجعت حسابي وشعرت براحة وهدوء نفسي عجيبين، وقتها تساءلت مندهشة: لم كل هذا الانزعاج الذي عانيته وإلى أي مدى

أصبحنا أسارى العالم الافتراضي وشبكات التواصل الاجتماعي التي اقتحمت حياتنا وكنا نهاجمها وصرنا لا نكاد نستغنى عنها يوميا؟ هل نحن ضحايا أم جناة؟ تذكرت كيف كنت أهر أولادي وأكظم غيظي من شدة تعلقهم بالنت وتوحدهم مع أجهزتهم حتى لا يكادون ينطقون ببنت شفة مع بعضهم بعضا على مدار يومهم إلا فيما ندر، يعودون بعدها مسرعين إلى عوالمهم الافتراضية فلا أرى إلا سماعات معلقة في الآذن وأجساد ترقص أو تغني دون أن أسمع شيئا وكأني أعيش وسط مجانين ووقتها أدركت معنى عبارة "المجانين في نعيم" وهذا هو الدرس الأول الذي تعلمته، أما الدرس الثاني فكان حين مارست وفهمت معنى الآذان في مالطة فلا من مجيب لندائي ولا راد لدعائي، فاضطر صاغرة للذهاب إليهم أشير لهم بيدي أني أودهم، ووقتها نسبت إليهم الفضل في إدراكي قيمة تعلم لغة الإشارة وكان الدرس الثالث، أما ابني الوحيد فكان حنونا حين تعجب بشدة لذهابي بنفسي إليهم وأراد أن يوفر عليّ المجهود فلقنني درسا رابعا في توفير الوقت والجهد ونصحني في حال احتياجي لهم أن أرسل رسالة عبر الفيس بوك أو الواتساب أكتب فيها مطلبي!! وهنا تعلمت كيف يكون الاتصال عبر الغرف بين الأسرة الواحدة كل منا يجلس قعيدا، وقتها أدركت كم كنت واهمة حين صدقت أساتذة الإعلام وهم يعلموننا أن الاتصال إما جماهيريا وإما وجها لوجه ولم يتوقعوا النوع الثالث من الاتصال الأسري.

المسألة ليست هينة وليست بالمزحة، فأبناؤنا أصبحوا كسالى لا يخرجون ولا يمارسون الرياضة ولا يجيدون مهارات التواصل الاجتماعي ويفشلون

في تكوين صداقات، حتى خلال الزيارات العائلية نجدهم كبارا وصغارا يحملون أجهزتهم وهواتفهم وسماعات الأذن يتجاورون في الجلسة لكن كل منهم يعيش عالما مختلفا، لا يتناقشون لا يتفاعلون ولا يريدون، وحقيقة أعلم أن كل جيل خلق لزمن يختلف عن سابقيه وعلينا أن نقبل هذا بل ونُعِدُهم لذلك، لكني أتساءل عن أولئك الذين أرادوا بثورة الاتصال أن تجعل العالم قرية عالمية صغيرة، هل حسبوا أنها ستتحول لملايين من الجزر الصغيرة الباردة الخالية من الدفء الإنساني وأنها تزداد انعزالا يوما وراء يوم رغم أننا خلقنا لنتعارف ونتواصل؟ الآن تعلمت الدرس الأخير وهي أن الإنسان لم يعد كائنا اجتماعيا رغم أن هذا هو الفارق الوحيد الذي "كان" يميزنا عن العجماوات!!

وا بغداداه

قف ناد بغدادا واستمطر مافيها.. واسكب دموع الأسى من عين باكيها.. قف صوب بغداد وانشد رسم قافية.. كانت قديما بها أحلى قوافيها *.. عندنا فقط نحن العرب (لا تسألوني عن معنى كلمة عرب) التاريخ لايمل نفسه من التكرار، فبالأمس ودعنا الأندلس واليوم نرثي العراق وبغدادا وغدا يكون الشام، جمع اليهود شتاتهم ووطني اليوم كله مهاجر ومشرد وأشتات، قالها مارتن لوثر "لن يمتطيك أحد إلا إذا وجدك محنيا" أجبناه على لسان مالك بن نبي "لدينا القابلية للاستعمار" في وطن نسير فيه على خطى الخائن "العلقمي" حين دعا الأعداء لتدمير بغداد فتكالب عليها التتار والمغول والطاعون، وها نحن الأن أشد منهم قسوة.

قد آن لحظة وداع شهرزاد ولياليها الألف، وليغرق السندباد في بحوره، ولنطفئ مصباح علاء الدين، ولنترك علي بابا للصوصه الأربعين، ولنمح شريعة حمورابي، ولنتهم ابن المقفع بالجهل لأنه ترجم كليلة ودمنة، ولننسى عشتار وإيوان كسرى، ولنهدم آثار بابل بعد أن قتلنا حدائقها عطشا، ولنغلق المدرسة المستنصرية كي نزور تاريخا كعادتنا المحببة، ولنشطب حضارات السومارية والبابلية والأشورية واليونانية والرومانية والفارسية والإسلامية، ولندّع أنا جهلنا أول حروفنا المكتوبة، ولنحرق خرائط رسمت بلاد الفضل والعدالة والخلافة والفقه والحكمة والهندسة.. ولنحرق كل ذلك ولو بآخر برميل نفط عراقي على طريقة بيدي لا بيد عمرو..

المهم أن نواصل فعل الخيانة تلك البئر العميقة التي أقبع "دانتي" في قعرها شيطانا ذا رؤوس ثلاث تلتهم بها الخائنين في الكوميديا الإلهية.

بكيت بغدادا وأسفي لما فيها.. قد أوغل الغدر حطم كل ما فيها.. بكيت بغدادا تاريخا أقدسه.. من الرشيد إلى المنصور بانيها.. كانت منارا لكل الناس شامخة.. واليوم أمست غراب البين ينعيها.. باعوك بغداد بئس السعر ما خجلوا.. وكيف يخجل من لا أصل له فيها.. قد تعاموا عن التاريخ ما حسبوا.. أن الخيانة عار من يدانيها.**

بغداد الأسطورة والخيال هل نرثي جعفرا بانيها أم هارون حاميها؟ نبكي زبيدة أم ترى عيونها في الحجاز تبكينا؟ نواسي المتنبي والفرزدق وأبا نواس والبيابي أم نترك نازك الملائكة ومطر والسياب يهيمون في كل واد؟ نُسكت لسان الخليل الفراهيدي أم نتهم ضمير أبو يوسف القاضي؟ ننسف اكتشافات المسعودي أم نُسفّه تراجم ابن حيان والبعقوبي؟ نتهم حُنينا والقفطي في ولائهما للفلسفة أم ندين زرياب بالفسق والزندقة؟ أقول لكم الأفضل أن نشد على يد شارلمان ملك الفرنجة مهنئين مباركين محاولته كتابة اسمه في وقت كان الرشيد هارون والمأمون يبحران في فلسفة الفرس والإغريق.

عيناك يا بغداد منذ طفولتي شمسان نائمتان في أهدابي.. لا تنكري وجهي فأنت حبيبتي وورود مائدتي وكأس شرابي.. بغداد عشت الحسن في ألوانه لكن حسنك لم يكن بحسابي.. ماذا سأكتب عنك يا فيروزتي فهواك لا يكفيه ألف كتاب ***

لم تعد بغداد أما للعواصم ولا دارا للسلام، اتشحت ثيابها بلون ظلام لياليها، استوحشت بانيها واغتيل باسم الدين كل جميل فيها، الأرامل جفت مآقيها واليتامى أحنت نواصيها، وارتعشت البيوت وتلونت شوارعها بدم شاهديها، تجاورت جثث أبي بكر وعمر والحسين فلم نعد نعلم من أي الفريقين فيها، انهمرت الدموع وانتحبت الثكالى فلم تستطع القبور غلق فيها، اليوم نرثي بلاد الياقوت واللازورد والعسل والذهب واللؤلؤ والحرير والعطور والتمور بل ورقيق أوربا البنات السبايا البيض، نرثي بلاد الانتصارات وشعلة العرب الثقافية وحاضرهم، بلاد الحكمة والموسيقى والفلسفة والترجمة، فالموت يتجول بوجهه القبيح في أزقتها حتى أضحت خوفا للآمنين، أنهارها حزينة وشوارعها بالخوف مسكونة بعد أن كانت حضنا دفيئا للتعايش الديني والمذهبي والعرقي.

من أسكن الشاعر الولهان موطنه.. بغداد أنت نجوم الليل والظلم.. بغداد أنت شفاء العين من رمد.. بغداد أنت لقاء الله بالأمم.. طردت منك لكن لا أودعك.. بغداد أنت انبراء الروح من السقم.****

* الديلمي

** حمد حجي

*** نزار قباني

**** المتنبي

الغرفة ٦١٦

لحظات ليست ككل اللحظات، حالة من الخضوع والاستسلام، يتجمهرون حولها في صمت مهيب، يلتفون في هدوء منظم، العيون تحدق مشفقة، شفاة تتمتم هامسة، دعوات صامتة، أصوات بعيدة خافتة، الكل يرقب وجلها وخوفها، ممددة في فزع بلا حراك يسرعون بها بلا هوادة، توقن أن لكل أجل كتاب ولكل نفس سائق واحد وشهيد واحد..فلماذا إذن يكثر السائقون حولها والشهود؟! ينتبه عقلها.. نعم نعم.. استطاعت النطق بالشهادة، اطمأن قلبها قليلا، كلما أسرعوا بها ينفض الجمع خلفها حتى تركوها وحيدة!! مازالت مشدودة القيود، آخرون يَقدمون بيض الوجوه.. يمدون أيديهم.. يمسكون شيئا، تفزع تحاول أن تشيح بوجهها عنهم.. تحاول الهرب، لا فكاك من الوثاق، فتحت فمها لتصرخ ألجموها به وامتلأ صدرها حشرجة، تحدثها نفسها كلهم يأتونه عراة حفاة فرادا، لكن عجبا وحدها تتعرى.. وحدها حافية.. وحدها مستسلمة، مايزالون يحدقون، تغيب عن الوعي شيئا فشيئا تلتقط ذاكرتها شبح عينين زرقاوين ترقبانها بإشفاق، تهوي في قاع سحيق، وقبل أن يغيب وعيها تماما تمسك بتلابيب فكرة أقنعتها وأفهمتها أن الروح تحلق لأعلى فما الذي تغير؟ تسيل الروح بخفة خارج جسد مسلوب الإرادة.. تمضي عبر نفق مظلم نحو السقوط، تتذكر ما أحضرت وما عملت من خطايا وذنوب فبصرها اليوم حديد، الأمر جلل.. أشد مما تخيلت، مازالت تهوي، تتلفت تبحث عمن لا

يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، اليوم تبلى السرائر، ترتجف تسري برودة شديدة في أوصالها، ء ماتزال الفرصة سانحة؟ الدرك الأسفل يقترب..يحاول عقلها استرجاع إجابات ثلاث حفظتها عن ربها ودينها ونبيها، هل تنفعها التوبة الآن؟ تتحسر.. وهل تنفع توبة الغريق فرعون؟! لا لا.. مستحيل هو رب غفور كتب على نفسه الرحمة أوصاها بشق تمرة وهي لطالما تصدقت بحمل بعير.

تعاني من شدة ورهبة، ألم فظيع يفتك برأسها، تتسارع دقات قلبها مضطربة، تصرخ.. عجبا لا يبدو أنهم يسمعونها منهمكين يقلبونها ذات اليمين وذات الشمال وهي باسطة ذراعيها في خضوع.. تهمس فزعة هلك عني سلطانية لا أدري ما حسابية، لا لا.. لم يكن لها جاه ولا سلطان إذن فلن يأخذوها ليغلوها في الجحيم بسلسلة قدرها سبعين ألف ذراع، تطمئن نفسها قليلا.. لكن عجبا لازالت الأيدي تمتد إليها.. ترتعش شفتاها.. تتشنج أصابعها.. تتيبس مفاصلها.. حشرجة صدرها تزداد.. تندفع فجأة نحو السقوط المروع، يُكشف عن ساقيها فلا تستطيع السجود، تحرك لسانها.. لا يطاوعها.. عجبا.. يداها تنطق، ورجلها تشهد، وجلدها يبوح، تصرخ فيهن تحذرهن.. عنكن كنت أناضل.. دافعن عني.. لا ينظرن لها وهن يؤدين مايؤمرن.. استمرت تصرخ فيهن سحقا لكُن، تقترب بشدة من القاع السحيق.. تعاني السكرات، أجفانها مثقلة، أدركت أنها لا تملك شفاعة ولا عدل، قضى الأمر.. تنهار.. تسيل أنهار الندم.. تزداد رجفة الجسد.. وحدها في وحدة مظلمة موحشة،يتخبط رأسها من المس، يسرعون بلا رحمة ولا شفقة، تفقد الوعي تماما.. يسّاقط الجسد ويلقى

مهملا.. وبصعوبة بالغة يلتقط سمعها صوتا بعيدا معلنا الغرفة ٦١٦.. في لحظاتها الأخيرة تدهش تتساءل.. ء للغرف أرقام؟ تفقد وعيها تماما ويسقط الجسد المسجى بلا حول ولا قوة، تشعر بأنفاسها تصعد إلى السماء تضيق حرجا.

تهوي الضربات الساحقة على وجهها، تعلو الأصوات والضجيج، تصرخ.. تستنجد.. تستجير.. ذلك اليوم الوعيد الذي كانت منه تحيد، الرؤرس لا تحصى ولا تعد.. الهول كبير والفزع عظيم والحدث رهيب، تحاول جاهدة رفع أجفانها لترى الغلاظ الشداد سود الوجوه يسحبون نفسها الخبيثة يترعون السفود من الصوف المبلول.. يبشرونها بعملها السيئ، تنهار وهي تشعر بيدها اليسرى ترفع عن دون إرادتها لتأخذ إذن كتاب أصحاب المشأمة.. إذن وقعت الواقعة غير كاذبة، لاتستطيع حتى الصياح، هذا يوم لا ينطقون، أنفاسها تتلاحق.. ياليتها كانت القاضية.. ياليتها كانت ترابا.. "مدام.. مدام" ياللعجب أتنادينا الملائكة بغير اللسان العربي المبين؟! وأين النداء يا فلانة بنت فلان ؟!! أخيرا استطاعت أن تصرخ تطلب العفو والمرحمة، أفلحت أخيرا في رفع جفنيها.. تُدهش وهي تشم رائحة صافية نظيفة.. تُذهل حين ترى بيض الوجوه ملامحهم فلبينية! عجبا تجده ثانية يأتيها مسرعا مبتسما صاحب العيون الزرقاء.. إيطالي السمت، يربت على يديها حانيا يعاجلها بإبرة مسكنة لآلام العملية الجراحية، تتوقف سيول الدمع.. تنتبه لآلام مبرحة في بطنها، قبل أن تصرخ تغمض عينيها.. تخلد في نوم عميق مبتسمة مطمئنة نسيت الشهادة وإجابات الأسئلة الثلاث.. ماتزال أمامها الفرصة سانحة للتوبة والنجاة.

حنظلة في غزة

هناك في غزة وجدته مكتف اليدين ومع ذلك يحمل الحجارة في مواجهة الخسة والجبن الصهيوني، صبي غض مازال في العاشرة من عمره رغم أنه ولد منذ نحو ٤٧ عاما! رث الثياب، حافي القدمين، يدير لي ظهره.. أسأله متى أرى وجهك؟ يجيب بتحد ومرارة: عندما تصبح الكرامة العربية غير مهددة وعندما يسترد العربي شعوره بحريته وإنسانيته، وقتها أدركت أني لن أرى وجهه في المستقبل القريب؛ فمازال الضمير الكظيم يعيش خيبات الحلم العربي غير قادر على تجاوز أزمنة الغباء التي نحياها.. إنه حنظلة، تلك الشخصية الخيالية التي رسمها الصحفي ورسام الكاريكاتور الفلسطيني ناجي العلي الذي تحل ذكرى وفاته بعد أيام حيث اغتاله الموساد في لندن والذي لم يترك إرثا سوى الكرامة العربية.. فهل ترانا ورثناها؟!

ولد ناجي العلي بقرية الشجرة بين طبريا والناصرة بفلسطين عام ١٩٣٧، وحينما وصل للعاشرة من عمره دك الصهيوني الغاشم بلدته واعتقله بتهمة معاداة الاحتلال فكتب على جدران زنزانته "لفلسطين طريق واحد وحيد هو البندقية"، هاجر مع أسرته إلى مخيم "عين الحلوة" بلبنان فاعتقله الجيش اللبناني، تلقفته حواضن المدن في طرابلس والكويت وبغداد والقاهرة ولندن، وأصبح ضمن أشهر ١٠ رسامين لفن الكاريكاتور في العالم.. وبفضله صعد هذا الفن لأعلى مراتب العمل الصحفي، رسم أكثرمن ٤٠

ألف كاريكاتور لم يهادن أو ينافق فيها أحدا، لذا حمل على كاهله رقما قياسيا في عدد التهديدات التي وصلته.

ابتكر ناجي شخصية حنظلة عام ١٩٦٩ كرمز للصمود والاعتراض والتحدي والضمير الذي لا يجب أن يغيب، المعجون بالفقر والحرمان والاضطهاد والبؤس الذي تعاني منه المخيمات الفلسطينية، إنه التاريخ الحي الشاهد، نبض الحجارة، الحلم والأمل واليأس الذي يعيشه عالمنا العربي، كان يقول عن نفسه: "أنا إنسان عربي فقط، اسمي حنظلة، لا يهم اسم أبي، أمي اسمها النكبة، ومقاس رجلي لا أعرف لأني دائما حافي، ولدت في حزيران_ يونيو ١٩٧٦" وكان حنظلة بمثابة التوقيع على رسوماته، والأيقونة التي تمثل الانهزام والضعف العربي، وكان يضيف "حنظلة هو أيقونة روحي تمنعني من السقوط، إنه البوصلة التي تشير دائما لفلسطين ولن ينتهي من بعدي، سأستمر به بعد موتي" كما ابتكر شخصية فاطمة تلك الأم الفلسطينية التي لا تهادن، وشخصية "السمين" الذي يزحف بمؤخرته العالية مشيرا للقيادات الفلسطينية والعربية المرفهه والخونة والانتهازيين، كما رسم الجندي الصهيوني المرتبك أمام الحجارة.

من أقواله "أنا متهم بالانحياز.. تلك تهمة لا أنفيها.. أنا منحاز لمن هم تحت" "اللي بدو يكتب ويرسم عن فلسطين بدو يعرف حاله ميت" "الطريق إلى فلسطين ليست بالبعيدة ولا بالقريبة إنها بمسافة الثورة".. وحين سئل عن حنظلة قال: "سيظل دائما في العاشرة ثلك السن التي غادر فيها فلسطين وحين يعود سيكون في العاشرة ثم يبدأ يكبر، لذلك فهو استثناء كما أن فقد الوطن استثناء "وعن سبب تكتيف يديه يقول:

"كتفت يده بعد حرب أكتوبر بسبب التطبيع مع التسوية الأمريكية، فليس من حق أكبر رأس أن يوقع وثيقة اعتراف واستسلام لإسرائيل فذلك خط أحمر".

ناصب بعض الأنظمة العربية العداء خاصة تلك التي رأها تبيع القضية الفلسطينية فكان يقول لهم "لكم فلسطينكم ولي فلسطين" وعنه قال الأبنودي: يا قبر ناجي العلي يادي الضريح.. كان ميتك للأسف وطني صريح. ورثاه أحمد مطر قائلا: اصعد فموطنك السماء إن الأرض للجبناء، وعنه يضيف محمود درويش: ناجي يقطر يدمر يفجر دائما يتصبب أعداء، وله ألف الكاتب الفلسطيني شاكر النابلسي كتابه "أكله الذئب".. مات ابن الأكرمين المتيقظ دائما الساهر على حراسة القضية والأمة، مات وهو يغرد خارج سرب السقوط، مات تاركا حنظلة في غزة الآن وحده يواجه عدونا الصهيوني متسلحا بحجارته المقدسة يحاول أن يلبس الأمة لبوس العزة.. فهل ترانا نستحقك يا حنظلة ونحن جلوس في مقاعد المتفرجين في سينما الخزي والبلادة العربية لا نحمل في أيدينا سوى أكياس الدموع نتجرعها على ما يحدث في غزة الآن؟!

أخيرا.. اتحد العرب

أخيرا اتحد العرب؛ فأمام شاشات التلفاز والفضائيات ترانا كل يوم جلوسا فاغرين الأفواه لأقصى مداها، مصدومين مذهولين منفعلين صارخين شاكين باكين ذارفين من الدمع المالح أنهارا حسرة على أشلاء جثث أهلينا في غزة، ودماء استبيحت وأريقت لتروي ظمأ أرضنا العربية المحتلة قهرا وحزنا فإذا بها تنبت عزا وكرامة، بيد نمسك "الريموت" حتى لا يفوتنا موعد المسلسل، وبالأخرى نلجم أفواهنا الحلوى والمكسرات لنتقوى على صيام الغرف المكيفة..هنيئا لنا صيامنا واتكاؤنا على الأرائك، وماذا عسانا نفعل ونحن لا نمتلك سوى يديدن اثنتين فقط؟!

لا تتهمونا بالتخاذل والهوان والعمالة والانحطاط والغباء والعجز حتى لا يفسد صيامكم، فمازلنا نمتلك أمضى أسلحتنا؛ سلاح الشجب والإدانة براءة اختراع عربية يقاتل به خفافيش الظلام القابضة على زمام أمورنا وعقولنا من المحيط إلى المحيط ومن النحر إلى البحر، وماتزال ذاكرتنا تعي ماقاله خالد بن الوليد "فلا نامت أعين الجبناء" نعم نعم نحفظها في أسنمتنا ونخزنها كالقات اليمني لنعيد مضغها واجترارها وابتلاعها مع طبق حلوى رمضانية فلا نشعر بمرارتها ولايطرف لناجفن، صرنا مهرة في التغافل واللامبالاة وماذا يعنينا إن كنا فقدنا أدميتنا وشرفنا وأصبحنا لا نستحق الحياة؟

لا يهم أن تُغتصب فلسطين ويحترق لبنان بطائفيته وينتهى العراق بمذاهبه وتُدمر سوريا وتُقسم اليمن ويُفصل السودان وتهلك ليبيا وتجوع الصومال المقرصنة وتترنح تونس وتُقهر المغرب وتهرم الجزائر ويتلاشى الأردن وتتفت دول الخليج وتُغيب مصر.. لا يهم أن تنهار أحلام العرب الاقتصادية فلا سوق عربية مشتركة ولا عملة موحدة ولا حواجز حدودية أو جمركية ذللت ولا عمل جاد ولا حتى نوايا صادقة.. لا يهم أنظمتنا السياسية المرتبكة المتشظية المتفاوتة الرؤى، المتعاظمة الأنا، الفاشلة في قيام أي تعاون بينها أو بين بعض دولها رغم الإعلان عن ١٥ اتحاد كان مآلها كلها الفشل.

لا يهم ذلك المؤتمر الذي دعا إليه "بنرمان" رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٧ جمع فيه سبع دول أوربية منددا بالانحدار الذي تحياه أوربا بسبب تعدد دياناتها ومعتقداتها وخلافاتها، نبههم إلى أن المنطقة العربية تملك كل مقومات النهضة.. دين واحد ولغة واحدة وموقع جغرافي ومواد خام، بل وتستطيع خنق أوربا بتحكمها في مضيق جبل طارق وقناة السويس وباب المندب ومضيق هرمز.. لا يهم مقولته الشهيرة "العرب يحتاجون لقيادة صالحة لينهضوا، فإذا نهضوا تشرذمت أوربا" وحين تساءل الحاضرون عن كيفية إضعاف العرب نصحهم بزرع جسم غريب يفصل مشرق العرب عن مغربهم مواليا لأوربا لا يُسمح بهزيمته يعمل على خلق حالة من اللاتوازن في المنطقة، لايهم أن قدم "حاييم وايزمان" نفسه وعصابته الصهيونية على قدرتهم أن يكونوا ذلك الجسم الغريب، فكان الكيان

الصهيوني وكانت نكبة فلسطين والعرب، لا يهم مرور أكثر من قرن على هذا المؤتمر ولم نقرأه حتى الآن، ولو قرأناه ترانا نفهم ؟

لا يهم أن تذوق أجيال الحلم العربي طعم الإخفاقات والإنهيارات السياسية والاقتصادية والعسكرية وحتى الرياضية، فكم مرة حصلنا على كأس العالم في كرة القدم خلال ١٩ بطولة أقيمت، رغم تمتعنا بإمكانات مادية عالية تمكنا من شراء لاعبين عالميين أو جلب مدربين مهرة وعقول واعية خبيرة لأبنائنا الذين لا تنقصهم الإرادة أو العزيمة، أقول لكم كل ذلك لا يهم.

المهم أن نعادي ذاتنا لنظل جيل الانقسامات غير المسبوقة، جيل التشظي والتشرذم، جيل الصمت والضمير الأبكم، جيل العقول المغيبة التي ترى بأم رأسها العربي المسلم يقتل وينتهك ويغتصب ويشرد في غزة فلا تظهرن إلا الشماتة في حماس وهنية ومشعل وكأن قدرنا أن تنسحب كراهية الأنظمة الحاكمة بعضها بعضا على الشعب العربي الواحد فيكره ويجلد ذاته، دعونا نستمع للأصوات البغيضة الناطقة بالعربية لا بالعبرية والتي تدعو للمشاركة في دك غزة، واتركونا نتحد ونتجمهر أمام التلفاز نتبادل أطباق المكسرات إحياء لطقوس الشهر الفضيل؛ شهر انتصارات بدر وأكتوبر، ومالنا وصيام أهل غزة الذي أفسده طعم الدم والتراب في حلوقهم.

حدوتة قبل العيد

اليوم يا ولدي لن أحكيك حدوتة قبل النوم؛ فالنوم رحل وتهدمت الغرفة وتحطم السرير وربما بعد دقائق أو لحظات ينهار بقية الدار والجدار، فلتلق نظرة وداع لتحفظه ذاكرتك الصغيرة الكبيرة كما حفظت آلاف الذكريات الحزينة وقليل منها بهيجة، لا تدع الحزن يسكن عينيك؛ فغدا تشرق شمس جديدة وعلى أرضنا ما يستحق الحياة، حين تذهب لمدرستك صباحا لا تألم إن تهدمت وضاع مقعدك وتحطم لوح معلمك، لا تبك يا ولدي وعد وساحاول أن أعلمك قدر ما أستطيع، في طريقك ارفع رأسك واحمل حقيبتك على ظهرك واحرص على بقايا دفاترك وقلمك المكسور آخر ما بقى لك، واحذر الصهيوني الملعون لكن لا تهرب، إن أوقفك مستترا بسلاحه البغيض لا تخف، دعه يجردك من ملابسك ويفتش حقيبتك بحثا عن سلاحك الحجري البدائي، حين لا يجد شيئا؛ انظر في عينيه بتحد، صوب نظراتك الكارهة فلن يستطيع أن يقتلعها من ذاكرته ولن يهدأ باله أبدا.

في طريق عودتك يا بني تجنب المرورعلى حي الشجاعية فالطرقات ملأى بجثامين الشهداء ولم تعد سيارة الإسعاف قادرة على حملهم فالمصابون والجرحى يفترشون أرض المشفى الوحيد؛ أذكرك منذ سنوات قليلة لم تكن تفقه الموت حين استشهد والدك وظللت بجواره تداعبه وتلعب بأصابعك في دمه ولعلك لعقتها؛ الآن صرت صبيا وأدركت حرمة الموت، وتأكدت من نضج عقلك يوم وجدتك تحفظ القاموس الذي وضعت كلماته من

أجلنا نحن فقط كالهدم والتشرد والتهجير والتفجير والحرمان وتكسير العظام والاحتلال والإرهاب والجوع والأسر والسجون واللجوء والاغتصاب والمخيمات وترك الأوطان والعودة والكرامة والقضية والأرض والعرض.

وكي تختصرالوقت اسلك طريق المقابر فهو أقصر الطرق لبيتنا، ستجد الخالة أم فارس تسقي الصبار على مدفن ابنها زميلك في مدرسة "الطفل السعيد"، وستجد خالتك أم إيمان تبكي ابنتها التي ماتت تحت أنقاض بيتهم المهدم بنيران قصف أحرق معه بيارة برتقالهم، قل لها لا تبك فما زال لديها صبية ينتظرون إحدى الحسنيين، بعدها اعبر للطريق المقابل الموازي "لمنظمة رعاية حقوق الحيوان" هو أقل خطرا فالدبابات لا تستطيع الدخول فيه والصهاينة مسلحون بالرشاشات فقط يصيدون الأطفال كالعصافير وأنا أثق في قدرتك على الجري السريع.

إذا مررت بجنازة فامش فيها ولا تتردد ربما تكون لمعلمك أو زملائك جهاد وعمر وعبيد الذين تمزقت أجسادهم اليوم برصاص محرم دوليا، لكن إذا شعرت بالخطر لا تحاول البحث عن ملجأ أو مخبأ لأنك لن تجد، حاول الهرب بسرعة فإن تعد جريحا أفضل من أن تؤخذ أسيرا، وإن جئتني شهيدا فلن أبكيك يا ولدي وسأطلق زغرودة الشهادة كما فعلت حين استشهد محمد الدرة وأصدقاؤك الأربعة وهم يلعبون على شاطئ بحر غزة، ومارية التي انهار عليها سقف غرفتها وهي تلهو بدميتها، ومريم؛ أتذكرها؟ رفيقتك ذات الثمانية أعوام والتي ذبحها الصهاينة في صفها الدراسي حتى سال دمها على دفترها.. كلهم ذهبوا إلى عالم البقاء والإحساس؛ غابت ملامحم

وبقيت ذكراهم وضحكاتهم ومداعباتهم؛ فالشهداء يا ولدي يعتقون ذاتهم وهم يبتسمون.

إن عدت يا بني من مدرستك فلن تجدني متعبة ككل يوم من أعباء المنزل، ولن أرهق من تنظيف فراشك الذي تبول عليه كل ليلة منذ استشهد والدك وقتها لازمك الخوف والرعب، من اليوم يمكنك أن تبول براحتك على الأرض وأنت نائم فالشمس تتكفل بتجفيفها، وستجد مفاجأة في انتظارك؛ فعمتك أم رحمة التي اختفت منذ أيام دهستها الدبابة وظل صغارها بجوار جثتها ثلاثة أيام يبكون حتى تمكن المارة من دفنها، وسيأتي أولادها عندنا كي تعلمهم الرسم، عليك أن تبحث في حقيبتك عن اللون الأخضر والأصفر والأزرق فهم مثلك يكرهون الأحمر.

وعندما تجيئ يا ولدي ولا تجدني أعددت لك طعاما فلا تحزن؛ فأشجار الزيتون قد اقتلعت ولم يعد لدينا طحين أصنع لك الخبز الساخن الذي تحبه، لكني مازلت أخبيء لك في ملابسي كسرة خبز جافة يمكنك أن تبللها بالماء.. وإذا وجدتني يا حبيبي تحت الأنقاض ممزقة الجسد فاسترني بثوبي وشالي، ولا تبك؛ فالوطن لم يضع كله بعد، فوحده يستحق دمعك الغالي، وتذكر أنك إذا أردت الحياة فكن مستعدا للموت، سأنتظرك تأتيني لتقرأ الفاتحة وتسقي الصبار فطريق المقابرأنت تحفظه جيدا، وعندما تعود وحدك للدار أو ما تبقى منها العب مع أولاد عمتك واعتن بهم، لا تبحث عن ثياب العيد ولا حلوى العيد فلم أعدها بعد لأن جارتنا أم سهيلة التي كانت تساعدني في السنوات الماضية طعنها الغاصب المحتل في بطنها وأفرغ جنينها.. فهل ستسامحني يا حبيبي حين تسمع تكبيرة العيد وأنت تواريني التراب؟ فعيدك يا بني لا يشبهه عيد.

السمكة الفاتنة

طيلة أربعة وثمانين يوما يلازم الشيخ حظه التعس؛ فلم يفلح في اصطياد سمكة واحدة حتى أشبعه رفاقه سخرية، وغادره فتاه الذي يساعده بعد إلحاح والديه، يظل الشيخ معلقا بالأمل واثقا في قدرته، حتى تعلق بسنارته – بعد يومين قضاهما في البحر– سمكة ضخمة، فيبذل جهدا مضنيا في صيدها ويربطها بقاربه الذي لا يسعها فيضطر لطعنها حتى تلين له، عائدا لقريته يمني نفسه "كم من أفواه ستأكل هذه السمكة؟ "وحين يحدق في ضخامتها وجمالها المهيب يستشعر جلالها الناتج عن لونها الفضي اللامع وخطوطها الحمراء الفوسفورية، فيسائل نفسه ثانية "ترى هذه الأفواه أهل لأكلها؟" وقبل اقترابه من الشاطئ يدور صراع مرير بينه والسمكة في جانب وأسماك القرش الوحشية التي تشتهي رائحة دم السمكة المطعونة في جانب آخر. يظل الصياد يدافع عنها صارخا "أيتها السمكة الفاتنة سأظل معك حتى الموت"، والقروش تصر على ألا تبرح قبل أن تولم بها، فتنهش لحمها الغض تاركة إياها رأسا وهيكلا عظميا وذيلا، في صراع غير متكافئ، يتحطم فيها مجداف الصياد ودفته.

ذلك كان ملخصا لا يعطي رواية "الشيخ والبحر" حقها ومكانتها التي تليق بها، للأديب الأمريكي العالمي "آرنست هيمنغوي"، الذي تمر هذه الأيام خمسون عاما على وفاته منتحرا بعد أن فجر دماغه ببندقيته التي ورثها عن والده المفتون صيدا، والذي يحلو للبعض أن يلقبه "بالعائد من الموت"، وقت كان مراسلا صحفيا في الحرب العالمية الأولى، حين أصيب

بحادث تفجيري أدى لاعتلائه طاولة الجراحة اثنتى عشرة مرة لاستخراج مائتي شظية من كامل جسده، ليتفرغ بعدها للكتابة، معاصرا الحروب الأهلية الأسبانية وثورة كوبا على العسكر، فكتب عمله الأدبي الماتع "الفائز يخرج صفر اليدين"، وينطبق على هذا الأديب الذي مارس النضال الإنساني طيلة حياته مقولة "أن الأدب والفن بجانب كونهما متعة، إلا أنهما سلاحان إضافيان للكفاح الإنساني".

حين أعاود قراءة تلك القصة الطويلة كما يعتبرها البعض، والتي ترجمت أكثر من عشرين مرة حاملة أحيانا اسم "العجوز والبحر"، والتي نال عنها جائزة "البولترز" الرفيعة ثم "نوبل" العالمية، والتي لم يدفعها للطبع إلا بعد مراجعتها بنفسه مائتي مرة، والتي تحولت إلى أكثر من فيلم عالمي سينمائي وتلفازي بل وإلى رسم متحرك مبهر.. حين أعاود قراءتها أتسمع صوت صاحبها وهو يعلن "قد يتحطم الإنسان ولكنه لن يهزم"، وأجدها دعوة للأمل وعدم التنازل عن السعي للوصول إلى المبتغى وتحقيق النصر، وأن قوة الإنسان تكمن في عزيمته وروحه المقاومة لنيل الهدف.

تتجلى حكمة الراوي وتصميمه الآكد حين يتملكه التعب بعد معركته مع القروش، فيأوي إلى كهفه لينام، وببزوغ الفجر يطرق فتاه الباب لنتفاجأ بعزمه على مصاحبة الصياد ثانية، فيتفقان على معاودة الإبحار مجددا، ولكن هذه المرة تختلف عن الأخرى، فقد استفاد من دروس تجربته السابقة ليفوز في معركته القادمة المتجددة مع قروش البحر المتربصة بأسماكه دوما، وهنا استرجع عبارته "أيتها السمكة سأظل معك حتى الموت".. فأجدني أردد "أيها الوطن سنظل معك حتى الموت".

إعلام زليخة

باكستانيا كان سائق التاكسي الذي ركبت معه في مدينة أبوظبي، أمليته العنوان الذي انتويته، ولما لم يجبني بكلمة أو حتى إيماءة من رأسه أعدته عليه، بصعوبة شديدة وبحروف لا تشبه أية لغة أعرفها مصحوبة ببعض الإشارات تأكدت أنه فهم مقصدي ولكنه لايجيد العربية ولا الإنجليزية ولا يتقن سوى لغته " الأوردو "، وأنه وافد جديد على دولة الإمارات التي تضم مزيجا بشريا من نحو ١٣٢ دولة يعملون في كافة التخصصات، كان الصمت سيد الموقف فكلانا يجهل لغة الآخر، لكني لمحته ينظر لي طويلا في المرآة الأمامية تحمل عيناه تساؤلا ما، استبد بي الفضول الصحفي وحملت له عيناي رسالة مفادها "سل ما تريد"، فبذل جهدا ليسألني عن جنسيتي في محاولة منه ليتعرف على عالمه الجديد الذي يعج بعشرات الجنسيات والألسن، أجبته أني مصرية، ولدهشتي فهم الكلمة بسرعة وابتسم ابتسامة ذات مغزى لم أطمئن له، وسمعته يتمتم قائلا "زليخة" ثم صمت بعدها ولم ينطق ببنت شفة، حاولت أن أسأله مقصده فلم يجب، وصوب نظره تجاه الطريق ولم يلتفت لي، بل ولم يعد ينظر لي في المرآة!!

وصلت إلى بغيتي ونزلت من التاكسي ورأسي تموج بالأفكار؛ تُراه يقصد أن مصر مذكورة في القرءان؟ فلماذا قال إذن زليخة ولم يقل يوسف عليه السلام؟! أم يلمح إلى أنها راودت النبي عليه السلام عن نفسه؟ فراجعت الكلمات القليلة التي تحدثت فيها مع السائق فلم أجدني قد راودته عن

نفسه حتى يشبهني بها، إذن يقصد توبتها وتبرأتها للصديق وكيف أصلح الله لها بالها؟ لم أحس أن هذا مغزى ابتسامته غير البريئة، الحقيقة تعبت من التفكير ولم أجد إجابة تريحني، وحاولت كثيرا نسيان هذا الحادث فلم أفلح.

ظل هذا الموقف عالقا بذهني عدة أشهر مسببا لي حالة من القلق، حتى ذهبت ذات مرة مع ابنتي التوامتين لحديقة السيدات؛ وهي من الأفكار الجميلة في دول الخليج حيث تخصص للنساء والأطفال دون سن الحلم حدائق مجهزة بالألعاب الالكترونية والملاعب الرياضية لتمارس النساء اللهو واللعب وحتى ركوب المراجيح دون خشية من عيون متلصصة، وقد يتحلقن ليمارسن الرقص والغناء كل حسب جنسيته يرددن أغاني وأهازيج تذكرهن بالوطن الذي لا ينسى، ونظرا لارتفاع درجات الحرارة والرطوبة تتخفف بعضهن من ثيابهن دون حرج، أما أنا فكنت أحيانا أخلع حجابي لأرى هل قدراتي العقلية والإبداعية ستزداد ويرتفع مستوى ذكائي أم لا، لأرد على الذين يدعون أن حجاب المرأة يعيق تفكيرها ويقيد أفكارها!! المهم حاولت كبح خيالي وعقل أفكاري والسيطرة عليها، كي أركز في المهمة التي جئت للحديقة من أجلها، ولأدع مسألة الحجاب وكبته للأفكار لمناسبة أخرى ومقال آخر.

التقيتها أخيرا، امراءة باكستانية، اقتربت منها وتعرفت عليها ثم قصصتها ماكان من السائق الباكستاني وسألتها تفسيرا يريحني، أحست المرأة بالخجل وحاولت الهرب من الإجابة، رجوتها وألححت عليها، وبحياء شديد فاجأتني قائلة "إن زليخة امراءة لعوب تغوي الرجال ولا تردعها أخلاق، وقد

كانت مصرية" حاولت كظم غيظي، وقلت لها بهدوء أن زليخة تابت وأنابت، وأنها لم تكن مصرية كما تقول بعض المراجع، بل من الهكسوس الأسيويين الذين غزوا مصر في تلك الفترة وحكموها لحين استرد الفراعنة العرش ثانية، فتجرأت الباكستانية لتصيبني في مقتل قائلة "دعك من زليخة، ألا ترين أن هذا حال المرأة المصرية؟ نراها هكذا على شاشات فضائياتكم، نحن إذا أردنا الصلاة والقرءان نشاهد الفضائية السعودية، وإذا أردنا الرقص والمجون نشاهد الشاشة اللبنانية والمصرية، هذه هي أفلامكم وهذا هو إعلامكم" روعتني إجابة المرأة، صمت وفي فمي ماء من الفن والإعلام المصري ذي اليد الطولى في تشويه صورة المرأة المصرية، تركت الباكستانية ومضيت وأنا أردد في نفسي: اصابت المرأة وأجرم إعلامنا.

القراءة للجنين

وضع رأسه على بطن زوجته وأخذ يقرأ سورة " الإنسان " وعلى مدار فترة الحمل ظل يعاود فعلته حتى وضعت له بنتا جميلة، بعد سنوات قليلات بدأ في تحفيظها القرءان الكريم وحينما وصل لسورة الإنسان تفاجأ بانها تحفظها؛ ابتسم في نفسه وأدرك أنها كانت تنصت له وهي لم تزل جنينا في ظلمات ثلاث، حين بدأت القصة في الذيوع والانتشار قابلها المتربصون بالسخرية والاتهام بالمبالغة.. وبعد سنوات معدودات تثبت الدراسات أهمية أن تقرأ الحامل لجنينها بصوت عال بل وتعيد عليه القصة التي أعجبته، وعن طريق حركة الجنين أو ركله لأمه يمكنها أن تفهم مدى رضاه أوسخطه، بل وتسمعه الموسيقى وتتحدث معه وتحكي له حدوتة قبل النوم. صناعة الأجيال أمنية كل غيور على أمته مرهونة بالرغبة الصادقة التي لاتخبو نيرانها، وهي ضربة فأس في تربة صالحة للزراعة، والتربة هنا هي عقلية الطفل التي يجب أن نطرقها بلياقة تليق، والحقيقة لن أقع في التكرار الممل الذي حفظناه عن ظهر قلب حول أهمية القراءة، ولن أندب حظ أمة "اقرأ" التي تعزف عن القراءة، بل اسمحوا لي أن أعزف لحن القراءة؛ كيف يستمتع به الطفل ويعشقه فنصبح كمن يصنع قارئا لا أن يشجعه فقط، فبعض الدول حتى من العالم الثالث نفسه تطبق مشروع "قراءة ألف كتاب للطفل قبل أن يصل لسن الخامسة" أي قبل مرحلة الروضة، حيث تبدأ القراءة منذ فترة الحمل خاصة من الشهر الثامن فتقوم الأم بقراءة القصص

لجنينها وعن طريق مكتبة الحي أو المدرسة – المفتوحة صيفا كذلك – يقوم الوالدان بتسجيل عدد الكتب التي تمت قراءتها للطفل منذ كان جنينا فرضيعا وهكذا حتى سن الخامسة، وكلما أتما قراءة خمسين كتابا تقدم لهذه الأسرة شهادة وجائزة رمزية.

المشروع لا يكلف الدولة شيئا؛ حيث تقوم بعض المطاعم الشهيرة ومحلات ملابس الأطفال بتقديم التجهيزات اللازمة من أرفف مكتبية ومقاعد وبعض ألعاب الأطفال مقابل وضع إعلاناتها داخل المكان المخصص، وتقوم تلك المكتبات بشراء الكتب المستعملة الرخيصة وتشجيع الأسر على التبرع بالكتب التي لم يعودوا بحاجة لها أو إعارتها للمكتبة واستردادها بعد فترة معينة، ثم تقوم بتقديم بعض الإرشادات البسيطة للأهل لتوعيتهم بضرورة القراءة لطفلهم بصوت مسموع لخلق صلة عاطفية بين الطفل والقراءة من ناحية وبينه وبين والديه من ناحية أخرى، كذلك تخصيص ركن بسيط في البيت يحوي بعض الكتب والمجلات المصورة حسب المقدرة المادية، وضرورة اصطحاب الطفل وقت شراء بعض الكتب والقصص واحترام اختياراته حتى لو لم تعجبنا، وكذا اهدائه قصة مثلا مع هدايا الملابس والمأكولات المعتادة ليفهم أن متعة العقل لا تقل أهمية عن متعة الجسد، وعدم إجباره على قراءة الكتاب أوالقصة حتى نهايتها، ليتركها وقتما يشاء فحتما سيعود إليها بعد أيام أو أسابيع.

تروي الكاتبة كاترين باترسون أنها قابلت طفلا سألها كيف يقرأ كل كتب العالم، بعدها عرفت أن معلمته كانت تقرأ له بطريقة مشوقة جعلته يعشق القراءة، كما ثبت أن أطفال الروضة الذين يُقرأ لهم بصوت عال يزداد

معدل ذكائهم عن نظرائهم الذين لم يُقرأ لهم، وتؤكد على ضرورة اختيار الوقت المناسب؛ كأن يكون الطفل شبعانا غير مرهق بعيدا عن التليفزيون وألا تكون القراءة عقوبة لأنه لم يفعل أو ارتكب خطأ ما، واختيار أفضل الأوقات خاصة قبل النوم حيث نصوغ لأبنائنا بنهايات القصص السعيدة أحلاما ماتعة. وحبذا لو تمت مبادلة الأدوار كأن يقوم الطفل بقراءة قصة ثم يحكيها لأحد والديه قبل النوم فهذا يكسبه ثقة في نفسه، ورائع أن تتحول القراءة للعبة جماعية في المترل، بأن يقول أحد أفراد الأسرة جملة يكملها الثاني فالثالث حتى تكتمل القصة، وأن نخصص مكافأة مادية بسيطة كلما أنهى الطفل قراءة قصة.

يقول الحكيم الصيني كونفشيوس "قل وسوف أنسى، أرني ولعلي أتذكر، شاركني وسوف أتذكر" وتُفسر عبارته تلك بأن الإنسان بعد نحو شهر لا يتذكر سوى١٣ % من المعلومات التي يسمعها و١٧% من التي يراها ببصره و٩٥ % مما حصل عليه بالحوار والنقاش، لذا فإن مناقشة الطفل فيما يقرأه من أنجع الوسائل لتثبيت معلوماته.

الخنزير هو الحل

ذهب أحد البسطاء إلى حكيم القرية يشكو له شظف العيش وحقارة غرفته الضيقة التي تؤويه مع زوجته وأولاده ورداءة المتاع وضيق ذات اليد العاجزة عن إطعام الأفواه الجائعة والبطون الخاوية، وتمنى على الحكيم أن يحل له مشكلته ويرشده إلى كيفية إسعاد أهل بيته ليحيا هادئا مرتاح البال كبقية جيرانه المنعمين، قاطعا على نفسه العهد بتنفيذ نصائحه وأنه عنها لن يحيد، تبسم الحكيم ونصحه بشراء خنزير شرط أن يسكنه غرفته ويعمل على إطعامه وتنظيفه كل يوم على ألا يعود إليه إلا بعد مضي شهرين كاملين مصطحبا إياه؛ أخذ الرجل العُجب وهم أن يعترض فذكره الحكيم بوعده، وهنا لم يجد بدا من المغادرة والانصياع بالتنفيذ، موليا وجهه شطرسوق القرية ليشتري الحيوان الموعود.

لأسرته عاد الرجل حاملا خنزيره وأخذ يطعمه ويسقيه والأسرة ترمقه في ذهول موقنين أنه فاقد لصوابه، ولأنه يدرك مايجول في خاطرهم قص عليهم ما قاله الحكيم وطلب منهم أن يأخذ كل منهم نصيبه في الاعتناء به، تمر الأيام والحيوان الكريه يعيث في الغرفة فسادا؛ يبول ويغوط أينما يريد، يحدث جلبة منفرة مزعجة، الروائح العفنة تنبعث منه بلا توقف، والعطن والقذارة تملآن الغرفة، وأفراد الأسرة جميعهم في حالة من النصب والكره، ضاقت عليهم الغرفة وازدادت معاناتهم اليومية، وكابدوا الجوع أياما طوال لأن طعام الخنزير يكلفهم ما لا يطيقون، لكن لا مفر من احتمال الشهرين أملا في الفوز بالسعادة بعد كل تلك المعاناة.

يحمل الرجل خنزيره ثانية متوجها هذه المرة لحكيم القرية بعد انقضاء المدة المحددة، يتهلل وجه الحكيم وهو يري علامات التعب والإرهاق والاشمئزاز

قد بلغت بالرجل غايتها، ولدهشتة يطلب منه ترك الخنزير والعودة إلى أسرته مدة يومين في انتظار السعادة المنشودة، بالفعل يعود الرجل وتتعاون الأسرة بكل همة ونشاط في تنظيف الروث وإعادة الغرفة لسابق عهدها يغمرهم الفرح والسرور، وبعد أن يبلغ بهم الإعياء مبلغه ينامون ليلهم – ولأول مرة منذ شهرين – دون الإزعاج المتواصل من الحيوان وبعد التخلص من الرائحة النتنة، في الصباح يفيقون وهم في حالة من الرضا التام عن معيشتهم وغرفتهم يزدادون ثقة في الحكيم الذي استطاع أن يشعرهم بالسعادة رغم أن أحوالهم المادية وغرفتهم الحقيرة هى هى لم تتبدل!! بعد يومين يحمل الرجل هدية للحكيم شاكرا صنيعه مشيدا بحكمته البالغة!!

لا أعلم لماذا تجول بخاطري تلك القصة وأنا أرى المعاناة الحياتية اليومية التي يكابدها المصريون على كافة الأصعدة والتي وصلت مداها وأكاد أجزم بأن غالبيتها مصطنع، وكذا وأنا أشاهد مواكب المهللين الفرحين بمهرجان البراءة لمبارك وجمعه، وكيف أن البعض يتفنن عقله في كيفية استقبال الرجل والاعتذار له لأن الأمة أجمعت على ضلال، والضلال هنا كان ثورة ٢٥ يناير التي أصبحت في وسائل الإعلام توصف بأنها مؤامرة، وشبابها عملاء، ونُزع عنه لقب المخلوع ومنح لقب "الرئيس الأسبق " وروجت الأبواق "إياها" بأنه ووزير داخليته حبيب العادلي لم يأمرا بقتل المتظاهرين.. ولأننا نعيش في اللامعقول فعلينا أن نصدق أن الشعب يفقأ عينه بنفسه ويقتل نفسه ثم يرمي جثته في مقالب القمامة التي زكمت أنوفنا برائحتها ولم يتبق إلا حرقها فأين المشمرون ؟

وطن بطعم الشَتات

من منا ذاق هذا الإحساس؛ أن يأتي عدوك فيستولي على دارك ومالك ويغتصب عرضك، ثم يجبرك على هدم بيتك وإعادة بنائه وطلائه، وطواعية تسلمه له وماعليك إلا أن تغادر مستسلما بل ومسالما؟! هذا مايفعله المحتل الصهيوني في أراضي فلسطين المغتصبة، فحين يضيق الرزق بأبناء جلدتنا وعروبتنا وديننا لا يملكون إلا أن يتقاطرون ليعملون في طائفة المعمار لدى عدوهم؛ فيأتمرون بأمره وأمر فاقتهم فيشيدون بيوتهم على أراضيهم بقوالب من الطوب ملؤها الدمع والحسرة، ثم يسلمونها مستوطنات أو بمعنى أصح وأدق مستعمرات يهنأ فيها بني صهيون! فيعيش الفلسطينيون غربة مؤلمة في موطنهم.. وبعضهم يهاجر ليعيش مواطنة مؤلمة في غربتهم.

من منا يحمل داخله إرثا من الصراع حول هويته وواقعه الحياتي؟ صراعٌ سلاحه العلم والمعرفة ليس لبناء الوطن وإنما لهدمه؛ حين يطيل المحتل الغاصب أمد إذلال الفلسطيني ثقافيا؛ فالمناهج التعليمية تبدل وتغير، وتختفي خرائط كانت تحمل يوما اسما أوعلما أو شعارا لدولة فلسطين، لتحل خريطة الواقع المؤلم لكيان لقطاءٌ أبناؤه، وتبدل أسماء مدن وشوارع وميادين بلغة عبرية غير شريفة ولا بريئة، ويمحى المنهج الإسلامي من كتبه، فلا تجد شاردة ولا واردة تشير إليه من قريب أو بعيد إلا موسوما بعبارات وكلمات أقلها كلمة الإرهاب أما أكبرها فلا سقف له.

من منا يحتمل إعلاما عدائيا موجها متجاوزا كل مقتضيات الانتماء ومصلحة الوطن مروجا للهوان العربي وللوجه القبيح والقاتم للازدواجية الغربية تجاه قضايا العرب والمسلمين وفلسطين على وجه الخصوص إلا الفلسطينين وحدهم الذين يحتملون ويجبرون على مشاهدته على شاشاتهم في عقر دارهم حتى يغلبهم النعاس فيكملونه في كوابيسهم؟

من منا يحتمل أسلوبا ممنهجا لمحو ذاكرة الأوطان؛ حين تنظم الرحلات والمعسكرات للطلاب الصغار النابغين الفلسطينين الذين يتوق إليهم الوطن؛ فيسافرون تحت مظلة مؤسسة علمية عالمية إلى أمريكا لتكريمهم، ثم يعودون بعد أسابيع أو شهورمن عمليات التلقين وغسيل المخ وهم على قناعة تامة بحق اليهودي البليد والصهيوني الشريد في بلاد العُرب التي هي أوطانه قبل أن تكون وطنا للفلسطينين!

المسألة باختصار تكمن في إجابة السؤال: كيف يستطيع العربي الفلسطيني الحفاظ على هويته في ظل صراع الغلبة فيه للأقوى؟ ولأنه لا عزاء لحق تائه وسط ضعفاء متفرقين تَخَلّوا عن حصنهم الإسلامي والعربي؛ يصبح السؤال لماذا الفلسطينيون وحدهم يتحملون؟ فالأقصى قبلتنا جميعا والمسرى والمعراج لنبينا.

سنة أولى حب

حاولتُ حتى يئس الليل من منامي، ودون أن يراني ويعرف الشوق الذي بدأ يعتريني حتى قبل أن يغادرني؛ مسحت دموعي وأخذت أرتب أشياءه في حقيبة سفره، وحرصت على أن أشرف على كل كبيرة وصغيرة قد يحتاجها في غربته، أعطيتها إياه دونما كلمة ودون أن أنظر إليه، أخذت رأسي بعدها بين يدي وبكيت. تضاربت مشاعري بين فرحي بيوم انتظرته سنوات طوال وحزن وغربة فراق بيننا لأول مرة، راودتني نفسي أثنيه عن قراره.. وفجأة داهمني طوفان من ذكريات مبعثرة تلح عليّ لأرتبها علّها تلملم شتات نفسي.

فمنذ سنوات ليست بالقريبة كنت طالبة مجتهدة حين فزت بالمركز الثاني على المحافظة في نتيجة الثانوية العامة، وبدأت في ترسيم خطوط حلم حياتي أن أكون صحفية، ولم يخلف مكتب التنسيق وعده، وزف إليّ خبر قبولي بكلية الإعلام جامعة القاهرة، رغم توقعي إلا أني فرحت أيما فرح، وأنا عَجلة من أمري بدأت في ترتيب شئون سفري للقاهرة لتقديم أوراقي للجامعة، نظرت لعينيّ والدي الدامعتين وقرأت فيهما توسلا حنونا محاولا أن يثنيني عن هدفي وأن أختار أية كلية أخرى في مدينتي، المهم ألا ابتعد عنه وهو الأب المكلوم حديثا في ابنه الذي مات غريقا في الأسكندرية واشتعل بعده رأسه شيبا من الحزن، وبذلك صرت أنا أكبر إخوتي، ولأني كنت أقرب الأبناء لقلب والدي العطوف عزفت على قلبه لحنا أجيده

تماما؛ كي أستدر عطفه وحنانه وحايلته ودللته حتى أقنعته، ضعف الأب الحنون، ووافق واثقا في قدرتي على تحمل المسئولية في غربتي وحدي.

القاهرة كانت بالنسبة لي رحلات مدرسية مبهجة أو زيارات للأقارب في بعض المناسبات، أما الأن وأنا في طريقي لتقديم أوراقي بدأت أقرأها بطريقة تختلف عمن يعيش فيها ويألفها ولم تعد تدهشه، وجدتها عاصمة تعج بالمتناقضات؛ فالقبح يجاور الجَمال، مزعجة بضوضائها مبهجة بأنوارها، الفوضى قانونها وازدحامها سر جاذبيتها، رائحة جوها خليط من الدخان والعرق والأتربة لكنه مليئ بعبق تاريخها وسحر أنفاس نيلها، مليئة بالغرباء الوافدين إليها من كل الأقاليم لكنهم سريعا ما يألفونها ويمنون أنفسهم بالعيش فيها رغم قسوته، منفرة مبهرة معا، تأسرك فلا تستطيع الفكاك منها وإن تمنيت في قرارة نفسك.. لم أدر بنفسي إلا والقلم يكتب مشاهداتي في مقالين أرسلتهما للأستاذ صلاح منتصر الكاتب الصحفي بجريدة الأهرام، ويا لروعة المفاجأة حين نشرهما في أسبوعين متتابعين في عموده "مجرد رأي" الشهير، وكنت بعد توقيعي باسمى أكتب "طالبة على وشك الالتحاق بكلية الإعلام".

بدأ أول يوم في العام الدراسي الجامعي، لم أكن أعرف أحداً من الطلاب الثلاثمائة الجدد مثلي، بدأ شعوري بالغربة، تُساءلني نفسي من يشاطر الغريبة حنينها لأهلها ومدينتها الهادئة الجميلة؟ وقبل الغرق في بحر التفكير دخل عميد الكلية ومعه جميع أساتذتها من مختلف أقسامها (صحافة إذاعة علاقات عامة) يرحبون بنا نحن "كريمة تورتة الثانوية العامة "كما أطلقوا علينا باعتبارنا طلاب إحدى كليات القمة، وفجأة سمعت الدكتور خليل صابات رئيس قسم الصحافة وقتئذ يناديني باسمي يبحث بعينيه عن مكان جلوسي وسط الطلاب! شعرت بدهشة تهز قلبي، أعضائي ترتعد بقوة،

ساقاي تفقد القدرة على التمدد والانتصاب، تساندت على المقعد الخشبي واقفة محاولة تلبية النداء "نعم أنا هنا".. هرب صوتي بعيدا ورفعت يدا مرتعشة تستفسر عما اقترفته من جرم هكذا أول يوم وجعل مئات العيون تجوب المدرج رقم ١ لتستقر مصوبة نظراتها إليّ.

وما أروعها من مفاجأة كانت؛ إذا بأستاذ الصحافة النابه يخرج من جيبه مقاليا الذين نشرتهما بصحيفة الأهرام بعد أن لفت نظره عبارتي "طالبة على وشك الالتحاق بكلية الإعلام" وبروعته احتفظ بهما منتظرا يومي هذا، ليرى تلك الحورية؛ ليسدي لها نصيحة مغلفة بمديح لم أسمع أعذب منه في حياتي حين قال لي "المواهب الصحفية قد تظهر في عمر مبكر ولكن مع الدراسة تكون أكثر إبداعا" حياني وابتسم بود وإعجاب، وإذا بالقاعة كلها تضج بالتصفيق، فكانت أجمل تحايا تلقيتها في عمري، في يوم كان مشهودا، وبدأت رحلتي الجميلة طواعية في بلاط الصحافة صاحبة الجلالة الفاتنة المتعبة.

ماما.. ماما هل انتهيت من تجهيز الشنطة؟ انتبهت فجأة على صوت أحمد أكبر أبنائي، واندهش حين وجدني أضحك والدموع في عيني، نظرت إليه تتقاذفني مطرقة الذكريات وسندان الوقت الذي يمر سريعا، ابتسمت له، ربت على كتفه، احتضنته، كيف أحرمه من فرحته ببناء مستقبله وبأول يوم له في العام الجامعي التي أعتبرها سنة أولى حب؛ يحب فيها نفسه وأحلامه ومستقبله، ويبدأ في تحقيق مايعشقه؟! ولم أبكي ولطالما حرضته أنا على السفر والاعتماد على نفسه؟! دعوت له، حملت أشياءه بنفسي حتى باب السيارة.. وفي غفلة منه ودون أن يراني وضعت قلبي في حقيبته يرحل معه حتى يعودا سويا.

إعلام "سرجون" العظيم

حملته أمه الكاهنة وألقته في النهر، وانتُشل بدلو، ثم عمل بستانيا حتى أحبته الآلهة "عشتار" وجعلته ملكا، إنه سرجون العظيم ملك الدولة الآكدية في بلاد مابين النهرين، تلك كانت أول عملية إعلامية يرصدها الباحثون لتضليل الرأي العام قبل الميلاد، بعدها توالت الأكاذيب والأضاليل عبر كافة الحضارات ومنها حكايات الآلهة العاشقة للبشر عبرممارسات الكهنة وأفاعيلهم المدبرة، وصولا إلى أحدث أكاذيبنا العصرية: فسيدنا يوسف في فيلم المهاجر كان وقحا، وعيسى العوام المسلم أصبح في خيال "عبد الرحمن الشرقاوي" مسيحيا يحب فتاة من الصليبين الهوسبتاليين وعنه نقل يوسف شاهين، وجيش العراق ثالث أقوى جيوش العالم، وصدام حسين يمتلك أسلحة الدمار الشامل ولابد من تدخل أمريكا، وغزو أفغانستان بسبب شرور القاعدة التي هي صنيعة مخابراتية أمريكية بامتياز، وداعش قوة لا تقهر تجتاح دولتين في بضعة أيام بالسيف والخيل، وضرب غزة رد فعل لصواريخ المقاومة، ودخان السجائر هي سبب الراحة التي تجدها المرأة حين تصعد مع حبيبها إلى أعلى قمة الجبل كما تروجة شركة مارلبورو العالمية.

"سائسي العقول" كما يسميهم – هربرت شيلر– في كتابه "المتلاعبون بالعقول " هم القادرون على طرح الأفكار التي يريدونها والترويج لها مستخدمين في ذلك خبرات وفنون الاتصال المتطورة وعلم النفس

الحديث، حتى صار كهنة الإعلام يتقنون "التضليل الإعلامي" بعد أن أصبح علما قائما بذاته، يهدف إلى إلباس الباطل ثوب الحق، وإخراج الزيف في لباس الحقيقة، وكتمان الحقيقة نفسها، بهدف السيطرة على وعي الجماهير ليكون "وعيا معلبا"، وحتى تكتمل الصورة تتعدد وسائل الإعلام لتردد وتبث نفس الرواية المتعمد إرسالها للمتلقي، فلا تجد الجماهير بُدا أمامها سوى التصديق، فأينما تولي وجهها تجد نفس المعلومات الضالة، رغم أن تعدد الوسائل كان الهدف منه رؤية الحقيقة من كافة أوجهها.

وكي يتحول الإعلام من أداة للوعي إلى أداة للتغييب والتضليل؛ عليه العمل – وفق قواعده الممنهجة الضالة المضلة – على استثارة مشاعر الخوف لدي الجماهير من وجود أخطار وأزمات تهدد البلاد؛ فالخوف يمنع المتلقي من التفكير السليم، ويمكنه تقبل الأكاذيب دون مقاومة، كذلك تزييف التاريخ، وتوجيه الرسالة لبسطاء العقول مع تكرارها حتى يصدقوها، والهجوم على الشخصيات والرموز، وإلصاق فضائح وهمية لهم يشغلونهم بها حتى لا تتم مناقشة أفكارهم وبرامجهم فينسحبون من الساحة ثأرا للكرامة وإيثارا للسلامة، كذا وصم المعارضين والخصوم بمعاداة الشعب والوطن والدين ووصف من هم بالسلطة "المالكة للوسيلة الإعلامية" بالوطنية وحماة الدين الساهرين على مصلحة الجماهير، بالإضافة إلى التقليل من جرعات البرامج الوثائقية والعلمية والتاريخية والثقافية والدينية وزيادة ساعات الترفيه والمرح المقدمة خاصة في التلفاز والإذاعة، وأخيرا شيطنة الآخرين ولصق الاتهامات والجرائم بشكل متكرر لهم مع

تكرار تلك الرسالة الإعلامية في اليوم عدة مرات بانتظام لدرجة يصدقها المثقفون والمفكرون يشبهون في ذلك عامة الناس وبسطائهم.

ترى كيف تكون النجاة من هكذا إعلام؟ وما الأسس القويمة التي ينبغي الالتزام بها لإيجاد منظومة إعلامية قادرة على النهوض بالمجتمع وثبر أغوار قضاياه دون تحيز إلا لمصلحة الوطن فقط؟ الدعوة مفتوحة لأهل الاختصاص وللعامة للمشاركة وإبداء الرأي، وقد تكون موضوعا لمقال قادم.

obeikandl.com

سبتمبر الشعر والحب والمطر

حين يزداد عشق الأرض للمطر بعد طول انتظار؛ يجيء سبتمبر/ أيلول في موعده، حاملا معاني النقاء والصفاء والأحلام الوردية وروعة الحب والشعر والرومانسية، هكذا أدركت الملائكية الصوت "فيروز"، فرغم تساقط أوراق شجره واختفاء طيره وفراشاته إلا أنها أزالت كآبة الخريف ونضّرت ذبوله وعدّلت مزاجه ومسحت الحزن عن جبينه، بكلمات "جوزيف حرب" الرائقة التي تفيض عذوبة تخترق المشاعر حين شدت: ورقه الأصفر شهر أيلول تحت الشبابيك.. ذكرني وورقه ذهب مشغول ذكرني فيك.. رجع أيلول وإنت بعيد بغيمة حزينة قمرها وحيد.. بيصير يبكيني شتا أيلول ويفيقني عليك يا حبيبي.. ليالي شتا أيلول بتشبع عينك.. ياريت الريح إذا أنت نسيت حبيبي أول الخريف وما جيت.. ينساها الحَور وقمرها يغيب وليلها يطول.. ونبقى حبيبي غريبة وغريب أنا وأيلول.

وينثر "نزار قباني" رذاذ االماء على صحراء القلوب فيجعله شهر عودة الرومانسية والحب والمطر والجمال حين يمتعنا قائلا: المطر عاد يا حبيبة المطر.. كالمجنون أخرج إلى الشرفة لأستقبله.. وكالمجنون أتركه يبلل وجهي وثيابي.. ويحولني إلى اسفنجة بحرية.. المطر يعني عودة الضباب والقراميد* المبللة.. والمواعيد المبللة.. يعني عودتك وعودة الشعر..أيلول يعني عودة أيدينا إلى الالتصاق.. وعطرك الهندي الذي يخترقني كالسيف..مطرك يتساقط داخلي.. يصير مهرا عربيا.. يصير بحجة تسبح في ضوء القمر.

ولمطر سبتمبر أنشودة يتغنى بها "بدر شاكر السياب" سابحا في عين حبيته فيقول: عيناك غابتا نخيل ساعة السحر.. أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر.. عيناك حين تبسمان تورق الكروم وترقص الأضواء.. كالأقمار في نهر برجه المجداف.. وهنأ ساعة السحر.. كأنما تنبض في غوريهما النجوم.. وتغرقان في ضباب من أسى شفيف.. كالبحر سرح اليدين فوقه الماء.. دفء الشتاء وارتعاشة الخريف.. أنشودة المطر.. مطر.. مطر.. مطر.. تثاءب الماء.. والغيوم ماتزال تسح ما تسح من دموعه الثقال.. كأن طفلا يهذي قبل أن ينام.. بأن أمه التي أفاق منذ عام فلم يجدها.. ثم حين لج في السؤال قالوا له: بعد غد تعود لابد ان تعود.

---

* القراميد: حجارة خاصة بجدران المنازل.

obeikandl.com

"حابي" المتأنق الطيب

لابد أنه فعلها في مثل أيامنا هذه؛ حين يحنو الطقس وتَحلو ساعة العصاري، فيحمل زاده من الخيال والسحر والعطر والظلال، ليطيل النظر إليه فتنجلي هموم نفسه وضيقه، يترقب "حابي" وهو يمر محتضنا بلدته "النخيلة " يتسمع أسراره ليفشيها لنا محمود حسن إسماعيل شاديا: سمعت في شطك الجميل.. ما قالت الريح للنخيل.. يسبح الطير أم يغني.. ويشرح الحب للخميل.. وأغصن تلك أم صبايا.. شربن من خمرة الأصيل.. آه على سرك الرهيب.. يا واهب الخلد للزمان.. يا ساقي الحب والأماني.

القدامى المصريون عشقوا الإله "حابي" وقدسوه، على هيئة رجل قوي البنية بارز الصدر ضخم البطن دليل خصوبته؛ هكذا شبهوا نيلنا الحاني العظيم مصدر الخير والحياة، جعلوه متقلب المزاج؛ فمرة يرضى فيأتي فيضانه مناسبا، ومرة يغضب فيغرق الأرض أو يهددها بالمجاعة، ولإرضائه نحروا الذبائح وقدموا العطايا وأقاموا احتفالات وفائه، فوفاء النيل تعني أن مياهه وافية كافية، أما أسطورة عروس النيل فلم يثبت صحتها، والبعض يؤكد أنها انتسبت بالخطأ للمصريين، لأن الثابت تاريخيا أن ديانة المصريين لم تكن تسمح بتقديم قرابين بشرية.

وفي ليلة قاهرية مملوكية مهيبة باذخة الاحتفاء؛ تخرج "دهبية" سلطان مصر تتهادى على صفحة النيل من "بولاق" مزدانة بالورود والأعلام حتى "فم الخليج" محاطة بمراكب الأمراء والمماليك والعامة مصحوبة بالطبول

والمزاميروالأغاني، حتى يصل السلطان بمعوله الذهبي فينقر سد الخليج ثلاثا معلنا بدء الحفر لتجري مياه الفيضان في منطقة "مجرى العيون" وتبيت القاهرة ليلتها في الشوارع والطرقات المضاءة بالقناديل والشموع والعامرة بموائد "السماط" تحمل أشهى الأطعمة والمشاوي والحلوى والفاكهة هدية من الأمراء للرعية ابتهاجا بفيضان النيل.

بهذه العظمة والمهابة متع المصريون نيلهم قداسة واحتراما وتقديرا، ولم يكن هذا بغريب على نهر جاء بالسنة الصحيحة أنه من أنهار الجنة، ذلك الذي احتضن موسى عليه السلام مطمئنا قلب أمه، وهو نفسه الذي تحول لنهر من دم آية من المولى لفرعون وملائه – تحذيرا – لحاكم ظلم المصريين، ولأنه عبقرية الزمان والمكان وإبداع الخالق الوهاب المنان؛ والنهر الوحيد بالعالم الذي يزداد ماؤه في أشد ما يكون الحر حين تنقص جميع أنهار الدنيا وعيونها.

لم يكن غريبا على أمير الشعراء أحمد شوقي قوله: النيل العذب هو الكوثر.. والجنة شاطئه الأخضر.. ريان الصفحة والمنظر.. ما أبهى الخلد وما أنضر، ومع انسياب مياهه تنساب أعذب الأنغام وأرق الكلمات لأطول أنهار الدنيا قاطبة، فيقف شاعرنا متعجبا متسائلا: من أي عهد في القرى تتدفق؟ وبأي كف في المدائن تُغدق؟ ومن السماء نزلت أم فُجرت من.. عُليا الجنان جداولا تترقرق؟ وبأي عين أم بأية مُزنة.. أم أى طوفان تفيض وتَفهق؟ وبأي نَول أنت ناسجُ بُردَة.. للضفتين جديدُها لا يَخلَقُ؟

وعجبا لنيلنا حين يصطبغ ألوانا تختلف باختلاف فصول السنة بل وباختلاف مواقيت اليوم الواحد؛ فتارة تجده ذهبي اللون وتارة أخرى

فضيا ومرة رماديا ومرة ثانية أزرقا، وفي الليل أسودا متلألئا "في كل آونة تُبدل صبغة.. عجبا وأنت الصابغُ المتأنقُ" كما أصدقنا شوقي، ولأنه قلب الوجود وفتنة الكون وخمر فرعون ونشيد فخارنا ومُجري النعم لمصرنا الذي شابت على أرضه الليالي وضيعت عمرها الجبال؛ وهو الفتى اليافع في عنفوانه.. تراه ماذا يقول عن أحفاد الفراعنة اليوم بعد أن اعتلاه الشحوب والإهمال والتلوث من شعب استمد جماله وطيبته من جمال وطيب فيض نيله؟!

obeikandl.com

متفائلون ومتشائمون

دُهشت من مقال كتبته منذ شهر إبريل الماضي؛ وماتزال ردود أفعال القراء تتواصل وتأتيني حتى الآن، أيقنت معه كيف لمست موضوعا يهم الكثيرين ويؤرق بعضهم مثلما كان ومايزال يهمني ويؤرقني، عنوانه "إلى صديقي المتفائل وسط مواكب المحبطين".. طرحت فيه تساؤلات حول لمن يكتب المثقفون، وهل يؤخذ برؤاهم، ومن هم المثقفون الحقيقيون، وهل هم متواجدون الآن على الساحة أم أننا ندعوهم للبؤس والإحباط والتصحر العقلي وتجفيف أقلامهم ورفع صحفهم حتى أصبح لسان حالنا يتساءل هل نرثيهم أم نرثي أنفسنا؟ وهل وضعهم يدعو للتشاؤم أم التفاؤل؟ اليوم أستعرض بعض الردود التي وصلتني.

تذكرت موشي ديان الصهيوني وهو يصف العرب بأنهم لا يقرؤون وإذا قرأوا لا يفهمون بل وينسون (د. محمود أبو رحمة أستاذ الاجتماع) المثقف والأديب لسان حال الأمة في سبات عميق بسبب خوفه من الاصطدام بالسلطة وأصبحوا غير قادرين على احتواء آلام الأمة (وليد أبو حامد عامل باليومية) حينما يحل الفساد يشمل كذلك المثقفين (المستشارالقضائي سامي) حال مثقفينا وثيق الصلة بتبعيتنا للغرب الكريه (علي بكار خبيرأغذية أردني) لايؤخذ برؤاهم هذا هو الداء الذي ليس له دواء (صبري عبد الرحمن شاعر) أحملهم مسؤلية جهل الأمة (ناصر الأردني

جامعي) أين يكتب المثقفون؟ (عبد العزيز عتمان كاتب) جيلهم دمره مبارك ونحن ندمر القادمين (مجدي أبو السعود طبيب).

الحكام أوقفت شعوبها عند حدود البطن وأصبح العقل معنيا بلقمة العيش (محمود عبد الحكيم أديب) المثقف المنافق الكذاب الأشر داء عضال لابد من مواجهته وفضحه (محسن عزيز حقوقي) من يكتب لأجل الناس فسينقلبون عليه ومن يكتب لأجل الحق فسيُكمل لآخر نفَس (رانيا عبد الغفار مهندسة مغتربة) الحقيقيون منهم نادرون وليسوا كلهم أصحاب عزم ومنهم من يتوقف عند أول هجمة عليه وقلة تمضي قدما (مهدي علي مغترب) نفتقد المخلصين الذين يكتبون بقلوبهم لا بأقلامهم (إيمان شهاب الدين مهندسة مغتربة).

أما القراء المتفائلون الباحثون عن بصيص أمل فقد قالوا: لن نستسلم لشعار "لا جدوى" فما أيسر أن نعطي ظهرنا للمشهد وننكفئ على الذات؛ التفاؤل عندي بديل للموت؛ يتشبث بالفعل والفكر ولوفي أدنى مستوياته (السيد حسن الشاعر والإعلامي المعروف) مازال هناك أصحاب قلم وفكر يسعون لتوصيل أفكارهم النبيلة (محمد المخزنجي شاعر وكاتب) لابد أن يتفق المثقفون على الثوابت لأن الخلاف رفاهية لا تحتملها الأوطان (البارون عيسى خضر تربوي ومؤرخ) يظل الخطاب والضمير الديني هو الحل (عمرو يونس جامعي) قد يبدو أنهم لا يفعلون شيئا ولكن الحقيقة أنهم يفعلون بتؤدة ويصنعون مستقبل الوطن ولنا في ثورة ٢٥ يناير عبرة (فاطمة رفعت مغتربة).

هناك رابطة وثيقة بين الحياتين السياسية والفكرية فإذا امتلك فريقا ما السلطة فلابد أن تنشق الحياة الساحة الفكرية عن أشباههم ونظرائهم، فمن المستحيل مثلا أن يتولى السلطة فاسدون وتكون الساحة الفكرية شرفاء، بل سيختفي الشرفاء أو تخفيهم السلطة ليتناغم الإيقاع بين الفاسدين في كل المجالات والعكس بالعكس، وعل هذا لابد من استقلال المؤسسات الثقافية عن الدولة (د. عبد البر علواني أستاذ جامعي) لا أحب جلد الذات؛ فالجيد يطرد الغث في الفنون والآداب، والعمل الخلاق لا يموت ونحن شعوب تقبر الردئ وتحفل بالمجدين (محمد فؤاد إعلامي).

مَن للجميلة؟

شريفة بتقدير إلهي حظيت به؛ ثرية بمعانيها المتفردة، غنية بمفرداتها، أبية عصية على من لم يدرك قدرها، طيعة لمن عشقها وأراد نيل سرها وودها وبهاءها الذي يليق بها، رأى الجميع حسنها فوقعوا في غرامها، سمعوها فَسَرّهم بنغماتها، جاءوا ليخطبوا ودها فتدللت وتأنقت على لسان حافظ إبراهيم شاعر النيل قائلة: أنا البحر في أحشائه الدر كامن.. فهل ساءلوا الغواص يوما عن صدفاتي؟! تلك الساحرة لغتنا الجميلة؛ تألقت حين نزل بها قرءان بلسان مبين لاعوج فيه يُتعبد به، لكن أهلها ضيعوها حين استصعبوها وحقروها ولاكت ألسنتهم لغات تحمل ثقافات مغايرة ترفعا عن عربيتهم وعروبتهم إحساسا منهم بالدونية والعيب فيهم لا فيها، هي لغة نغماتها ذات جَرس موسيقي خلاب حين نكتبها شعرا أم نثرا، رشيقة في خطها حتى أضحت لوحات فنية عالمية عشقها متذوقو الفن والجمال، امتازت عن غيرها بالحركات والمخارج وصفات حروفها فهفت إليها قلوب غير الناطقين بها وبإرادة قوية وعزيمة لا تلين جاءوا ليتعلموها، ولأن المولى تعهد بحفظها تكاسل أهلوها.

لغتنا السامية قالت عنها زيجرد هونيكا المستشرقة والعاشقة الألمانية: كيف يستطيع المرء أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟! فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحرها، والفرنسي وليم مارسيه وصفها بقوله "الجملة العربية كالعود إذا

نقرت على أحد أوتاره رنت لديك جميع الأوتار وخفقت لتحرك موكبا من العواطف والصور" هي لغة يتحدث بها نحو ٤٢٢ مليون نسمة لاتتباهي – ويحق لها – بكونها أثرت في كافة اللغات والتي أخذت عنها آلاف المفردات بنفس منطوقها العربي كالتركية والفارسية والأسبانية والإنجليزية والفرنسية والأردية والأمازيغية وغيرها، فهي أغزر لغات العالم تصل لنحو ٨٠ ألف كلمة لغوية يُشتق منها، بينما الإنجليزية قاصرة على ٤٢ ألف كلمة فقط.

ماذا عن حال الجميلة اليوم؟ حكت صديقتي كيف أنها طلبت من ابنتها فهم بعض سور القرءان الكريم وآتتها بكتاب تفسير ميسر، فإذا بها تنحيه جانبا وتطلب المدد من كتاب المعاني بالإنجليزية ومنه فهمت ما تود، مبررة فعلتها بأنها قادرة على القراءة بالعربية إلا أنها لا تحبها!! طبعا لن نُدهش لأننا ندرك أن الكثيرين من معلميها ضعاف المستوى عاجزين عن توصيلها بحب وإتقان فيبذرون الكراهية في نفوس أبنائنا فلا يألفونها، وهذه مدارس في بلادنا تعاقب الطالب إذا تحدث بها أثناء الفسحة، وتلك شركة طيران حولت أحد موظفيها للتحقيق لأنه تحدث العربية في فترة الاستراحة وهو يعلم أن الإنجليزية هي اللغة الرسمية في نطاق عمله، وذلك فندق يضع لافتة "ابتسم نحن نتحدث لغتك" فإذا سمعوا لسانا عربيا عبست وجوههم وبسرت وردوا عليه بالإنجليزية، وهؤلاء أبناؤنا يكتبونها بحرف أجنبي تحت مسمى لغة "الفرانكو"! وذالكم إعلامي لا يشعر بأدنى حرج حين ينصب الفاعل ويرفع المكسور ويجر اللغة معه إلى ما لا يليق.

إهمالنا للغتنا جهل بهويتنا وقيمتها وشرف الانتساب إليها، والحماقة بعينها التباهي والتماهي مع ثقافات غريبة عشق أهلها لغتهم فجملوها في أعيننا ورفعوا من قدرها وأوهمونا بانحطاط لغتنا، ولقد أصدقنا مصطفى صادق الرفاعي حين قال: "ما ذلت لغة شعب إلا ذلَ.. ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار". فإلى متى نظل شاكين متباكين عاجزين عن طرح حلول سهلة تعيد للغة بهاءها وتروض أبناءنا على حبها؟! خاصة وأنه بعد نحو شهرين أويزيدان قليلا يأتي اليوم العالمي للاحتفال بلغة الضاد ضمن اللغات العالمية المعترف بها، والذي أعتبره أنا يوما لتأبينها؛ ففي مثل هذا اليوم نشكو ونتحسر على ما آلت إليه أحوالها، ونترحم على جهود تبذل في كل مناسبة بعزيمة قوية ماتلبث تخمد جذوتها، فهل ترانا هذا العام نستمع لحلول وأفكار ومقترحات لإحيائها والحفاظ عليها والتعامل معها بما يليق بشرفها ورفعتها وجمالها؟ نأمل ونترقب بشوق.

بلقيس.. يا وجعي

تفقد الطير ولم يجده فتوعده بالعذاب الشديد؛ فمكث غير بعيد يتيه بعذره الجميل بعد أن أحاط بنبأٍ سبأٍ ومليكةٍ جليلةٍ ترافقها طواويس وتتبعها أيائل، ألقى الهدهد على عرشها المكين بمكتوب الحكيم؛ فتألق ذكاء الجميلة تجمع قومها فما كانت قاطعة أمر دون مشورة، فأعلن الجبارون بأنهم أولوا بأس شديد، فبصرت عرشها بخيلاء وجنانه الغناء وتساءلت الأنثى بدهاء: أين فطنتكم؟ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، انظروا لمملكتي المكللة بالياقوت والزمرد والذهب والفضة، ولبساتين سبأ وجنات عدن وعروس الزمان صنعاء ربة العرفان وسيدة الإنس والجان، انظروا ليمننا السعيد بهوائه الأعذب من الماء، ومائه الأصفى من السماء، وسمائه الأجمل من حلم الشعراء؛ مالكم لا تفقهون؟! تأنقت المليكة في حلتها اليمنية الحريرية وتعطرت بطيب سبأ وزينت ساقيها بخلاخل فضية، وتهادت تحمل هدايا الملوك للملوك من بخور وعطور وجواهر ودر نفيس وذهب وحرير وعطارة من أرض الأصالة؛ ومشت في وقار وحشمة تفصح عن تفرد بلادها وشرف نسبها وملاحة بناتها وطيب طعامها وبأس رجالها في أنشودة سطرها الزمان في تواضع وخجل مبتهلا لبريق عينيّ صنعاء قائلا "استغفري أنت مما تفعلين بنا.. هذا الجمال اليمني يقتل العربا" يَعجب النبي سليمان بفطنة ورقة قلب الجميلة ولين عقلها، فيُتَوِجُها ملكة على قلبه،

ويدوم سعد اليمن بقدوم من خضعت له الإنس والجان ولسان حاله يقول "لابد من صنعا.. وإن طال السفر".

ياأيها اليمن السعيد بأنعمه ومناقبة؛ يشهد القلقشندي بأنك صفحة تاريخ عبقة مازال الزمان يتنفسها؛ يا من تشرف بالأنبياء والصحابة، يامنبت العرب وقحطان ولسانهم، وأسطورة سالت قوافيها على لسان الشعراء والأدباء، يانبع الحكمة والبداهة والخطابة والبلاغة، يا صاحب الفقه والاعتبار ومأوى الأولياء والأبرار ومنك كانت الأنصار، يا من امتلك بلاغة الأقوال وسلامة الصدور والبعد عن الغرور، وصفك العدنان عليه الصلاة والسلام بالحكمة ولين الفؤاد، وأرسل سلاما على همدان قائلا أنتم منه وهو منكم وأنتم السحاب وخيار الأرض، وأول من يرود حوضه الشريف، وفيكم قال عليّ "لوكنت بوابا على باب الجنة لقلت لهمدان ادخلوها بسلام"، يامن تشرفتم بنوح وابنه وأيوب وهود وصالح وشعيب عليهم السلام فأبوا الفراق ورقدوا في ترابكم بسلام، ياثالث مسجد في الإسلام، يامن دعا لك المصطفى عليه الصلاة والسلام بالبركة وتَسمى الركن اليماني تيمنا بك وباسمك نزلت سورتا سبأ والأحقاف، وَوُصِفت بالجنة والبلدة الطيبة، وأَبَى النجم سهيل إلا أن يُولى وجهه شطرك فتبعته العرب، وكان منك الشاعر حسان والملك النعمان وخطيب الدنيا سبحان وسيف بن يزن في غمدان، يا جنة بلقيس وأسماء بنت عميس يا قبائل الخزرج والأوس وعاد وثمود والمقداد بن معد يكرب، يامن اشتق اسمك من سرعة إيمانك وميمنة جنودك، يا أهل النجدة والفطن والأقيال– الملوك – والجبال والجمال والجلال كما وصفك المختارعليه الصلاة والسلام.

يا يمن الحضارة والعروبة والإسلام، يا أول كيان سياسي وموطن الجنس البشري، يا قصة أصحاب الجنة والأخدود وإرم ذات العماد والسيل العرم وفيل أبرهة وسد مأرب ومملكة سبأ، يا أول من تحلى بتيجان الملوك، يا من شهد لك الأعداء؛ فعنك قال هتلر "أعطني جنديا يمنيا وسلاحا ألمانيا وسوف أجعل أوربا تزحف على أناملها" والفيلسوف الفرنسي العاشق رينان يعلن "لكل إنسان وطنان، وطنه الذي ينتمي إليه واليمن" يا من آمن بالحكم وكفر بالوطن وعزفت يا- السعيد - لحن الشقاء؛ صدق فيك قول نزار "قبائل أكلت قبائل.. فهل البطولة كذبة عربية ياعرب العجائب أم مثلنا التاريخ كاذب؟ ندخل مرة أخرى لعصر الجاهلية.. ندخل في التوحش والتخلف والبشاعة والوضاعة.. ندخل مرة أخرى عصور البربرية.. حيث الكتابة رحلة بين الشظية والشظية.. بلقيس.. ليست مرثية..لكن على العرب السلام.. إن قضاءنا العربي أن يغتالنا عرب.. ويأكل لحمنا عرب.. ويقر بطوننا عرب.. ويفتح قبرنا عرب.. أقول إن نضالنا كذب.. وأنه لا فرق بين السياسة والدعارة".. ومازالت بلقيس تبكي صنعاء.

قل إنصاف ولا تقل تحرير

"لو كان هؤلاء موجودين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لطالبوا بطرد السيدتين اللتين حضرتا بيعة العقبة الكبرى، ولوكانوا مع نبي الله سليمان عليه السلام وهو يكتب خطابه لبلقيس لطالبوه أن يعدل صياغته ولايعترف بتوليها منصب الملك ويكتب بعزلها أولا ثم يتفاهم مع الرجال" المقولة للشيخ محمد الغزالي والتي جاءت في كتابه "الإسلام والطاقات المعطلة " حين رفض تجهيل المرأة وإذلالها وإماتتها إنسانيا بسبب متدينين جهلة؛ تذكرتها وأنا أقلب الرزنامة بحثا عن تاريخ محدد، فلفت انتباهي أيام معنونة باليوم العالمي للمرأة وآخر للقضاء على العنف ضد المرأة وثالث لحقوق الأقليات الإنسان ويشمل الطفل والمرأة والأقليات ورابع لتحرير المرأة وكلها من وجهة نظر غربية، وتداعت عليّ ذاكرتي تنبهني لبعض بقاع عالمنا الإسلامي تحرم المرأة من ميراثها، وعادات وتقاليد تمنح المرأة شرف دخول بيت الزوجية بشرط عدم الخروج منه إلا مرة واحدة حيث مثواها الثالث والأخير، وأخيرا تذكرت صديقة لي كانت مرشحة لمنصب محافظ ورُفضت لكونها امرأة.

ستظل حقوق المرأة وتحريرها مجالا مثيرا للجدل طالما نصر على تقديم صورة سطحية لموقف الإسلام منها، فالغرب يُعلي من شأن الحقوق الفردية بينما الإسلام ينظر للمرأة باعتبار العلاقة التكاملية بينها وبين الرجل وليس علاقة صراع كما هو في العقل الغربي، فقد ساوى الإسلام بينهما في أصل الخلقة والمسئولية الإنسانية، وأعطاها حق المشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية الكبرى كما فعلت في الهجرة النبوية، كما أنها مسئولة على قدم المساواة مع الرجل في الموالاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

والاشتراك في الحياة السياسية والاجتماعية وحضور الاجتماعات والعمل، كذا المسئولية الجنائية والأمانة العلمية، وهنا يقول الإمام الشوكاني "لم ينقل عن أحد بأنه رد خبر امراءة لكونها امراءة" ويقول الحافظ الذهبي "لم يؤثَر عن امراءة أنها كذبت في الحديث الشريف".

في عصور تخلف المسلمين وتراجعهم الحضاري أخذوا يبحثون عن تكييف شرعي لعادات زائفة ما أنزل الله بها من سلطان وامتلأ تراثنا بكل مايحط من شأن المرأة بدءا من ترديد مقولات يهودية بأنها السبب في إخراج آدم من الجنة وصولا لعورة صوتها ناسين أن زوجات النبي وحفيداته كانت محدثات وشاعرات وصاحبات مجالس علم، والسبب يعود إلى تقديم وضع المرأة المخزي في عالمنا الإسلامي على أنه رؤية الإسلام لها، ففي الوقت الذي كانت تتنافس فيه امراءتان على رئاسة الحكومة والمعارضة في إحدى دولنا الإسلامية نجد المرأة في دولة إسلامية أخرى تمنع من التصويت في الانتخابات، وبينما تتولى ميجاواتي سوكارنو قيادة أكبر دولة إسلامية ألا وهي أندونيسيا نجد فقهاء دولة إسلامية أخرى يحرمون عليها قيادة السيارة! وبينما أصبحت المرأة وزيرة وسفيرة وقاضية تحرم في نفس هذه البلدان من ميراثها الشرعي.

الحقيقة أن الخطأ هو شعار تحرير المرأة والخطاب الإسلامي مطالب بأن يعدله إلى "إنصاف المرأة" بحقوقها في دينها من ظلم مجتمعاتنا الإسلامية تحت بند العادات والتقاليد وعزل المرأة والدين منها براء، ورحم الله شيخنا محمد الغزالي الذي رفض أن تكون المرأة كبندول ساعة إلى أقصى اليمين تارة وإلى أقصى اليسار تارة أخرى ولا يستقر مطلقا عند الحد الوسط الذي يبغيه الإسلام.

من بدأ المأساة لن ينهيها

حين تغنت نجاة بأشعار نزار قباني معلنا أن "من فتح الأبواب يغلقها ومن بدأ المأساة ينهيها وإن من أشعل النيران يطفئها" كانا ولا شك يقصدان حبيبة تتوق شوقا لحبيب تبوح له "ارجع كما أنت فبعدك لا عقد أعلقه" أعجب كيف قرأت أمريكا وحلفاؤها تلك القصيدة وكيف فهموها؛ فهم من أشعلوا المنطقة الإسلامية والعربية وهم بادؤ مأساتها وهم من فتحوا أبواب الفتنة والإرهاب على مصراعيه لكنهم لا يريدون ولا ريب غلقها، وهاك سياسي غربي كبير قدم نصيحته المدهشة لحكومات الغرب المعادية للإسلام مفادها أن أسرع وأقوى وأنجح طريقة لإزالة حب الحكم الإسلامي من قلوب المسلمين يكون عن طريق تجربة حكم فاشلة للإسلاميين وجعلهم يصلون للسلطة ثم يفشلون فيكره الناس حكم الإسلام ولن يعودوا يحلمون به.

بنظرة مدققة لكل التنظيمات الإرهابية التي دشنت في محيط أمتنا بدءا من القاعدة وطالبان والحوثيين وجبهة النصرة والفتن المذهبية الدينية والعرقية والشيعة والسنة والأكراد والأمازيغ والزيدية والمارونية والدرزية والعلوية؛ نجد أن من أنشأ ومول ودرب وهيأ وفتح لها الأبواب المغلقة هي أمريكا وحلفاؤها بغية أن يعيش عالمنا الإسلامي في أتون الفوضى والتفتت والتشرذم، كي تغلي مراجل الصراع والاقتتال والحروب الأهلية والعصبية، يليها دك النظم السياسية القائمة ومحو الحدود السياسية

لسايكس بيكو القديمة، وإعادة ترسيم سايكس بيكو جديدة على هوى الغرب المستعمر يعز ويذل بها من يشاء، لأن منطقتنا كانت وستظل بقرة الغرب الحلوب والتي تدر عليه بترولا وثروات هائلة، ومايزال الكيان الصهيوني متمسكا بكبرى أمانيه من النيل إلى الفرات.

ولكن إلى متى تترك هذه الفوضى العارمة في بلادنا؟ هذا السؤال وضع الغرب إجابته قبل أن نسأله، فالجماعات والتنظيمات الإرهابية خاصة التي تتخذ الإسلام شعارا وستارا مرسوم لها ألا تتجاوز خطوط حمراء معينة؛ فمثلا تنظيم داعش الممول من الغرب مسموح له أن يمارس الغلو والتشدد وارتكاب الفظائع مع تسليط الضوء الإعلامي –لا أعلم تحديدا كيف يتم تصوير وبث تلك الصور العالية التقنية– ليقتنع العالم أن ديننا إرهاب تأباه الإنسانية، حتى إذا أثمرت خططهم وأينعت وآتت أكلها؛ أتانا أمر الغرب الذي متسربلا في مسوح الواعظين ليخلص العالم من شرور هذا التنظيم ولا مانع من أن يتحمل بترولنا تكلفة إنهاء المأساة ونيرانها حتى وإن لم نكن مشعليها.

لعل صرخة السيدة كريستينا فرنانديز رئيس الأرجنتين في الأمم المتحدة ليست هي الأولى من نوعها، لكنها على الأقل الأشد صراحة حين قالت "كنتم تدعمون جبهة النصرة باعتبارهم ثوارا، واليوم نجتمع لإدراجهم إرهابيين، حاربتم القاعدة واستبحتم العراق وأفغانستان والآن يعانيان من الإرهاب بالدرجة الأولى، رحبتم بالربيع العربي وأوصلتم متشددين إسلاميين للحكم ومازالت شعوب تلك الدول تعاني العبث، لم تهتموا بفداحة جرائم إسرائيل تجاه غزة، واليوم تجتمعون لتجريم وتحريم تنظيم

داعش المدعوم من دول أنتم تعرفونها أكثر من غيركم وهي حليفة لدول كبرى أعضاء في مجلس الأمن".

إلى متى تظل الغفلة والغشاوة قدرنا؟ ألم ندرك بعد أن مراحم الأشرار قاسية كما جاء في العهد القديم؟ ترى الغرب يجيء بلاد العرب أوطاني ليخلصنا من داعش ثم يشرب قهوتنا ويلقي علينا السلام ويغلق الباب خلفه ويمضي؟ أم أتانا ليبقى متأبطا شرار خرائطه ومطامعه وضحكات خبيثة تعلو ملامحه ولسان حاله يقول ساخرا "سيظل الغرب هو الفاعل والمسلمون مفعولا بهم وفيهم وما عليكم لتتخلصوا منا إلا أن تعيدوا قراءة تاريخكم وحضارتكم وعربيتكم وإسلامكم.. إن كنتم إياها تفقهون".

الانتحار الاستعراضي

عاشوا أمواتا؛ فقرروا أن يموتوا ليبقوا أحياء، أحدهم تسلق بهمة عالية أعلى لوحة إعلانية في القاهرة صعد مقتربا من السماء يبثها حزنه يتلمس نجاة من حضن وطن قاس، شنق نفسه وترك لنا جسدا متدليا حيا في ذاكرتنا يرسل رسالة قاسية تدمي القلوب تتساءل عن ضياع إنسانيته وامتهان كرامته، وثان يتصل بوسائل الإعلام المرئية لتسلط عليه الضوء وهو يسكب بنزينا على جسده البائس اليائس ويشعل نفسه في مشهد يظل عالقا طويلا في الأذهان ليصبح هذا الانتحار "الاستعراضي" الوسيلة

الأخيرة والوحيدة لجذب الانتباه لآدمية مهدرة وغربة معاشة، ليصبح حيا بعد موته بعد أن فشل في أن يحيا أثناء حياته.

شباب يعاني اليأس والإحباط والبطالة وضيق ذات اليد؛ فطبقا للاحصاءات الرسمية وصلت نسبة البطالة إلى أكثر من ١٣ بالمئة من عدد السكان أي نحو ١٠ مليون عاطل عن العمل ٩٥ بالمئة منهم من الشباب المؤهل جامعيا تتراوح أعمارهم مابين ٢٢ إلى ٣٥ عاما؛ أي أفضل وأهم مرحلة سنية قادرة على العمل والعطاء وتحمل مشاق النهوض بالوطن، البديل المتاح لهذه الطاقة المعطلة تبدأ من القعود على الأرصفة والمقاهي مرورا باللهو الرخيص وتعاطي المخدرات للهرب من واقع يرفضونه، وصولا لانحرافات وجرائم وهجرة غير شرعية لمن كفر بوطن أصبح الموت غرقا أهون الحلول، وانتهاء بالانضمام لجماعات متطرفة أو إرهابية تمارس انتقاما من مجتمع غير قادر على احتوائها.

دهشتي لاتنقطع وأنا أرى شبابا جامعيا يعمل في دول الخليج كفرد أمن أو حارس عقار أو سائق أجرة أونادل في مطعم، والعيب ليس فيهم بل في مناهج تعليمية لم تعد قادرة على تأهيله لمواكبة متطلبات سوق العمل بعد دراسة أمضى فيها ١٢ عاما من حياته أويزيد، أتساءل هل أخطأ جمال عبد الناصر حين جعل مجانية التعليم حتى المرحلة الجامعية دون دراسة الاحتياج الفعلي لسوق العمل وجاء من بعده خلف قالوا هكذا فعل أباؤنا؟! أم الخطأ في مناهج تعليمية احتاجت للتطوير ولم يستمع أحد لندائها؟ أم عدم الاستفادة من تجارب بعض الدول التي أقامت ورش العمل التدريبية عقب

نهاية المرحلة الجامعية لمدة ٦ أشهر تهيئ فيها الخريج بشكل عملي تجعله قادرا على الانخراط في سوق العمل مباشرة؟

أتساءل عن مسئولية رجال الأعمال المقصرين في رد جميل الوطن وتوفير فرص عمل بدلا من استيراد عمالة أسيوية رخيصة، وإن كان العيب يقع على كاهل المشرع لقوانين سمحت، أم نلومهم على عدم تدريب الشباب في مصانعهم وشركاتهم ومزارعهم ولو دون حافز مادي، يخرج بعدها قادرا على إدارة مشروع خاص صغير يكفل له الحد الأدنى من معيشة كريمة دون إراقة ماء وجهه، ولعل الإعلان الأخير لوزارة التعليم عن حاجتها لخريجي جامعات في وظيفة "مساعد معلم" شريطة إتقان اللغة الإنجليزية ومهارات الحاسب الآلي وفنون القيادة استفزازا جديدا يمارسه أولوا الأمر وهم يعلمون تماما حال الخريج وحال جامعاتنا وإمكاناتها.

الفراغ مفسدة والشباب طاقة لن تهدأ حتى تجد لها متنفسا ووسيلة لإفراغها، وليس بغريب أن تكون البطالة أخطر ما يواجهه المجتمع سياسيا واقتصاديا وأخلاقيا وأمنيا.

تحية إلى معلمي

صرتَ سرا في الأعماق؛ أشتهي ابتسامتك الحانية، أتوق لعينيك المحفزتين، أُقدر حزما وحرصا وخوفا صادقا ترك في حنايا القلب ذكرى عطرة، أصبحتَ طيفا جميلا يسكنني، كلما عدت لمدينتي أنعم النظر إلى الأسوار القديمة، أتذكر كيف كانت مدارسنا تحوي كنوزا خوالد من معلمين جليلين؛ أحبوا مهنتهم وأخلصوا فحفروا في الوجدان مكانة سامية تليق بهم، إليك معلمي إليك معلمتي رسالة حب في عيدكما كم تمنيت أن تصلكما.

تحية إليك أبلة نعيمة معلمتي في المرحلة الابتدائية؛ أتذكروأنت تشيدين بي أمام الفصل لأني استطعت حفظ جدول الضرب وفي نفس الوقت تعاقبين ابنتك لتقصيرها كي لا تتوهم أن كونها ابنة المعلمة سيعفيها من العقاب، كنت بذلك تلقيننا أن الجميع سواسية كما لو كنت تذكريننا بعمر ابن الخطاب وهويصر على جلد ابنه حتى ولو كان ابن الخليفة.

تحية إليك أستاذي إسماعيل حين صفعتني على وجهي لدخولي الحصة بعدك بلحظات؛ فشكوتك لوالدي كي يثأر لكرامتي التي أهينت أمام زملائي – وحدثتني نفسي كيف تفعل بي ذلك وأنا التلميذة المتفوقة التي طالما شرفت مَدرستها بالمراكز الأولى؛ فكيف أُعاقب وأُهان بدلا من أن أُعامل معاملة خاصة بها بعض التجاوز حتى لو تأخرت عن الحصة – فتوعدتك في قرارة نفسي بوالدي الذي سيجيء ليجفف ماء وجهي الذي أريق؛ فإذا به يشد

على يديك قائلا "اكسرها وأنا أداوي في المستشفى" وقتها نكست رأسي خجلا منك، فإذا بروعتك تربت على ظهري بحنو بالغ تعلمني أن العقاب أحيانا هو الوجه الآخر للحب والحرص عليّ.

تحية إليك أبلة عايدة معلمة التربية الفنية وأنت تعاقبين كل من ينسى كراس الرسم أو الألوان بوضعه على "كرسي السعادة" كما كنا نتندر ونسميه سرا؛ وتنادين عم سيد الفراش ليخلع أحذيتنا وجواربنا ويرفع أقدامنا عارية لتنهالي عليها بالخيزرانة، فتعلمنا منك الحرص أن نأخذ كل الأمور بجدية، فلا فرق بين مادة دراسية وأخرى سواء أكانت تضاف للمجموع أم لا، وكأن لسان حالك يقول أن العلم والفن الراقي صنوان.

تحية إليك أستاذي عبد الوهاب مدرس اللغة العربية عاشق الفصحى فلا تنطق إلا بها حتى أثناء الفسحة المدرسية، ويتبدى عشقك وأنت تملي علينا قواعد النحو بطريقة ألفية ابن مالك، لتفتننا بلساننا العربي وهويتنا.

تحية إليك أستاذتي منى معلمة الفلسفة والمنطق؛ حين أفاجأ بك تزورينني مهنئة حصولي على المركز الثاني في الثانوية العامة على مستوى المحافظة، ولم تنتظري أن أتيك ببيتك أحمل لك هدية، فتعلمت منك تواضع الكبار، صرنا بعدها صديقتين حميمتين ولم تُلق بالا لفارق السن بيننا.

تحية إليك أستاذ حمودة الموجه بالمنطقة التعليمية لحرصك على زيارة المدرسة منذ بدء الطابور الصباحي لتستمع لفقرات الإذاعة المدرسية التي كنت أعدها وأقدمها كل يوم، فإذا بك تثلج صدري وتمسك "الميكروفون" تشيد بي أمام أكثر من ألف طالبة وجميع الأساتذة، وقبل أن يتملكني الزهو والغرور لم يمنعك تقديرك لي أن توجه لي لوما أمام الجميع لأني تجاوزت

وانتعلت "صندلا" بدلا من الحذاء الأسود مخالفة بذلك قوانين المدرسة، فعلمتني حينئذ أن القدوة ومن تولى أمرا بيده أحق أن يكون أكثر التزاما، وأن المناصب لا تضع صاحبها فوق مستوى المساءلة.

إليك معلمي إليكِ معلمتي كم تمنيت أن تصلكما رسائلي، كم أحس ندما لتأخري طوال السنوات الماضية أن أوفيكما شكرا وامتنانا وتقديرا، لكني أدعو ربي أن يشملكما برحماته أحياء وأمواتا، وأن يغفر لي تقصيري تجاهكما، وتحية تقدير ومحبة للمعلم في عيده.

obeikandl.com

حين يخون العاشقون

هي أنثى خجولة خانها عاشقوها وماتزال تفوح عطر كبريائها، هي الجنة والقصيدة وأنشودة المطر وموسيقى مسابح العقيق ورائحة الياسمين وصوت نوافير الفسيفساء، هي سحب القرنفل والقرفة حين ينهمر الصباح، هي البيان والتبيين بها يبدأ وينتهي التكوين، هي عشق الفرشاة لألوان الحب، إليها تهفو القلوب وتخفق الأكباد ولها يتشقق الزهر، والندى بها يترقرق، هي سحر الشعراء وموطن الأنبياء والأتقياء، باهرة العلماء وكتر الأحلام، عشقها طواعية سرا وعلانية، هي عناق الجامع والكنيسة، وطن الصفصاف والبساتين والسنابل وزخات المطر وروعة الأغنيات وروضة الفاتنات ترى فيهن أطياف الحوريات في الفراديس، بلاد التين والزيتون والأرز والصنوبر والبلوط، بلد الحواري العتيقة المعبقة برائحة القهوة واليانسون والنرجس والرمان والأضاليا، بيوتها الدافئة العاشقة تتبادل الزيارات في السر ليلا، هي خيرة أرض الله، بها وبأهلها تكفل المولى سبحانه، وعنها قال المصطفى صلى الله عليه وسلم " إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم " وقال " اللهم بارك لنا في شامنا " أرض المحشر والمنشر، فطوبى لك يامن بسطت الملائكة عليك بأجنحتها.

"يا دمشق البسي دموعي سوارا.. وتمني فكل شيء يهون.. وضعي طرحة العروس لأجلي.. إن مهر المناضلات ثمين.. رضي الله ورسوله عن الشام.. فنصر آت وفتح مبين..حزني يا دمشق خارطة الذل.. وقولي

للدهر كن فيكون.. كتب الله أن تكوني دمشقا.. بك يبدأ وينتهي التكوين".. وماذا ستقول يا نزار ثانية حين تنظر لشامك الآن حيث مات الضمير وبيعت الكرامة وقتلت الأطفال بأيد وقحة وأدمت عين البراءة، واختلط التآمر بالخيانة والذل والتمزيق والذبح وتدنس الطهر واغتيلت الأحلام وبقرت الأرحام، وأصبح أهل سوريا مابين هارب ونازح ولاجيء ومهجر وقتيل وذبيح، بكت عليهم دور مهدمة معتمة حزينة بدمع عين لا يجف، وحلت الغُمة محل غيمة المطر حين تنتهك الحرائر ويُباح الشرف وتزف الجثث في جنائز، ويرتع القهر والجوع والتشرد على بقايا عظام وبقايا مقابروبقايا وطن لا يكفون عن اغتياله، وعرب كانوا ومايزالون وسيزالون يتفرجون على عيون أطفال تختصر الحكايا.

بكت مآذن الجامع الأموي وذبحت حمائمه وفقد سوق الحميدية بهجته وتعكر الشاطئ الأزرق، وتوقفت نواعير حماة ونُهبت التكية السلمانية وانتهك مقام النبي هابيل والسيدتان زينب ورقية، ودُنس مرقد أبي موسى الأشعري وكعب الأحبار ورابعة العدوية والراشد عمر بن عبد العزيز، وطار لب معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وبلال بن رباح وخالد بن الوليد من هول ماتتعرض له الشام، وعزفت كنائس الرسول بولس ومعلولا وجبعدين لحنا جنائزيا، وتحسر جبل قيسون على الإمام الألباني وابن عساكر والذهبي وابن تيمية وابن القيم الجوزية، وسكتت أغاني الأصبهاني وأشعار المتنبي وأبي فراس الحمداني، ومُزق رياض الصالحين ونزهة المشتاقين ومدارج السالكين وعمدة الطالبين، ومات ثانية كمدا وحسرة نزار قباني والماغوط وبشار الموصلي ومحي الدين بن عربي.

"اخلع نعليك في سوريا فترابها دماء إسلامية عربية" هكذا ينبهنا أهلوها، فإلى متى يا دمشق تقفين على بقايا عظام كبريائك؟ ومتى تهزمين الموت؟ دمشق يا كتر الأحلام ء نشكو العروبة أم نشكو العرب؟! دمشق يا عشق نزار "يادمشق التي تفشى شذاها تحت جلدي كأنه الزيزفون.. احتضنني ولا تناقشي جنوني.. ذروة العقل يا حبيبي الجنون.. احتضنني خمسين ألفا وألفا.. فمع الضم لا يجوز السكون.. ء هي مجنونة بشوقي إليها هذه الشام أم أنا المجنون .. كيف أهواك والحمى مستباح.. هل من السهل أن يحب السجين.. غير أن الهوى يصير ذليلا.. كلما ذل للرجال جبين" فمتى تمزقين يا دمشق خريطة الذل والانكسار ؟

obeikandl.com

"عودوا من حيث أتيتم"

أتساءل: هل قَدر الإنسان العربي التشرد والطرد والهجرة والنفي والاغتراب واللجوء خارج بلاده ليعيش يعاني الحنين والشوق، وإما التكميم والقمع والسجن والذبح وإراقة الدماء والكرامة والإنسانية داخل وطنه؟ وفي كل الأحوال موسوما بالاحتقار الذي هو أشد مرارة من الكراهية وأسوأ من الفناء لأنه موت كل يوم بل كل لحظة، لماذا استحق العرب مالم يستحقه قتلة الأنبياء الذين تاهوا ٤٠ سنة ثم التأم شملهم على أرض نفس العربي التعيس؟! لِم قست حياته فأصبحت كقسوة صحرائه فلا ماء ولا نبتة ولا ظليل؟ لماذا أصبح بائسا يائسا صامتا كئيبا؛ يعيش بين ارتعادة قلب ورجفة يد وانكسار عين وذل نفس بل وموتٍ لإرادة التحدي والإصرار مخالفا بذلك طبيعتة في عصر ازدهار حضارته العربية والإسلامية؟ حتى في البلدان التي هاجر إليها واجتهد فيها مخلصا يتفاجأ بين عشية وضحاها بلافتات ودعوات تعنفه وتحقره قائلة له ولأمثاله "اذهبوا لأوطانكم.. عودوا من حيث أتيتم".

في يوم واحد كانت حصيلة عناوين الصحف الصباحية التي قرأتها: سقوط قذائف على الحدود بين تركيا وسوريا – حرب ضروس بين الجيش الليبي والميليشيات – اشتباكات بين الجيش اللبناني ومسلحين في طرابلس – إصابات في القدس وإسرائيل تشعل الضفة الغربية – عشرات القتلى والجرحى في صنعاء – قتال عنيف في حلب – الإرهاب يحصد عشرات

الجنود المصريين في سيناء – مصادمات ومظاهرات في الشارع الجزائري – استعدادات لمواجهة الشغب في تونس – قتلى وجرحى في انفجار مفخخ في العاصمة الصومالية مقديشو – الإرهاب في طريقه للأردن.. وهكذا تغلي مراجلك يا وطني، ولم يعد العربي يعيش زمانه إلا خوفا.

أصبت بالاكتئاب؛ فراودتني نفسي الاعتكاف بيأسي وألمي في بيتي؛ فابتسامة الصباح أصبحت عصية المنال، ولكن فجأة وقع بصري على ذلك الخبر "أمريكا ترسل لجنة تحقيق عاجلة لاستشهاد فتى فلسطيني يحمل الجنسية الأمريكية" فقط لأنه يحمل الجنسية الأمريكية أصبح دمه غاليا وليس لكونه فلسطينيا، قطعا لا يحق لنا المقارنة بين الدم العربي ونظيره الأمريكي بل وأي دم آخر؛ فقد هُنا على أنفسنا وسكنت الوحشة قلوبنا، وفشل بيننا الود والتراحم والتفاهم والإنسانية في حين نجح البلاء والكره والفرقة بل والغباء والخيانة أن يربطوننا برباط قوي ليته لا يكون أبديا، ولكن ماذا بعد؟ هل نستسلم مع غموض الأفق وعتمة الفجر؟ لن أخفي أنني أجاهد وأطمئن نفسي بأني مازلت ألمح ومضة خفية بين ثنايا الظلمات، أنتظر أفقا يتوهج ببهاء الفجر يعلن أن الخلاص يأتي دائما مصاحبا لأقصى درجات الألم.. ويقيني أننا وصلنا لأقصى درجات الألم.

لا وقت للحب ؟!

مقالي اليوم يضرب موعدا مع الكراهية وليس مع السعادة؛ معلنا أنه لاوقت للحب بل للدموع فقط، لأننا غير قادرين إلا على اليأس؛ حيث نوافذ الأمل المؤصدة باتت غايتنا، وعدم انتظار الصبح الجميل الذي يذهب الروع ويجيء بالبشرى ضرورة محتمة، وصرنا في غدونا ورواحنا نستنشق بغضا، وأصبح الرقي والسمو بعيدا المنال كبعد "اليوتوبيا" عن عالمنا، وقررت رفع لافتة "القراء عاوزين كده" كلافتة "الجمهور عاوز كده" التي تسببت في انحدار الفن وهبوطه للدرك الأسفل من الإسفاف.

هذه المقدمة الشديدة التشاؤم حتما ترضي نسبة لا بأس بها من القراء أكن لهم شديد الاحترام، عاتبوني لأني من حين لآخر اكتب على حسابي الشخصي "الفيس بوك" عن الحب أناديه وأناجيه وأبحث عنه كي تكف الكراهية عن أن تدلي بدلوها البغيض ورأسها المقيت في حياتنا، وهالني كم من الردود ينبهني إلى أني أغرد خارج السرب الذي يتغني ليل نهار بواقعنا المرير الذي نحياه مجبرا ومختارا، وإلى أننا نعيش عصر صفعات الخذلان والنكران، وأن شبابنا صار يعيش كهولته وفقدان القدرة على الاستمتاع بالحياة.

قررت أباري في ساحة التزال وأثبت للجميع أني أشد منهم تشاؤما وبدأت استرجع مقالاتي التي تقطر أسى وحزنا على واقعنا العربي والإنساني، وأني قادرة على نكء الجروح، وكيف أن قلمي صال وجال متألما في مصائب بلدي وغزة ودمشق وبغداد واليمن، ناهيك عن إعلامنا البائس وصورة المرأة المهانة ومثقفينا المتشائمين وشبابنا اليائس والكراهية التي صرنا نتقن صناعتها حتى صار شعبنا منقسما يكره بعضه بعضا، ولكن أصدقكم القول

أني وجدتني في كل هذه المقالات التي تتحدث عن أوضاعنا المريرة أبحث دائما عن بصيص نور وبارقة أمل وفيض من التصافي بين الناس.

اكتشفت أنه في أشد لحظات الألم لابد أن نكتب عن الحب بمعناه الخاص والعام، كيف نهمله والأديان السماوية كلها دعوة للحب والتسامح، كيف أتجاهل قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ صدقت يارب وانت العليم ببشر يفسدون وبأخرين يسعون للصلاح، فمنا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا، الدعوة للحب باتت ضرورة ملحة تتسق مع دعوة الإسلام "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ "وتتفق مع المسيحية " من لايحب لا يعرف الله، الله محبة".

لم نعد نطرب ونصبح ونمسي إلا على فواجع الأحداث وعظائم الأمور وجسام الكوارث وشرار النفوس تهدد وتتوعد وتقتل، فلنهرب ولو قليلا من خبزنا اليومي الذي صار مخلوطا بالدم والكراهية نقتاته مجبرين في الواقع وعلى شاشاتنا حتى نفرت النفوس من عالمها وزمانها، أبحث عن ترنيمة حب وعشق للحبيب والأوطان والأديان والخير والفن والحياة والجمال، كي نستمد القوة وتعلو الهمة لنجاهد حياة اليأس التي تحيطنا؛ فَفَقْد الحب يخلق إنسانا مشوها يبني وطنا سقيما.. معذرة لبعض القراء الأعزاء، لن أكف عن الكتابة والدعوة للحب في زمن ضن الجمال بنفسه علينا، فدعونا نبحث ونفسح لنبضات الفرح مكانا في القلب الحزين على الأوطان الدامية؛ فالحب يطهرنا من الآثام.

زهور ربيع منسية

أراقت المذيعة الأنيقة دمعتين فاهتزت أوتار الشبكة العنكبوتية بكم هائل من التعليقات والإعجاب برقتها، وتمنى الرجال لو ربت كل منهم على قلبها الحاني، وتغامزت النساء عن نوع "الماكياج" الذي صمد ولم يتأثر؛ ونسي الجمع موضوع البرنامج أمام دموع الجميلة! الحلقة كانت عن أطفال الشوارع الذين ناءت كواهلهم الغضة بعبء سنين قليل عددها ثقيل همها وحزنها، وضرب الضيف مثلا بطفل جرى وراء رجل يتسول منه "حضنا" لأن والده توفي منذ سنة ومن بعده لم يضمه أحد لصدره!! فقط كان مطلب ذلك البريء التعس مجرد ضمة، بعدها مشى وترك الرجل غارقا في البكاء ولسان حاله يقول "أنا الذي أحتاج لحضنك يا بني".

أطفال الشوارع زهور ربيع منسية ملقاة تحت الكباري وبين الشقوق والجحور وفي الخرابات وداخل مكبات النفايات؛ يقتاتون فضلات أطعمة تأباها الحيوانات والقوارض، وجوه هزيلة وعيون مطفأة يصرخ فيها صمت الكلام، أيديهم مرتعشة وقلوبهم وجلة ظمأى لمن يحنو عليها، ضاقت عليهم الدنيا بما رحبت فتجللت الأرض بأقدامهم العارية، منهم ولد تمنى أن يكون طبيبا أو معلما، وبنت حلمت بحب عذري أصبحت حبلى وامتلأ رحمها بجنين قادم لن يرحمها لأنه لا يفقه سر قدومه ولا يعلم كيف أنها أصبحت أمه بالإكراه.

هم حصاد ٤٠ سنة من مآسي لا تريد أن تبرح الوطن ولا أن يبرحها؛ من فقر وبطالة وأزمة سكن وسوء رعاية صحية وتعليمية واجتماعية وأخلاقية؛ أسر كاملة تقطن غرفة واحدة تهدر خصوصيات أفرادها كل ليلة، تفكك أسري ويُتْم وتجمعات عشوائية تلفظ هؤلاء الأبناء الواحد تلو الآخر إلى الشارع صاغرين ليعيشوا بين رعبين؛ رعب أسري ورعب الشارع بوحشيته حيث يقعون فريسة للإدمان والاغتصاب وعصابات التسول والبلطجة وتجارة الأعضاء البشرية؛ في وقت ينشغل فيه الوطن دائما وأبدا بكل شيء وأي شيء إلاهم، وبالأمس يحتفل العالم باليوم العالمي للطفل وأطفال شوارعنا تحتفي بهم أمراضهم الجسدية وعقدهم النفسية وكره وبغض وعدم انتماء لوطن أهملهم ناسيا ومتعمدا.

حين قامت ثورة ٢٥ يناير شاركوا بكل حماس في البلطجة والحرق والتحطيم بكل إخلاص وتفان، تراهم كانوا يفقهون السياسة ويدركون معنى "الشعب يريد إسقاط النظام" أم وجدوها فرصة ثأر من مجتمع يحنو على كلابه ويتركهم فريسة للجوع والتشرد؟ رفعنا لافتات وقامت مسيرات تندد بالتحرش الجنسي للفتيات وقام رئيس الدولة بزيارة إحداهن بالمستشفى، ولم يلتفت أحد لنحو ٢ مليون طفل شارع يتم الاعتداء عليهم جنسيا وجسديا عيانا بيانا، فالكيل بمكيالين ديدننا وصراطنا الذي نأبى أن نحيد عنه.

رفعت البرازيل (المفترى عليها حين ادعى أحدهم أنها قتلتهم كالكلاب الضالة) هي والهند شعار "الأطفال لا يريدون مؤسسة خيرية، يريدون المستقبل" وعلى مدى ٥ سنوات تعاونت وزاراتها المختصة بالصحة

والإسكان والشئون الاجتماعية وممثلي المجتمع المدني ووفرت مساكن مناسبة لأسرهم ومشروعات صغيرة يتكسبون منها ونظاما تعليميا وصحيا ملائما وأنشطة ترفيهية ومأوى ليلي وطعام ومراكز تأهيلية لمن لا أسر لهم ومراكز العلاج من الإدمان، أما إسلامنا الحنيف فقد صنفهم ضمن الفقراء وابن السبيل وهما من مصارف الزكاة، وعلى مدار عهوده كانت الأوقاف تخصص لإعالتهم بل وتزويجهم اتساقا مع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم "ليس منا من لم يرحم صغيرنا".

لا أحب أن أقف في خانة البكائين على اللبن المسكوب، بل أدعو للرقي والسمو بالوطن وتفعيل حملات التبرع الخيرية وانشاء مكاتب للاستشارات الأسرية ومراكز للتأهيل النفسي والاجتماعي لهؤلاء البائسين، وأن يضطلع الإعلام بدوره في توعية الرأي العام بالتعاطف معهم وإدماجهم في مجتمع يستحق أن يحلموا فيه بمستقبل لهم وله، فهم يستحقون الرعاية والاهتمام حتى لا يتطاول ليلهم وكي يتشقق فجرهم ليصدحوا " صفحنا عنك أيها الحزن، صفحنا عنك أيها الوطن " وإلا فنحن من يستحق الإدانة.

اهدموا سرادقات العزاء

حالة من الإحباط تهيمن على الكثيرين، وكلما يحتث عن السبب تأتيني إجابة واحدة "فقدنا الرغبة في كل شيء وأي شيء" فالجهل يتربع في البلاد، والفساد يرتع بين العباد، والمنظومة التعليمية مهترئة ٬ والصحية بالية، والحوارات عنيفة جارحة صادمة، والإعلام يثير الغثيان، والضجيج يلفنا في كافة الأمكنة، والأوضاع الاقتصادية متردية، وزمن الأحلام توقف ويأبى الدوران، وصارت كل أمورنا الحياتية ثقيلة على النفوس والأكف والرقاب، ومع دخول الشتاء هُيء للبعض أننا سنتدثر بليل أسود بارد طويل.

كثيرون علقوا آمال الإصلاح على ثورة ٢٥ يناير وما يستتبعها من تطورات حتمية من تطهير وإصلاح، وحين تسألهم الأن يعلنون أن الثورة فشلت بكل المقاييس، والحقيقة لا تعجبني هذه النبرة البائسة اليائسة، أوَ حقا فشلت الثورة؟! إذن كيف قضينا على خرافة جمود الشخصية المصرية وأنها غير قابلة للتغيير وخانعة ولا تثور وقابلة للامتطاء؟ كيف خسر المراهنون على غباء شعب يعاني أميته؟ كيف تيقنا أن داخل كل مصري وحشا لا يقبل الانحناء ولا يجب أن ننخدع بصبره ولا بوداعته، فكهنة فرعون كانوا أول النهار سحرة فجرة وآخره شهداء بررة ؟

كيف تفشل ثورة شباب ولوا وجوههم شطر وطنهم وفاجأوا العالم بعبقرية معهودة متلهفة لتحقيق الحلم لتتبوأ الأوطان ما تليق وتستحق؟

وكيف نفضوا عن كاهلهم أوصافا طالما دمغناهم بها كالاستهتار واللامبالاة حين حاول البعض قاصدا متعمدا إلهاءهم بممارسة التفاهات والتحرش والجنون بل والهروب من ذاته ونزع روح الانتماء للوطن، فإذا بهم يثورون لينتزعوا الوطن من سفود تجاره ونخاسيه؟

أقولها بيقين الثورة لم تفشل ولم تنته ولن تخبو جذوتها، كيف وقد مزجت بذواتنا وعقولنا وثقافتنا حتى الأمي فينا صار ثائرا واعيا، ربما لم نتمكن من قبض وهجها كاملا، ولكن في يد كل منا جمرة وقبس من نورها ونارها ونهارها، يعلن بها كل وطني حر أن البحر اللجي بظلماته الثلاث لم يسطع أن يطفيء نار قعره الموقدة المستعرة، فقد غلب المصري خوفه واستوثق من ذاته وأضحى قادرا على بسط سطوته وسلطانه على كل من لا يرعى مصلحة الوطن وإن بدا للمتوهمين غير ذلك.

يهتف قلبي هتفته عن بينة "كفوا عن إقامة سرادقات العزاء لثورة ٢٥ يناير بل واهدموها، فوالله لكأن تباشير فجر التغيير تدق الأبواب طال انتظارها أم قصر، ومهما تصدر البلهاء والانتهازيون والمنافقون الشاشات واكتظت بهم الساحات يتمطون فيها كيفما يشاؤون، فالوطن أطول قصيدة عشق عصية على الكتمان، عصية على النسيان، لن يتخلى الجميع عن ترديدها، ولا عن تحقيق مطامح وطن يليق بقامة المصري كريم العنصرين.

للرجال فقط

فكرت مليا قبل كتابة مقالي هذا – لأنه بوح نسائي خالص وخاص؛ بوح بالقلوب والعيون والمشاعر لا باللسان – تحسبا للمتعصبين والمتسرعين وضيقي الأفق الذين يستهويهم الغمز واللمز؛ لكني أثق في عقل القارئ الراجح الذي يدرك أن السعادة الأسرية هي مطلب وحق ومنها ينطلق الفرد لإسعاد الآخرين، قد لا يعجب البعض بكلامي، لكني أثق في أن الكثيرين والكثيرات يوافقونني ويثمنون صراحتي، ولكني أنتظر كالعادة عتابا كلما حاولت قليلا الابتعاد عن الهم السياسي العام واهتماما بأني أغرد خارج السرب وكأن السرب لا يجب أن يغرد إلا هما !

القصة تبدأ حين قمت بزيارة صديقة لي أجرت جراحة مفاجئة بإحدى المستشفيات؛ وما إن طرقت باب غرفتها ودلفت مبتسمة حتى هالني رؤية بعض الصديقات بجوارها وقد ران عليهن صمت جميل وذهول ملتذ وعيونهن تومض ببريق آخاذ لم أره من قبل! ارتاحت نفسي لهذا الجو وتاقت لتعرف سر هذا الإحساس الهتون المتدفق براحة تملأ الغرفة بعبقها.

ما إن قعدت حتى اقتربت مني إحداهن بنعومة ورقة – غير معهودة فيها – وضعت يدها على كتفي تحكي عن طبيب دخل منذ دقائق وألقى على مسامعهن كلمات دغدغت مشاعرهن وهن الزوجات الناضجات العفيفات واللاتي لا تقل أعمارهن عن سنين الأربعين الجميلة، فقد استاءت المريضة من ضعف الرعاية الطبية ولأجلها ثارت المرافقات ورفعن مطلبا مصريا خالصا بإسقاط الإدارة، ومن حيث لا يحتسبن أتى الطبيب وتوجه مباشرة للمريضة قائلا بصوت حان "أنتِ قلقتيني عليكِ" ثم التفت لإحدى الصديقات وقال "لم أر في حياتي حجابا بمثل هذا الجمال" وسأل الثالثة عن

اسمها وأبدى إعجابه بجمال معناه! وهكذا وقف الطير على رؤسهن جميعا ونزل هدوء وصمت وديعان يترقرقان في عيونهن ووئدت الثورة في مهدها!

انتحت كل واحدة ركنا تتذكر آخر مرة أحيا زوجها سمعها بإطراءة حلوة، كم مرة دفع الحديث معها في اتجاه تشتهيه سفينة روحها وعقلها، كم مرة لمح في عيونها رجاء يتوق لفتح دروب القلب لكلمة وداد وحب، وكم مرة لم يعرها اهتماما وترك العمر تنسل أيامه ويمضي قطاره.

أيها الزوج؛ نعذرك أحيانا لكنا لن نبرئ ساحتك دوما، رغم ضيق صدرك وازدحامه بهموم الحياة إلا أنك شئت أم أبيت فعرشك مهدد، لك أسوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان منشغلا بأمر الدعوة وهموم المسلمين والجهاد والرد على المشركين والمنافقين وعبادته الخاصة طوال الليل ومع ذلك لم يهمل زوجاته، انتبه لمن أصبحت أسيرة لديك، ما أجمل أن تحمل حقائب اهتمامك وتهديها لمن اختارتك وفضلتك على العالمين، فالزوجات لسن مراهقات يسهل إغوائهن لكنهن يبحثن عن حقهن في أحاسيس جميلة ضاعت في زحمة الأعباء والمتاعب الحياتية، وعن أزواج شغلوا عمن قبعن في رحلهم.

أيها الرجل قليل من الملح يصلح الطعام، وإذا طابت مشاعر الزوجة طاب وصلح البيت كله، التعبير بكلمة عن لمحة جمال في زوجتك في ملبسها في عطرها مهما كانت بساطتها لا تكلف كثيرا، الكلمة الطيبة صدقة؛ فهل تصدقت على زوجتك وأجزلت لها العطاء؟ الكراهية حجر هائل يزحف وئيدا لكنه لايعود من حيث أتى، فلا تجعل ترقبها يطول فيسّاقط وهجها.

في انتظار عودة الوعي

الكيان الصهيوني يحتل فلسطين فسيناء وهضبة الجولان وجنوب لبنان؛ ثم يفعل فعلته لتدمير لبنان والعراق وتطول ذراعه تونس والسودان والصومال؛ والآن يفعل بسوريا، هذا هو المعلن أما عبثه في كافة دولنا العربية والإسلامية فلا يحتاج لبيان.. وهكذا كلما انفرط عقد العرب ازداد الكيان نشوة وزهوا، ولقد أصدقنا المؤرخ المصري العالمي د. عبد الوهاب المسيري حين قال "إن الطبيعة الوظيفية لإسرائيل تعني أن الاستعمار اصطنعها لتقوم بوظيفة معينة، فهي مشروع استعماري لا علاقة له باليهود".

ولأن هناك فارقا بين اليهودية والصهيونية؛ تنشط هذه الأيام على وجه الخصوص حركة "ناطوري كارتا" وتعني "حارس المدينة" وهي طائفة يهودية أرثوذكسية تأسست بالقدس المحتلة عام ١٩٣٥ في حي "ميهاشعلين" ويصل تعدادهم لنحو ٥٠٠٠ نسمة في هذا الحي وحده، وتقوم مبادئها على أساس رفض الصهيونية بكافة أشكالها ومعارضة دولة الكيان، ويعتبر أعضاؤها أنفسهم يهودا فلسطينيين ويتوقون للعيش في ظل حكم فلسطيني، ويرون أنه ممنوع على اليهودي إقامة دولة خاصة بهم، وعليهم ألا يثوروا على دول منحتهم المأمن والمأوى كالأمة العربية والدولة العثمانية ويرفضون مبدأ الهجرة الجماعية.

حكومة الاحتلال تعتبرهم خائنين، وتقوم بهدم قبورهم وطردهم وضربهم بقسوة خاصة وأنهم لا يدفعون الضرائب ولا يقبلون لمس أية عملة ورقية

أو نقدية تحمل شعارات صهيونية، كما لا يقترب أعضاؤها من حائط البراق لتدنيسه من قِبل الصهاينة حسب معتقداتهم، ويؤمنون أن الدولة اليهودية كارثة قومية وأن محاولة الصهيونية العالمية الأن دفع إسرائيل لرفع شعارات وعلم الصهيونية أشد كارثية خاصة بعد علو شأنهم في الأرض علوا كبيرا، وتقوم "ناطوري كارتا"– في يوم احتفال الكيان بعيد الاستقلال – بمسيرات في القدس منددين ورافعين أعلام دولة فلسطين وحرق علم الاحتلال.

للحركة – والتي تعد الأكبر من حيث العدد – أتباع كثر في لندن ونيويورك، يؤمنون بالعيش تحت حكم الدولة الفلسطينية لا فرق فيها بين مسلم ومسيحي ويهودي، وشارك أعضاؤها في صلاة الجنازة على روح ياسر عرفات رحمه الله، ويتبنون مقولة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد "أن دولة إسرائيل يجب ن تمحى من التاريخ" ولا يترعجون من فكرة إنكار الهولوكست أو على الأقل يرون عدم محاسبة أحد عليها.

كلما وجدت حركة تناهض أعداءنا أتحسر على فشلنا في استثمارها؛ في وقت نرى أمريكا تتواصل بجد مع كافة الطوائف والأقليات والحركات في عالمنا العربي والإسلامي وتدعمها بكافة السبل بل وتقيم لها المراكز والمكاتب وتمولها حتى يحين استخدامها لتفكيك أوصالنا وتقسيمنا لفرق متناحرة لتظل مراجلنا تغلي، ولو سألت أو طالبت بدعم مثل هذه الطوائف والحركات والتواصل تصبح المسألة من باب التندر والسخرية بل والرفاهية في ظل حال التفكك الذي تعيشه أوطاننا وفي ظل تكريس همنا وجهدنا في تمزيق أنفسنا بأنفسنا.. فلك الله يا وطني العربي.

الفساد كلمة السر

اطعنوا في ثورات الربيع العربي كيفما شئتم، واتهموا شباب مصر وتونس واليمن وليبيا بأنهم عملاء وخونة وإرهابيين ومخنثين وأصحاب أجندات خاصة كما يحلوا لكم، لكننا نوقن أن شعوبنا العربية أصبحت تمتلك دهشة سقراط والتي بها تتساءل كيف ولماذا حدث ماحدث؛ لتتعلم كيف تستعيد مجدها اللائق بها وبحضارتها وبقيمة أوطانها ومقدراته وبموروثها الثقافي والفكري والنضالي والحضاري، تدرك هذه الشعوب الآن أسباب ثوراتها ونتائجها ونجاحاتها وإخفاقاتها والتي تشابهت بين هذه البلدان بصورة لا نملك معها إلا أن نردد قوله تعالى "إن هذا لشيء عجاب".

في مصر تحت حكم مبارك ولمدة ثلاثة عقود حل الفساد الاقتصادي والظلم الاجتماعي وانتشرت بؤر الفقر والعشوئيات وأطفال الشوارع وسكان المقابر وارتفعت البطالة والأمية وانهارت الأخلاق وهبط الفن للدرك الأسفل وتدنى التعليم وفشلت المنظومة الصحية وانهارت المرافق وتفشت الرشاوي والسمسرة والفهلوة وهُربت الأموال وثروات المناجم والغاز وبيعت الأراضي والمصانع وكابدنا أكياس الدم الملوث واحترقت القطارات وغرقت العبارات وأكلنا البذور المسرطنة وحققنا أعلى النتائج العالمية في أمراض الكبد والقلب والسرطان والكلى والبلهارسيا والضغط والسكر وشلل الأطفال، وزادت معدلات الانتحار وسيطر الحزب الحاكم

على مؤسسات الدولة وعانينا من القبضة الأمنية الغاشمة، وكنا ننتظر الطامة الكبرى بتورث الحكم.

في اليمن تمكن علي عبدالله صالح من حكم البلاد نحو ٣٤ عاما سيطر فيها ١٠% من الأغنياء على ثروات البلاد، وبات ٥٠% من الشعب تحت خط الفقر، وبصفقة مشبوهة تدهور ميناء عدن الذي كان ثالث أفضل ميناء في العالم وأصبح إيراده أقل من قيمة إيجار جناح فندقي، وانهارت مرافق الدولة من مياه وكهرباء وبيع الغاز بصفقات مشبوهة دخلت جيوب الكبار، وكان اليمنيون يستعدون مثلنا لنظام توريث الحكم.

وقضى زين العابدين بن على ٢٤ عاما يحكم تونس فتفاقم الفساد وزادت القبضة القمعية الشرطية، وسيطر حزبه على السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وتكررت الوعود بالإصلاحات وإذابة الفوارق بين الطبقات لكنها كلها ذهبت أدراج الرياح، وتمت تصفية المعارضة واتهامها بالإرهاب والأصولية وارتفعت معدلات البطالة والأمية وزورت الانتخابات وغاب مفهوم الوحدة الوطنية والدور الرقابي للأجهزة المعنية، وزادت الاعتقالات التعسفية وسجن السياسين دون محاكمات.

في ليبيا كانت المصيبة أعظم حين أطلقوا عليها ثورة جياع وفقر وبطالة في دولة ذات ثروات نفطية هائلة تجعلها من أكثر الدول العربية عز ورفاهية، وقُمع الشباب وغابت حرية الصحافة واختصرت الدولة في عائلة القذافي وحدها وبالتالي كان التمهيد لتوريث الحكم هو الغاية والهدف المتوقع.

وهكذا يتشابه الفاسدون حين يحكمون شعوبهم بالعصا ويلتهمون هم الجزرة، فاسدون جعلوا شعوبهم تكفر بالأوطان وتفضل الهجران، وترى الحل في الفرار وأن قوارب الموت هي النجاة، لكن الغريب أن يفلت مبارك وزين العابدين وصالح من العقاب وهذا ولا ريب أحد إخفاقات الثورات لأنها قامت بشكل عفوي دون تخطيط مما ينفي تماما أن شبابنا كان ممولا وصاحب أجندات خارجية خاصة، لكنهم ونحن معهم ندرك ان شعوبنا لم تنل بعد الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية ولا حتى خبزا مغموسا بالحرية، لكنها امتلكت القدرة على كسر حاجز الخوف ووثقت من قدرتها على التغيير وعرفت أن الفساد هي كلمة السر التي لم تعد سرا، والقادرة على أن تحرك شعوبا لم تعد تمتلك القدرة على احتمال أنظمة استبدادية جديدة.

قضية أمن قومي

بالمرحلة الثانوية كانت حين هيات لها براءتها وعشقها لمدرستها النائية الضعيفة الإمكانات أن ترسل خطابا للرئيس الروسي تطلب منه تزويد المدرسة بكاميرا فيديو لتصور حفل نهاية العام، وانطلقت فرحة تشي لرفيقاتها بما فعلت، فتفاجأت بعقابها بخفض علاماتها مما جعل حلم التحاقها بكلية الطب ضربا من الخيال. وصلت رسالتها للرئيس بوتين فقرر تحويل إدارة المدرسة للتحقيق لأن خطاب الطالبة حوى ثلاثة أخطاء نحوية في اللغة الروسية! وحين نمى لعلمه بعقاب المدرسة للطالبة أرسل لها خطاب اعتذار مصحوبا بما يفيد قبولها في كلية الاقتصاد وكتب بخط يده "المستقبل للاقتصاد".

التعليم قضية أمن قومي، وتجارب الدول المتقدمة تثبت بما لايدع مجالا للشك أنه البداية الحقيقة والآكدة للنهوض بالأوطان، وتجربة النمور الأسيوية خير مثال قريب العهد بنا ومن قبلها سبقتها اليابان وأمريكا واستراليا وأوربا، أما عندنا فحال مؤسساتنا التعليمية وفقر إمكاناتها منذ بدايتها حتى منتهاها تعد بيئة منفرة تحث المتلقي على الفرار، والمعلم في الغالب مجني عليه غير مؤهل تعليميا ولا تربويا، مهان يبخس حقه براتب لا يصون كرامته، يجعله يتسول دروسا خصوصية من طالب لم يسق من معين الأدب النذر اليسير، ومن ولي أمر يجهل أن المعلم كاد أن يكون رسولا بعد أن أصبح أجيرا. ومن وسائل إعلام تشوهه وتقدمه في صورة مزرية

تثير الاستهزاء والسخرية، أما الطالب فيحمل عبء مناهج قوامها الحفظ والتلقين معاديا للابتكار؛ فَناء عقله وقلبه بحشو تافه لا يصمد أمام متطلبات سوق العمل حين يتخرج كيوم ولدته أمه حاملا شهادة أمية بختم جامعي.

ننكأ جراحنا بيد نعم، ولكن بالأخرى نحمل لافتة " كفانا بكاء ولنبحث عن طرائق الحلول "أولها القناعة بأن التعليم ليس مسئولية الدولة وحدها، وأن الشراكة مع رأس المال الخاص لابد منها لتحمل أعباء العملية التعليمية بصورة تجعلها جاذبة للمستثمرين الجادين بمشاركة قطاع الأعمال والصناعة ليقدم رؤية واضحة جلية فيما يجب أن يكون عليه الخريج، مع تطبيق معايير الجودة العالمية واستخدام مصادر التعليم الحديثة وإعادة تأهيل مؤسساتنا التعليمية من حيث المبنى والمعلم والطالب وأدوات العملية التعليمية.

في اليابان وماليزيا بدأ العمل بتجهيز أول مئة مدرسة بالنت ووضعت الخطط لتدريب المعلمين، وفي استراليا بدأت بمقاطعة واحدة حيث تم إجبار المعلم على التعامل مع الحاسب الآلي وأحيل من رفض أوفشل إلى التقاعد المبكر واستبدالهم بآخرين، حتى أن بل جيتس قام بزيارة تلك المقاطعة وأشاد بتقنية النت فيها، بعدها عممت التجربة، وفي الإمارات أنشأت مدارس على النظام الكندي والصيني والسنغافوري تستلهم وتطبق نظم تعليم هذه الدول المتقدمة ليتواءم الخريج فيما بعد مع متطلبات سوق العمل الذي يهوى التنوع، وقامت معاهد البترول بالتواصل مع شركات النفط لتدريب الطلاب طوال سنواتهم الدراسة والتعهد الأكيد بإلحاقهم

بالعمل بها، وبعض المستشفيات الخاصة تنفق على كليات الطب وتدرب الطلاب لتؤهلهم للعمل بها، وهكذا يحدث تواؤما تاما بين المؤسسة التعليمية وسوق العمل.

مطلوب البدء الفوري في تشكيل لجنة قومية تضم أفضل العقول والخبرات تستلهم تجارب الدول الناجحة في تطوير وإصلاح الحقل التعليمي الذي يعول علية نهضة الأمم ورقيها، وتذليل كافة الصعاب أمامها للأخذ برؤاها، عقولنا المصرية النابهة داخل الوطن وخارجه تنتظر من يستعين بها، فالعالم حولنا يتطور كل ثانية ونحن مازلنا نعاني ونقاسي ونحمل عبئا ثقيلا وحملا فادحا لن يستطيع معه الوطن الخروج من ظلامه العتيم المحدق به، علينا أن نوقن أن النهوض بالتعليم أولى خطوات محاربة الفساد والإرهاب حين يتولى مسؤلية البلاد الأكفأ والأفضل وإلا فلن نجد أحدا يتألم نيابة عنا.

التهمة "متلبسة" بمشاهدة التليفزيون

كم تطلبين مالا لفض عذريتك؟ احكي لي لحظة ختانك وبما شعرتي بعدها وهل تأثرت رغبتك الجنسية أم لم تجربي بعد؟ إيه اللي في إيدك دي؟ دي فوطة صحية يا ماما أصل الدورة الشهرية جاتني؛ تبتسم الأم قائلة مبروك يا حبيبتي دلوقتي هاتحسي بأحاسيس جميلة لم تشعريها من قبل – أنا مش عارفة أنا حامل من مين المهم أنا عاوزة أحتفظ باللي في بطني – أنا لما باشوف رقاصة رغم إني عجوز بابقى مثار جدا – العادة السرية خلقها ربنا علشان تريح الشباب – أنا زعلانة منك علشان لما بتنام معايا بتخلص وتديني ضهرك وأنا لسة ما خلصتش.

أعتذر لقارئي المحترم وأعترف أني مزقت مقالي هذا بعد كتابته أكثر من خمس مرات؛ والقصة تبدأ منذ أكثر من عشر سنوات حين قررت مقاطعة التليفزيون لتفاهة برامجه وضحالة ثقافة إعلامييه، وعدت طائعة مختارة أمارس السباحة والسياحة بين أحضان كتبي الماتعة، ومنذ شهور قليلة سألت صديقتي عن أحوالها فأجابتني "الحمد لله مستكنيصة" تعجبت ولم أفهم الكلمة، بعدها قرأت تعليقا نقديا لدكتورة متخصصة وردت به كلمة "حكرتة " وكنت أقرأها لأول مرة بحياتي ولم أفهمها هي الأخرى، وأخيرا زميل صحفي نابه يملك قلما رشيقا مقالا بالعامية حوى أكثر من كلمة غريبة على مسامعي، فلما سألته ابتسم وأفهمني (ولعله سخر من سذاجتي).

ولأني مغتربة منذ سنوات أدركت أني قصرت في متابعة تطور لهجتنا المحلية وعليّ أن أدرك مافاتني حتى لا أشعر بالغربة حين العودة للوطن، فسولت لي نفسي الاعتكاف ثلاثة أيام أمام التليفزيون، أشاهد حلقة من برنامج وأخرى مسلسل ومقطعا من فيلم، أما المسرحيات فلا أطيق مشاهدتها مطلقا، وكانت الطامة الكبري تلك العبارات التي سمعتها والتي " قبحت " بها مقدمة مقالي.

هل يليق بنا في هذا المقام أن نقول أن اللغة هي الوعاء الناقل للحضارة بعد أن جعلها البعض ناقلة للحقارة ولانحطاط والإسفاف لأناس لايعيشون إلا حيوانيتهم ودونيتهم؟ ماذا بعد أن تفقد اللغة حياءها ويفقد البشر حياءهم ويفقد إعلامنا حياءه؟ لأول مرة أستجدي كلمات فتعجزني لأصف من يجاهدون لنشر الرذيلة والفجور والإباحية ودغدغة المشاعر بفن (وماهو بفن) هابط وبرامج تثير الغثيان لينتج مجتمعا معيب العقل مشتت الفكر سقيم الوجدان، يعبث بالكلمة النور لتفحت لنا القبور.

لقرائي الأعزاء أعتذر عن هذا المقال وماوردت به من كلمات وعبارات لا تليق بكم ولا بقلمي، ولكم تمنيت أن يرفض رئيس التحرير نشره خجلا منكم، لأولادي الأحباء أعتذر لكم عن خوفي من أن ترونني "متلبسة" بتهمة مشاهدة تليفزيون وطني، لزوجي الصعيدي أعتذر وأتساءل كيف تستقبل مقالي هذا؟ لرئيس تحرير المشهد الأستاذ مجدي شندي أعتذر عما قد يصيبك – كما قد يصيبني – من كلام جارح عقب النشر؛ رغم أنك بنبلك شجعتني على كتابته من منطلق تمسكنا العميق بإصلاح إعلامنا الذي هو مرآتنا، أما لغتنا الجميلة الشريفة وأخلاق

إسلامنا الحميدة المفترى عليها ونخوتنا الضائعة؛ أنى لي بكلمات مواساة واعتذار تليق؟ لم يعد مطالبة الإعلام بممارساته الفاضحة الفادحة بقليل من الحياء مجديا، يلزمه الكثير والكثير لنداري عوراتنا التي تكشفت أمام العالمين.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

obeikandl.com

أنا الحرة فاتبعوني

لست ابنة زمني وحده، بل أنا ابنة كل الأزمنة.. كتب علي دوما أن أظل في حالة حرب منذ سلمني أبي آدم إلى قابيل، تعاقبت أجيال من البشر، ساد بعضها سلام، وأدمت بعضها الآخر.. وظللت على الدوام في حالة رباط.. يسلمني قيد إلى قيد من المجتمعات الغارقة في البدائية إلى أرقى المجتمعات التي تكرم المرأة بتسليعها وتحويلها إلى متاع، يظل الذكور معصومين من اللوم. وأنا الملامة وحدي، ملامة إن عشقت أو لم أعشق، كرهت أو لم أكره، سترت جسدي أو تركته نهبا للعيون، عصمت روحي، أو تركتها تتبدد مني وتغترب عني.

إن كنت عاقرا، أو أجلت الانجاب تفترسني العيون، كأني لم أخلق إلا لهذا، إن أصبحت لي قبيلة من الأولاد والبنات يظلون معلقين في عنقي، أضحي من أجلهم وأصادر حياتي ليعيشوا، ولذاتي ليستمتعوا، وأدهس روحي لتظل أرواحهم طليقة محلقة، بعد كل هذا يمكن أن يخرجوا للحياة ويتركوني وحيدة غير مبالين بما ضحيت !

مهما فعلت في الحياة أظل الخطيئة.. صوتي عورة وشعوري عورة وجسدي عورة وقلبي عورة، إن كتبت ما أحس تتلقفني الظنون، لماذا كتبت ولمن تكتب، إن لمعت عيني بفرحة يظل كل من حولي يفتش لماذا فرحت، ولماذا تلمع عيناي. إن قلت كفى لزوج أو أخ أو أب أو ابن تدهس روحي أفعاله تعمل آلة القيل والقال، باحثة عمن أغواني أو أغويته. وإن خفق

قلبي بمشاعر بريئة تجتمع الدنيا لإدانتي، وإن أحست روحي أنها تتوحد بروح أخرى، اعتبروا ذلك جنونا، وأعادوا فرض وصايتهم علي باعتباري لا أصلح أن أكون قيمة على نفسي.

حتى الخيال مصادر، من حولي يفتشون في كل شيء.. أوراقي وملابسي وخلايا جسدي، يتنسمعون لما أنطق في نومي وصحوي، يحاولون النفاذ إلى روحي من النظرات واللفتات وبريق العيون وابتسام الشفاه أو مصمصتها أو اتقباضها.

علي أن أكون طوال الوقت الأسيرة والمستعبدة التي تلبي طلبات سيد ما حين تؤمر، أن تبتسم أو تعبس حينما يريد، تستيقظ وتنام وقتما يحلو له، تقطع كل صلاتها بالدنيا لأنه يرى ذلك الأصوب والأنجع، مرتكنا تارة إلى دين وأخرى إلى عادات وتقاليد بالية، ليته يعرف أنني بشر مثله من لحم ودم، يحب ويكره، يسعد ويشقى، تؤسر روحه وتتحرر، وأنني مثله بحاجة لإطلاق طاقاتي إن كنت كاتبة أكتب أو مبدعة أبدع، أو حالمة أحلم.

لست سقط متاع، ينقلني حيثما يريد، ويتخلص مني وقتما يريد، بل إنسانة كاملة الإنسانية، أحارب وأحلم.. سأكون رغما عن الكون كله.. سأكون أنا ولن أكون سواي.. أمتلك ناصيتي، فالله جل في علاه، لم ينفخ الروح في آدم، ويطلب من آدم أن ينفخ الروح في. أنا نسمة هذا الكون، الملهمة وصانعة الأبطال، وسيظل. آدم من تشكيل حواء وليس عدلا أن أعلمه الرماية كل يوم، فلما اشتد ساعده.. رماني

يوم أخير لنا

إذا كان الكلام محاولة لملامسة الروح، فإن هناك أسلحة أشد فتكا، بنفس الطريقة التي كانت ملامسة الجسد فيها مرتبة دنيا من الوصول للمشاعر والأحاسيس، في حين احتلت ملامسة الهواء المحيط به أرقى الدرجات – وذلك في مشهد من مشاهد رواية ١١ دقيقة لباولو كويلو – ثبت لي أن الواقع كثيرا ما يتجاوز الخيال، ويحوله إلى مجرد تابع يؤمر فيطاع.

سادتني حالة من الصفاء لدرجة دفعتني للتساؤل، هل كانت ألسنتنا عائقا؟؟ لمحت الحالة نفسها على وجهه.. هل كانت فرصة لكي يتأمل كلانا الآخر بلا صخب، بصمتنا شعرت كأن العالم أصبح خلوا علينا، أخذ يجتازني وأجتازه كأننا كائنان من هواء شفيف، كنت أعرف أن لقاءنا قد يكون لقاء أخيرا، لكنه بعد انتهائه أصبح لدي يقين بأننا ندخل بداية جديدة تماما، عصر ما بعد المشاعر والأحاسيس المعتادة.

لا أدري كيف كان وقع لقائنا عليه، حيث اخترنا أن نصمت، من جانبي كنت أخشى البوح فيما بعد، ليس له فقط، بل حتى لنفسي، يوجا جديدة في الاقتراب تفتح عالما ربما يكون لانهائيا.

في ذلك اليوم كنا على الصراط الفاصل بين التعاسة والسعادة، بين اللقاء والفراق، على الحد بين الذات المحسوسة والأخرى الهائمة في مناطق لا سيطرة لنا عليها، ربما وصل بنا التعب إلى مداه.. فنقلنا دون أن ندري إلى درجة من الإحساس بصفاء ذهني يطلق عليها لاعبو التنس "المنطقة" حيث

يتوحد مضرب اللاعب مع الكرة ويتبعها ليردها مهما كانت صعوبتها، ويبلغ الجسد رشاقة تبدو بلا حدود، إذ يصبح عبدا لقدرات صاحبه الكامنة.

مشاغل ما بعد اللقاء الذي تراوح بين فرح الولادة وتعاسة الموت، كانت تحاول تبديد إحساسي باللحظة، لكنها لم تفلح، في أغلب الأوقات خيم إحساس من يستلقي فوق الماء آملا في نسيان الدنيا وفتح عينيه باتجاه السماء وحدها. كان بودي أن يتحدث كثيرا. يقرأ شعرا، يغني، يغازلني.. غير أنه لم يفعل، كنت اتمنى لو سرنا تحت المطر، أو تسابقنا كصبيين على شاطيء رملي، أو جذبني بكامل ملابسي إلى الماء لنتضاحك ونلهو. لم يكن بمقدرونا فعل شيء من ذلك كله، فقد سيطر عليه شعور من يتعبد في محراب.. ولم يشأ هو أن يكسر حالة الرهبة هذه، كما لم أحاول أنا طلب شيء وكأني استسلم لما يرغب.

في العادة أنا صاخبة لا أحب التوقف عن الكلام والممازحة، كان الصمت مثل غضب الكريم، بعنفوانه وجبروته في الاقتراب.. كان مهادا خياليا لروح أتعبها صعود منحدرات جبال بحثا عن سعادة لم يحن إدراكها بعد.

هل كنت سعيدة بذلك اللقاء غير المسبوق إلا في الروايات. حقا لا أعرف.. فالسعادة طبقات بعضها فوق بعض، كلما أدرك الإنسان الأعلى منها يسأل نفسه كيف سعدت بما كان أقل.. التعاسة أيضا كذلك. ما أدركه أننا كنا مثل مهرين نهرول معا نحو شيء ما، لانعرفه وربما عرفناه ولم ندرك.

على صوت ارتطام أفقت؛ فتحت عينيا لأجد رواية باولو كويلو سقطت من يدي لأدرك أني قد توحدت مع بطلتها.. أتساءل: من قال إننا قادررون على جعل الواقع أفضل من الخيال.

obeikandl.com

ترنيمة عشق

اعتراني بعض هَم وحَزن مكثت فيه أربعين يوما لم أكتب فيها مقالا جديدا؛ عدا بعض التدوينات على متصفحي الإلكتروني، كنت أهيء نفسي لنيل خلاق وافر من الراحة جراء عناء الكتابة؛ فإذ بالقلب وقد هاج وماج واصطفقت نيران مواجده موقنا أن التوقف عن الكتابة تماما كموجة ألم يتلوها الأشد إيلاما، وأن الموت الزوءام أخف وطأة من قهر ينغل في الروح حين يُنَحى القلم جانبا.

مضت الأربعون الحزينة (تأمل علاقة هذا الرقم بجلاء الحزن في موروثنا الشعبي والديني ومدلولها بصفاء النفس عند الصوفيين وصيام موسى عليه السلام لمثيلاتها لترتقي نفسه ومدلولها في الإنجيل كذلك) ومقولة محمود درويش تراودني "أننا غالبا ما نكتب لنكتب؛ لأننا نحب ذاتنا أكثر حين ننحني فوق الورق الأبيض نملأه بما نرغب من حروف وكلمات وأفكار، نكتب لأننا لا نتقن فعل أي شيء آخر بالجدارة عنها".. إذن نكتب أنفسنا لأنفسنا قبل غيرنا؛ هي ذاتي أكتبها وإن لم يعن أحد قراءتها، لأدعها تخط بإرادتي ــ أو رُغما عني ــ بيدي ماشاء لها؛ فدون كتابة تصبح الحياة عبئا ثقيلا؛ وبناء عليه فليس من قبيل الهرطقة أن تصبح الكتابة "فأسا للبحر المتجمد فينا، بها ينفتح الجرح وتبدأ أولى علامات الفهم" كما يقول كافكا ذلك الكاتب والروائي والقاص التشيكي الألماني المتألم دوما.. وأؤمن أننا نكتب لنخلق ذاكرة جديدة للنسيان حين ينسى.

أُدهش حين أجدني من حيث لا أحتسب ولا أنتوي أجمع في مقالي هذا بين صاحب الشعر الحزين محمود درويش وفرانس كافكا؛ بَيد أن الدهشة تزول حين يربط ظني ووجداني بين شاعر حزين على وطنه المسلوب

ومعاناة كافكا الأليمة من استبداد وتسلط والده المتنمّر والتي دَوّنها في رسالته إلى أبيه في أكثر من مئة صفحة ثم شرع يحشد معاناة الناس في كتابه "الحكم" إلى أن يحترق قلبه بنيران الهولوكست التي أحرقت شقيقاته في أفرانها. ء يمكننا اعتبار غطرسة الوالد وقسوته وظلمه للابن كافكا في مغزاها إشارة تلقن الدرس لكل حاكم تولى زمام أمر أو امتلك ناصية رعيته إن لم يستقم فلن تكون النتيجة الملزمة والمحتمة إلا حبائل كره متواصل ومتبادل ووقود يزيد من غليان المراجل؟!

وهل يحق لنا أن نقول لمن يروم حكم الشعوب ــ فلا تَصلى منه إلا النار الحامية ظانا أنه سيرود شأو العظماء والقياصرة ــ لا تحسب أن "الحكم" سلطان مفرط فعقيدتك كاذبة خاطئة،لا تكن مسرفا ولامخسرا في ميزان عدلك، فاليوم يتحرر أسارى اليد والقلم فيكتبون وغدا يتحرر الوطن من قيوده وأغلاله وبها أنت وزبانيتك تكبلون، وإذا كان محمود درويش عاش محسورا على وطنه السليب؛ ومات كافكا يائسا كمدا حين بلغ نضجه وأشده (في سن الأربعين)، فإن الشعوب باقية تأبى إلا أن تعيش شبابها ونضجها ولن تهرم أبدا لأنها ولود وتلك سنة كونها.

أما نحن ــ معشر الكُتّاب ــ ترانا سنحذوا حذو الروائي الألماني حين أوصى بحرق كتبه فنوصي كذاك بحرق أقلامنا وكتاباتنا لأنها تتلاشى كدخان في الهواء لم تُصب هدفا أو تنقذ وطنا؟! أم نظل يحدونا الأمل أنه مازالت هناك قلوب تبصر وآذان تعي بأن الكلمة نور يضيء الدرب، وترنيمة عشق لوطن عانى منذ عهود طويلة آلام المخاض لينجب غدا زاهرا فإذا به يلد إخفاقا وراء إخفاق.

اطلبوا الحكمة ولو في الصين

آلام مبرحة بالبطن عانت منها صديقتي؛ أجمع الأطباء على ضرورة إجراء جراحة كحل وحيد وأمثل؛ بقليل من الثقة وكثير من عدم التصديق أشارت علينا صديقة أخرى بزيارة عيادة صينية بدبي؛ توجهنا من فورنا نمني أنفسنا بنزهة قبل إجراء الجراحة ولم نثق في النصحية المهداة، رغم ذلك وضعت صديقتي نفسها تحت إرادة الطبيب الصيني الذي طلب منها خلع ملابسها وارتداء زيا خاصا فضفاضا من القطن الطبيعي واقتعدت القرفصاء مغمضة العينين ناصحا إياها أن تطلق عنان خيالها في اللاشيء كنوع من إراحة الذهن من التفكير، وأن توقن في قرارة نفسها بقدرتها على التخلص من آلامها؛ وفي تلك الأثناء يقوم الطبيب بسكب الحليب بكميات كبيرة وأنواع من الزيوت الطبيعية والأعشاب المذابة لدهن وتسميد الرأس والجسد كله.

بعد عدة جلسات شفيت صديقتي؛ عدنا بعدها للجراح فبهت من النتيجة، سألت الصيني استوضحه قال "نتصالح مع الجسد ونستنهض همته ونرسل له رسالة مفادها أننا نثق في قدرته على المقاومة مستخدمين موادا وأعشابا مما تنبت الأرض وهي نفس مكونات الجسد البشري المخلوق من تراب وماء، ولا نستخدم الأدوية الكيماوية والمضادات الحيوية التي تقوم بالنيابة عن الإنسان بمهاجمة المرض وتتولى القضاء عليه بل وتقضي على الإنسان ذاته بمرور الوقت".

حتى في المجال الطبي تتجلى فلسفة الغرب في الصراع، تاريخه كله قائم على خلق عدو حقيقي أو وهمي، مهوسون بحب السيطرة مذ كانوا عصابات وصولا لسيطرتهم على الأرض الجديدة "أمريكا" وإبادة الهنود الحمر أصحابها الأصليين، ولأنهم شعوب انحدرت من ديانات وأعراق متباينة فكان ولابد أن يتحدوا تحت هدف واحد يجمعهم خلف قيادتهم ولم يكن هذا الهدف سوى اصطناع عدو كنوع من تحفيز الهمم وتوخي الحيطة والحذر من التفكك والتشتت، ويرى علم النفس أن هكذا مريض يبذل قصارى جهده لخلق عدو حتى لا يجد وقتا يقف فيها أمام مرآة ذاته فيرى قبح نفسه.

بتتبع السلوك الغربي ــ بعد سقوط الأندلس ــ تجاه المسلمين واليهود وسكان العالم الجديد وحركات التطهر العرقي في البلقان نجد بجلاء رفضهم لفكرة التعايش مع الآخر، فمنذ الرومان الذين اتبعوا سياسة "المدن المحترقة" والسلوك التدميري ينطلق لديهم من عقلية مردها الصورة المتضخمة للذات المتعالية التي تنبذ الآخر وتنفي وجوده، حتى أن العقيدة اليونانية ترتكن على فكرة الصراع بين الألهة بعضها بعضا وبينها وبين الإنسان من طرف آخر، وصولا لفكرة انتصار الإنسان على الإله!! وذاك تصور لا مثيل له في العقلية الشرقية.

حين تحولت المسألة لديهم للصراع بين السلطة المدنية والدينية قادهم نزقهم الفكري إلى الوثوق بفكرة الانتصار بدون إله وتساءلوا: "ما حاجتنا لإله، فإن كان ولابد فلينصرنا نحن لأننا أهل الخير وليميت أعداءنا لأنهم أهل الشر".. وهنا نلاحظ كلام الرئيس الأمريكي بوش عن محور الشر

وكيف أن الرب يقف معه ويدفعه للحرب العراقية. وعلى هذا فلابد من وجود منتصر ومهزوم، ويرون أنه لابد من الاختيار بين "وجودي ووجودك ومصالحي ومصالحك والقوة هي الحاسم بيننا والبقاء هو الهدف والتخلي عن القيم والدين ضروري إذا كان سيحول دون النصر".

ومن هنا انتهى الصراع بين الدولة والكنيسة بإقصائها عن المشهد، وامتد حتى إقصاء الآخر وقُدم النموذج الغربي كنموذج متفرد ووحيد، وصنفت شعوب المعمورة طبقا لتصوره، وأصبح القتل والتدمير وإبادة الشعوب لا مانع منها، بل وإعطاء الضوء الأخضر للنظم المستبدة بسحق شعوبها أو التضحية بعدة ملايين مقابل ن ينعم الباقون بالترف على النسق الغربي (لاحظوا الخطاب الإعلامي لدينا الذي لم يمانع في سحق خمسة ملايين شخص مقابل أن يهنأ الباقون برغد العيش)، بل وإقصاء العقول المفكرة (لاحظوا العراق) واعتقال من يدافعون عن القيم الفكرية والدينية، بعدها سيبدو الأخر "نحن" على هيئة شعوب همجية لا تملك مقومات الابتكار ثم تُدفع دفعا للترويج للقيم الهابطة وازدراء الدين (لاحظوا وسائل إعلامنا) وبذلك ندور في إطار الصورة التي أرادوها لنا ونفذناها لهم بأيدينا.

وهكذا تقوم العقيدة الغربية على فلسفة الصراع ليس في المجال السياسي فحسب بل والاقتصادي والعقائدي والاجتماعي والطبي وذلك ما نبهنا إليه الطب الصيني، ترانا مازلنا نأمل أن نتواصل مع الغرب بأي شكل من أشكال التعاون أم أن فهمهم يحتم علينا أن نلتفت لشعوبنا وأقطارنا نتلمس مقومات توحدنا لأننا فقط القادرون على تقبل الآخر الذي لم ولن يقبل وجودنا ولا يرتاح إلا بخلق عدو يكون سببا في إيقاظه بشكل دائم ؟

خُدعت باسم الهَوى والعشق

تخيل نفسك تلوذ بركن هادئ؛ تُهيئ شغاف قلبك ومعارج روحك التائقة للإنصات لهمس أرق أسرار الكون السَكرى مع أنها ليست بسر؛ بل تجري كالشهد تحت كل لسان! سر يسلبك التوحش والتخلف والبشاعة بل والوضاعة، ويمنحكجمال إشراقة زهور الشرفات، به يسافر قلبك بين يدي صاحبه حتى تتقمصه، وتتوحد به ليصبح خبيئتك الذي تحن إليها وتُغافلك إليها نفسك؛ فتسربلك بمسوح الروعة والسكينة لتهنأ به، ولكن من حيث لاتدري يتمزق الصمت حولك فجأة، ويُجتث هدوؤك ويجتاحك هم ثقيل وقت تجد نفسك مثقلة بحقائب الأحزان.

تتوقون لماهية السر؟ أجيبكم؛ هو شعوري الخاص والدائم كلما همّت نفسي لتحلق في محراب الشعر والشعراء؛ حيث صلواتهم ومناسكهم وتراتيلهم؛ أتبتل معهم ــ وهم المغبوطون ــ أنهل من روعة تحويمة فراشات حقولهم وفيض خلجان نبضهم وأحاسيسهم. تتساءلون: ما المشكلة إذن؟ القصةأثناء تجوالي في أحد معارض الكتب وقع بصري على عنوان ملفت يجمع صاحبه ــ هكذا ادعى ــ أرق ماقاله نزار قباني عن الهوى والعشق، ولأن شعر نزار يسكر الأكوان؛ مددت يدي وعيني لألتهم الكتاب، فنظر لي البائع بتوجس وريبة؛ فانتبهت.. وعلى عجل نقدته الثمن ومضيت أتيه بكتري البديع.

بفرح غامر حملت حصيلة الكتب التي ابتعتها ورجعت بلهفةلبيتي أقعدبخشوع في ركني الخاص أتسمع هديل حمامات برية رضيت أن تسكن شرفتي ترعى الحب والماء اللذين أورادها بهما كل إشراقة شمس وغروب؛ ومنيت نفسي بتهويمة في سماء دولة عشق نزار "امرأة ووطنا"؛ وبسبق إصرار وترصد أفسد ذلك الجهول الحاقد ـــ ولن أقول الكاتب ـــ متعة القراءة بعنوانه الخداع، إذ به يسبح في نهور تستعر بلهيب الغل ظانا أنه يخاطب جوقة من العميان الجهال؛ مدعيا في "منشوره" ولن أقول كتابه أن الإسلام أعلى من قيمة الرجل وحط من شأو المرأة وعقليتها مستشهدا بآيات شيطانية وليست قرآنية طالما اجتثت من سياقها، وادعى أن الحديث الشريف وضع في زمن الخلافات والدول الإسلامية لإضفاء الشرعية على حكامها! وأن الزواج في الإسلام معادلة اقتصادية بحتة، وعرج على مذهب أهل السنة والجماعة وساواه بعقيدة الروافض.

ولم تسلم كتابات نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس وتوفيق الحكيم من حملته التسفيهية، مدعيا أن الناشرين كانوا يلقون بإبداع أولاء في أقرب مزبلة، واتهم طه حسين بأنه فاقد للبصر والبصيرة والقدرة على التخيل، أما نزار قباني "والمفروض أنه موضوع الكتاب الرئيسي" فقد عرض أشعاره المغناة متهما إياه بموالاة جمال عبد الناصر ومنافقته بعد أن هاجمه! حتى البسطاء لم يسلموا من سمومه فرأى أن رجل المرور والخباز يمارسان ساديتيهما فيتحكمان في مرور كبار الشخصيات ورغيف العيش !

هل ذهلت مثلي قارئي الأعز من ذاك العُتل؟ لعلك تتساءل لماذا أكتب عن هكذا كتاب موسوما بكل هذا القرف الذي يحويه وأشمئز منه؟ أجيبك "إنها

الغيرة" نعم الغيرة على الشعر والشعراء وأصحاب المقامات الرفيعة من أدبائنا وكتابنا ومفكرينا، الغيرة على صناعة كتاب قامت دور نشر ــ وللأسف كبيرة ومعروفة ــ بهتك ستره ومكانته وشرف كلمته، الغيرة على التنوير والتثقيف الذي يجب أن يكونا رسالة دور النشر السامية والرفيعة؛ فتدقق فيما تنشره ولا تتخذ للتفاهة والسفاهة ركنا ركينا ومميزا في معارض يغشاها نشء جاء ينهل من رضاب الكلمة الراقية الواعية؛ فإذا هي معين سم قاتل يتناوله جيل غير محصن فكريا وتلك طامة أخرى، والحقيقة لاأعلم الجهة الواجب عليها بشكل مُحتّم مراجعة مثل هكذا ترهات.

عذرا لكل الهامات الباسقات السامقات في سماء الفكر العربي، عذرا نزار سواء اتقفنا مع رؤاك أو اختلفنا؛ لكنك تظل أول شاعر نوقشت أشعاره في البرلمان وأثارت عواصف عالمنا العربي وأحدثت جدلا كبيرا بدواوينها الواحد والأربعين، ومُنعت أشعارك من الإذاعة وكتبنا الدراسية بقرار سياسي وعادت ثانية بقرار سياسي، فكانت لك الحظوةلتربعك على عرش الكلم والإحساس الباذخ ،لن ننسى رقة حرفك حتى وأنت تعلن غضبك: "اغضب كما تشاء.. كن عاصفا كن ممطرا.. فإن قلبي دائما غفور إذا يوما مللت مني.. أما أنا فإني سأكتفي بدمعي وحزني.. فالصمت كبرياء والحزن كبرياء.. اذهب إذا أتعبك البقاء.. فالأرض فيها العطر والنساء.. وعندما تحتاج كالطفل إلى حناني.. فعد إلى قلبي متى تشاء.. فأنت في حياتي كالهواء وأنت عندي الأرض والسماء.. لابد أن تعود ذات يوم.. وقد عرفت ماهو الوفاء".. علنا نتعلم معنى الوفاء تجاه أعلامنا ومفكرينا بل وعقولنا.

بلادنا أقرب لداعش من حبل الوريد

على مدى ٢١ يوما مدة احتجاز المسيحيين المصريين في ليبيا على يد داعش القذرة؛ أبدى المصريون وخاصة أهليهم وذويهم رباطة جاش محمودة وثبات يُغبطون عليه لحين جلاء الرؤية، وبدم بارد ذبح الضحايا بوحشية تشي بإنسانية أدنى من الحيوانية التي نقلل من قيمتها فإذ بها أعلى منا شرفا، حيث لايَقتل الحيوان إلا إذا جاع ؛ بينما في عالمنا يقتل الإنسان المترف و"الشبعان" الإنسان الجائع آملا أن يمتلك العالم كله؛ وتلك فلسفة الغرب في صراعه مع الحضارات والديانات الأخرى معتبرا نفسه هو الأفضل الذي يجب أن يبقى وعلى باقي العالم أن يخضع له وإلا فالإبادة والقتل وإنهاء وجوده هو مصيره (لاحظوا تاريخ الغرب والصهيوني المستعمر المتعطش للدماء).

وإذا كنا نعزي أنفسنا في مصابنا الجلل؛ إلا أن معالجة الأمر يتطلب روية وحكمة بالغة متعقلة؛ فلم يعد خافيا على أحد أن داعش هي ذراع جديدة قذرة للصهيونية والإمبريالية الغربية، فبعد تمويلهم ودعمهم للقاعدة وبعد أداء الدور المنوط بها في أفغانستان والعراق، هاهو الغرب ينحي ورقة القاعدة ويزرع في بلادنا داعشه داعما إياه إعلاميا واقتصاديا وعسكريا حتى طائرات التحالف التي أعلنت منذ مدة ليست بالبعيدة أنها ستدك معاقل داعش إذ بها تلقي لهم سلاحا ومؤن غذائية على سبيل الخطأ (!!)،

وتم الإيعاز لبعض النظم العربية لتمويلها على طريقة "سمن كلبك كي يفترسك".

بأفلام هوليودية وبأموال يهودية ذبح بريطاني ويابانيان (لاحظوا أن الدولتان لم يحركا ساكنا)، ولأن المنطقة لم يهتز لها جفن ولم تلق للأمر بالا؛ يعرض الفيلم التالي ولابد أن يكون أبطاله هذه المرة عربا؛ ولأن العرب يتمتعون برعونة لا يحسدون عليها فسيكون رد فعلهم أكثر من المتوقع (مع إن قوانين الفيزيقاء تعلمنا أن لكل فعل رد فعل مساويا له في المقدار)؛ سبق ونبهنا وحذرنا.. فقَتل الطيار الأردني أعقبه نعرة قبلية عالية أجبرت سلاح الطيران الأردني للرد على داعش، عدنا وقلنا الدور على مصر والخليج وتونس لأنها هي الدول الوحيدة التي تمتلك جيوشا في المنطقة بالإضافة للإردن؛ وجاء الدور على مصر ليُذبح مواطنوها في ليبيا كي يولي الجيش المصري وجهه شطر الغرب تاركا حدودنا الشرقية للمتربصين الراصدين، وتقوم مصر فعلا بنفس مافعله الأردن وقد حدث.

وهكذا سيقوم "شداد" الكامن داخل العقلية العربية بالثأر والذود عن الحي، وتنهك قوى الجيوش العربية الواحد تلو الآخر وتزداد اقتصاديات دولنا تعثرا وتنتشر الفوضى "غير الخلاقة" فتقضي على البقية الباقية من دولنا أو أشباه الدول، وتترك لنا داعش سؤالا هاما هل العراق وسوريا والأردن ومصر أقرب إليها من حبل الوريد؟ والوريد هنا هي إسرائيل وما تفعله في القدس وفلسطين!! فلماذا لا توجه داعش سكاكينها ومحارقها لإسرائيل ؟!

بتحليلهم الدقيق أثبت السينمائيون والمتخصصون في علم السينوجرافيا (بل وحتى عشماوي الخبير في عمليات الإعدام) أن كل عمليات الذبح التي تمت على يد داعش أفلام هوليودية؛ هل معنى ذلك أن الضحايا لم تذبح؟ لأ طبعا تم التخلص منهم بأي طريقة كانت.. ولكن بالمنطق والتحليل يثبتان أنهم قد قتلوا في أماكن أخرى غير الأفلام التصويرية التي لفت العالم لتشوه وجه الإسلام وتستعر الحملات العالمية معلنة أن هكذا سيحكم الإسلام العالم أي بالذبح والإرهاب، تأملوا معي حين يردد إعلام الغرب المملوك لليهود باستمرا عبارة "تنظيم الدولة الإسلامية" ولايقولون "داعش"، تأملوا كيف لم ينتفض الضمير العالمي حين قتل إرهابي أمريكي بدم بارد ثلاثة من العرب المسلمين فقط لكونه يكره الإسلام، بينما انتفضت الدنيا كلها لحادث شار إبدو؟

دعونا لا نكيل بمكيالين؛ فالإرهاب إرهاب أيا ماكانت جنسيته وديانته ومكانه وضحاياه نرفضه وندينه، لكن دعونا نتساءل: لماذا اختارت داعش ٢١ مصريا مسيحيا ليس بينهم مسلم واحد؟ أجيبكم: لأنه شر أُريد بمصر؛ فإذا اختارت أن ترد على داعش بعمل عسكري فهذا منتهى أمل الغرب لاستنزاف قوانا العسكرية، وإن لم ترد فسينقلب الداخل الوطني بغضب المسيحيين لعدم الثأر وتدخل البلاد أتون فتنة طائفية قبيحة لا تبقي ولا تذر، وهذا ينبهنا لأهمية اللحمة الداخلية التي يجب أن تتحقق.

في نهاية مقالي أترك لكم بعض التساؤلات: وقعت فرنسا مع مصر اتفاقية بيع صفقة طائرات بأكثر من ٥ مليار يورو (لاحظوا الرقم والعملة) أليس وجود داعش فرصة لإنعاش تجارة السلاح العالمي لتقوم باقي الدول العربية

بتخزين أسلحة جديدة وإلقاء ماحوته مخازنها من قبل وأكله الصدأ ؟من أين لداعش كل هذه الإمكانات الإعلامية والاقتصادية والعسكرية والمخابراتية والتنظيمية والتدريبية وأيضا اللوجيستية؟ كيف تقف ضحايا الذبح غربيين وعرب برباطة جأش هكذا وكأنهم قتلوا من قبل واعتادوا.. كيف هذا الثبات والملابس النظيفة الزاهية القادمة توا من محلات تنظيف البخار وخطواتهم وحركاتهم المنتظمة المدرب عليها كما تتدرب المجاميع السينمائية، ثم ماهذه الشاعرية والرومانسية الحالمة التي تتمتع بها داعش فتجعل الخلفية بحرا صافيا أوصحراء فاقع لونها يسر الناظرين والشمس ساطعة وكأننا لسنا في شهور شتائنا؟ إذا أردت اجابة فأعد قراءة مقالي من أوله.

يسحبون مصر للمستنقع الليبي

قصدا أم مصادفة تحل الذكرى الرابعة للثورة الليبية ــ التي اندلعت في ١٧ فبراير ١٩١١ــ متوجة بدماء ٢١ مصريا ذبحوا بيد داعش الإرهابية ذراع أمريكا وشركاها وإسرائيل والتي تم زرعها لتحيل المنطقة العربية لفوضى عارمة جاءت على لسان رئيس وزراء إسرائيل وهو يعلن أول أمس أن الشرق الأوسط ينهار ويتفكك. والحقيقة أن الثورة الليبية دون ثورات الربيع الأخرى اتخذت منحا "دراماتيكيا"؛ بمعنى أنها حملت كثيرا من الآلام والقسوة حتى أصبح لسان حال الشعب يتمنى عودة القذافي وأيامه، وبدلا من مقولة هيرودت "من ليبيا يأتي الجديد" أصبحت "من ليبيا يأتي الغريب والرهيب" كما يردد أبناؤها.

لايخفى على أحد بداية اندلاع الثورة الليبية بمدينة بنغازي إثر اعتقال محامي ضحايا سجن بوسليم فتحي ليخرج الأهالي لتخليصه هاتفين ضد النظام، فتقمع احتجاجاتهم ويسقط أول شهيد بمدينة البيضا لترتفع الحصيلة لنحو ٤٠٠ شهيد، وتتعالى الأصوات بسقوط نيرون ليبيا الذي حكمها ٤ عقود محتكرا هو وعائلته السلطة والمال والسلاح، وهنا يخرج الرئيس الفرنسي نيوكولا ساركوزي (الصديق المقرب للقذافي!) معلنا إقرار مجلس الأمن بالحظر الجوي على ليبيا وتوجيه ضربات استهدفت كتائب القذافي فيهرب الرئيس الليبي بعد أن مل من سؤاله "من أنتم" ووراءه الثوار زنقة زنقة يبحثون عنه حتى أردوه قتيلا.

تتواصل الدراماتيكية الليبية حين تتنازع القبائل وتفشل في التفاهم ويتصارع الكل للانقضاض على الوطن، وتتوالى الأنباء بتقسيم البلاد بين القبائل المسلحة من مخازن القذافي وبتسهيلات مريبة من الغرب الداعم الحريص على تفكك ليبيا ليسهل له السيطرة على غازها ونفطها، ثم يتم نهب المال العام والخاص ويغتال الآلاف وتتحول البلاد لملجأ للعصابات الإجرامية وتجار السلاح والمخدرات والقوات المرتزقة ليصبح حلم الشعب الأول والوحيد الأمن والأمن فقط.

يتصدر المشهد الليبي الآن ثلاث قوى بعد أن دخل تنظيم داعش الإرهابي الأراضي الليبية بدعم ومباركة غربية بعد أن كان قاصرا على قوتين متصارعتين إحداهما نظام القذافي الذي يحاول الرجوع ممثلا في اللواء المتقاعد حفتر، وثوار يريدون إكمال ثورتهم متهمون بالتطرف ويقدمون أنفسهم على أنهم أحق بقيادة البلاد، تولد عن ذلك حكومتان وبرلمانيان يتنازعان ويقتسمان واقع البلاد.

فيما يتعلق بالمشهد المصري فمعروف أن الحدود الغربية المصرية الليبية تمتد لأكثر من ألف كيلو متر تتخللها عمليات تهريب أسلحة ومخدرات، أضف إلى ذلك علاقات نسب ومصاهرة بين قبائلنا في الغرب مع قبائل الشرق الليبي مما يجعل السيطرة على تلك المسافة الكبيرة مسألة في غاية الصعوبة، خاصة مع اللادولة واللاحكومة التي تحياها ليبيا حاليا، ووجود أكثر من مليون عامل يعملون هناك تحت ظروف بالغة القسوة هروبا من مناخ اقتصادي مصري أشد قسوة.

تكتمل صورة الشر الذي أُريد بمصر حين نجد خلال مدة بسيطة يتم إدخال داعش للأراضي الليبية وتهيئة معسكرات التدريب لها ومخازن

السلاح بل ومحاولة إدماجها مع ميليشيات مسلحة؛ لتكون أول ضربة إرهابية توجهها لمصر التي تكاد تكون الدولة الوحيدة في المنطقة التي تمتلك جيشا نظاميا يحلم الغرب وربيبه إسرائيل بتدميره ليعيثوا في بلادنا الفساد، وما داعش إلا وسيلة لسحب الجيش المصري للمستنقع الليبي ليتم إلهائه عن حدودنا الشرقية مع إسرائيل والجنوب المتأجج والشأن الداخلي المصري غير المستقر، ونتناسى الخطر المحدق بنا والقادم من أثيوبيا وسد نهضتها الذي من شأنه الإضرار بحصتنا من مياه النيل.

لم يكن اختيار داعش لذبح مسيحي مصر من قبيل المصادفة، بل كان اختيارا متعمدا لتقع مصر بين شقي الرحي، فإما تقوم برد فعل عسكري يعقبه رد من داعش ثم تتوالى المعارك بينهما حتى ينهك الجيش المصري وتستنزف قواه خاصة وأن أكبر دولة في العالم تمول وتدعم داعش، وإما تتراخى مصر في الرد فيثور المسيحيون بالداخل لتندلع فتنة طائفية تأكل الأخضر واليابس.. وعلى هذا وبعد توجيه الضربة المصرية العسكرية وتواتر الأنباء بقيام داعش بتكرار المسألة وخطفها لعدد آخر من المصريين (لاحظوا أكثر من مليون مصري بليبيا) لابد أولا من إجلاء المصريين وإعادتهم على وجه السرعة للوطن، ثم التروي والتعقل والتعامل بحكمة بالغة مع الموقف؛ خاصة في ظل الدعاوي التي تعالت حاليا بمطالبة أوباما بضرب ليبيا ودخول قوات التحالف، ودعاوي غربية أخرى تلوم مصر على تدخلها مفردة لضرب ليبيا ــ رغم أنه حقها طبقا للمواثيق العالمية ــ لكنهم يودون أن تتحول ليبيا لمصدر قلق دائم وحال العراق ليس بخاف على أحد .. نعود ونردد ثانية أن اللحمة الداخلية ضرورة وطنية وأن جيشنا تنتظره تحديات كثيرة تحتاج لأن يؤازره الشعب.

مزرعة الحيوانات

كاتبة عربية تستضيفها قناة فضائية شهيرة؛ تعلن بجلاء وحماس شديدين أمنيتها عودة بلادها لحقبة الاستعمار معللة بقولها "كنا نعيش بصورة أكثر آدمية مما نحن عليه الآن"؛ لحظتها تذكرت مقولة المفكر الجزائري "مالك بن نبي" حول قابلية العرب للاستعمار، لكني عدت أسائل نفسي: تراها الكاتبة على حق أم جانبها الصواب؟ قلبت فضاء التلفاز لأصاب بغصة في حلقي من الخطاب الإعلامي التبريري المنافق الذي لا ينتهي، وقتها خاطرني طيف "سكوبلر" في رواية "مزرعة الحيوانات" صوت مشاعر وأفكار الكاتب البريطاني المبدع الشفيف "جورج أورويل"؛ الصادرة بالعام ١٩٤٥ والمترجَمة للعديد من لغات العالم حتى غدت ضمن أفضل مئة رواية عالمية منذ العام ١٩٢٣ حتى ٢٠٠٥ محتلة المرتبة الواحدة والثلاثين.

فبحياة ملؤها الكد والبؤس أرهقتهم فيها الشقاء والعبودية وفقد الحرية بشكل يثير الشفقة، وبكثير من الظلم الذي انضووا تحته، تصاعدت مشاعر النقمة والازدراء في النفوس الغاضبة والأمزجة النافرة؛ فثارت ثائرة الحيوانات على صاحب المزرعة الذي يعيش حياة رغيدة مترفا ويصب وابل غضبه على حيواناته كل يوم، فتلمسوا خلاصا من سنواتهم العجاف؛ وراق لهم أن يحيوا في مجتمع جديد ملؤه المساواة خاليا من صنوف الظلم. وبالفعل يتحقق مبتغاهم حين يفر صاحب المزرعة ناجيا ببدنه من سياط غضبهم.

يتولى الخنزير "سنوبول" القيادة ذلك البطل الثوري الذي يحوذ الثقة ويتمتع بقدرته على استشراف المستقبل؛ فيحقد عليه الخنزير "نابليون" ويسلط عليه كلابه الشرسة "جهازه الأمني" ليطرده خارج المزرعة متهما إياه بالخيانة والتخريب وهي تهمة ملفقة، حينها ينفرد نابليون بالحكم ومعه جوقة من الخنازير "بطانته"، متخذا الخنزير "سكوبلر" ساعدا يتكئ عليه؛ فينيط إليه المهام الإعلامية التي تبرر سياسته وتقنع الحيوانات بحكمته وقراراته بل وفظائعه التي يرتكبها، وكلما حاول أحد الحيوانات إبداء رأيه أو اعتراضه اقتيد للمقصلة وهُدد الباقون بخطر عودة صاحب المزرعة ليُوَل عليهم وليذيقهم وبال أمرهم مجددا؛ فيصمتون وينصتون لاحصاءات تتلى عليهم تبين ازدهار منتج المزرعة تحت قيادة نابليون!! ولسان حالهم يوشي بوضاعة الحال التي يحيونها بعد تعاظم ساعات العمل وتواضع حصة الطعام، والتعنيف والتهديد المتواصل مما أصابهم بالوهن والوَهل.

تمضي الرواية لتلقي ضوءها على مجموعة من خراف المزرعةنطلق عليهم بمصطلح عصرنا "المطبلتية" الذين يتوجب عليهم إخماد أية معارضة بمنهجيتهم الناجعة وهي الصياح والتهليل بفزع في وجه من يعترض صارخين "الزعيم لا يخطئ أبدا" مرددين أن من "يمشي على أربع أفضل ممن يمشي على اثنتين" إشارة للحيوان والإنسان، لكن بعد أن يميز الحاكم نفسه عن الرعية؛ ويعيش في نفس قصر صاحب المزرعة المطرود ويتدثر بأرديته ويطعم في أوانيه الفاخرة مقلدا البشر في مشيتهم حتى أصبح يمشي على رجلين؛ تصيح الخراف وقتئذ هاتفة "من يمشي على اثنتين أفضل ممن يمشي على أربع"!

تكتشف الحيوانات أن "الوصايا السبع" التي دونوها بعد ثورتهم المجيدة لإرساء مبدأ المساواة قد مُحيت وأعيد "تفصيلها" على مقاس الديكتاتور الجديد نابليون وبطانته وجهاز أمنه وبوقه الإعلامي، وطفقت الحيوانات تسترق إليهم النظر؛ فإذا بهم قد أضحوا تماماكهيئة صاحب المزرعة المستبد السابق، مما جعل الحيوانات تتساءل مدهوشة فيما بينها أيهما الحيوان – من بني جلدتها – الثائر وأيهما الإنسان عدوها؟! وهنا تلفتنا الرواية إلى الأخطاء التي تقع فيها الثورات ونظم الحكم الجديدة حين تستخدم نفس الأساليب القمعية لتصبح أكثر فسادا من سابقتها.

هنا أدركت أنهيتوجب عليّ التماس العذر لتلك الكاتبة العربية التي سمعتها مصادفة على شاشة التلفاز؛ وازددت إعجابا بذلك الكاتب الواعي القارئ لطبائع النفس البشرية، وكيفية إدراكه بقوة السلاح الإعلامي التبريري منذ نحو ٧٠ عاما خلت، ويبدو أننا محتم علينا أن نعاني طويلا من طيف الإعلامي الخنزير "سكوبلر".

مصر بين مطرقة داعش وسندان إيران

سقط نظام صدام حسين بما له وما عليه وسط مؤيدين ومعارضين كُثر كانوا ومازالوا وسيزالون يتبارون كل يدافع عن وجهة نظره وقناعاته، من وجهة نظر العالم الإسلامي السني بالطبع يحسب لصدام أنه كان مدركا للخطر الشيعي وأطماع إيران في المنطقة الخليجية على وجه الخصوص والعربية والإسلامية على وجه العموم، فبعد احتلال أمريكا للعراق سُلمت المناطق الشيعية والسنية لإيران "تسليم مفتاح" والمنطقة الكردية وهي الكارت الرابح ظلت محظية بمعية أمريكا وربيبتها إسرائيل.

لم تتوقف المطامع الإيرانية بعد ابتلاع معظم العراق، ولم تكتف بعلاقاتها ومصالحها وتطلعاتها في لبنان بذراع حزب الله، واحتضانها للنظام السوري في وجه معارضيه، هذا من ناحية شمال المنطقة العربية الخليجية، بل امتدت أطماعها كذلك للجانب الشرقي فها هي تسعى جاهدة لإسقاط البحرين ونظامها السني، كذا سيطرتها على ثلاث جزر إماراتية (أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى) رغم الدعاوى المرفوعة من دولة الإمارات لدى الأمم المتحدة، كما يتلقى الشيعة في شرق المملكة السعودية الدعم الإيراني الآكد مثيرا للقلاقل والاضطرابات لأجل قلب نظام الحكم السعودي.

وإلى جنوب منطقة الخليج العربي فلم يعد خافيا على أحد سيطرة الحوثيين الشيعة على أمور البلاد، وبات واضحا أن تطويق الجناح العربي الأسيوي لم يعد ضربا من وهم وفرط خيال لأجل تضييق الخناق على السعودية

وصولا لتحقيق مآربهم ومعتقداتهم الباطلة بالسيطرة على البيت الحرام والمسجد النبوي الشريف. ومن يطالع خرائط الشيعة وخطب مراجعهم وأئمتهم يري الأمر بصورة جلية واضحة.

أما عن الشأن المصري فالخطر المحدق متعدد الأطراف والاتجاهات، فالخطر الإيراني من ناحية في الاتصال ببضعة آلاف تم تشيعهم وبعضهم من أساتذة الجامعة على وجه الخصوص لقدرتهم على التأثير في النشء وهو المستهدف الأساسي، ومحاولة السعي وراء إرسال أفواج سياحية إيرانية لأماكن مقدسة بعينها إحياء وامتداد للدولة الفاطمية الشيعية التي حكمت مصر في فترة من فترات التاريخ الإسلامي فلم يتشيع المصريون رغم حبهم الشديد لآل البيت بل كسبت مصر منارة الأزهر الشريف، كما لا يخفى على كل ذي لب أن سيطرة الحوثيين على اليمن يستتبعه سيطرتهم على مضيق باب المندب المخرج والامتداد الطبيعي لشريان قناة السويس أحد أهم قنوات الملاحة الدولية العالمية، وفي حالة غلق المضيق قد يستدعي تدخلا عسكريا مصريا بعد أن أصبحنا لا نثق في تدخل الأمم المتحدة في الوقت المناسب مع رغبة بعض الدول الكبرى ترك مصر تواجه أخطارها دون دعم دولي وما حدث في ليبيا حديث عهد يوضح المسألة بصورة أكثر بيانا.

وإلى جنوب مصر تتجه أنظارنا لأثيوبيا والجهد المريب الدؤوب المدعوم من عدونا الصهيوني لبناء سد النهضة وماله من خطر محدق لنهر نيلنا شريان الحياة لملايين، وجنوبا كذلك نقترب أكثر من الحدود المصرية حيث السودان الذي تم تقسيمه وإضعافه والسعي من القوى الاستعمارية لمزيد من التقسيم؛ كل ذلك يشكل خطرا حقيقيا ودائما لمصر.

وإذا كانت مصر تواجه خطر عدوها الإسرائيلي وجماعات التطرف والإرهاب على حدودها الشرقية فلم يعد يتبقى سوى حدودنا الغربية مع ليبيا والتي تمتد لأكثر من ألف كيلو متر حيث تنشط عمليات تجارة السلاح والتهريب والإرهاب المسلح؛ وعلاقات نسب ومصاهرة بين قبائل مصرية وليبية تعوق لحد بعيد استخدام الحل الأمني تماما كعلاقات النسب والمصاهرة بين قبائل سيناء قبائل غزاوية فلسطينية. ومن هنا يمكننا أن نفهم لماذا داعش الآن يتم تصدير خطرها إلى ليبيا ودعمها عسكريا واقتصاديا وإعلاميا بهدف جر الجيش المصري للمستنقع الليبي والتي يتم التحضير لتكون ليبيا الأرض الجديدة لتجميع كل الجماعات والمنظمات الإرهابية، على اعتبار أن المنطقة العربية ينفرط عقدها وأراضيها مستباحة للقوى الطامعة فيها.

قدر مصر في هذه المرحلة الحرجة التي يمر بها عالمنا العربي أن تقع بين مطرقة داعش وسندان إيران الشيعية، ولم تعد إسرائيل عدونا الأول والوحيد، السياسة المصرية عليها النظر بعين الحكمة البالغة وبرؤية حذرة ودقيقة لكل خطوة تتخذها أو قرار تصدره، فالتصرفات غير المدروسة لم تعد ترفا يمكن الاعتذار أو التراجع عنها، مع ملاحظة أن كافة هذه الأخطار المحدقة قد تستدعي تدخل الجيش، فمابالنا لو اشتعل خطران أو ثلاث في وقت واحد خاصة وأن نظرية المؤامرة باتت واقعا ملموسا يستعصي على الرفض والإنكار.

وعلى الوعي.. نُراهن

نقترب من ٢٦ مارس لتمر ٣٦ سنة على معاهدة السلام بين مصر وعدونا اللدود والرئيس إسرائيل، بيد أن الاقتراب يختلف هذه المرة؛ ففي كل ذكرى يشتد الجدال بين المؤيدين والمعارضين للاتفاقية، أما هذه المرة واتساقا مع مصطلح " تسريبات " الذي صار شائعا ومألوفا ومتداولا في أيامنا هذه؛ يتم تسريب أمريكي إسرائيلي مقصود ومتعمد لوثائق يُماط عنها اللثام وبنود يُكشف سترها ليندفق شكنا وحيرتنا حول وجوه وزعامات لتتأرجح بين الوطنية والخيانة ،فيقف الفرد مدهوشا بين شعارات سياسية زاعقة وواقع وطني يتمنى أعداؤه لو سرى فيه دبيب الفناء.

في سيناء حيث يشتد وضعها الملتهب وتتقاذفها مخاطر شتى كان ولابد أن يتجدد الألم والكلم حول بنود اتفاقية كامب ديفيد المكبلة للوطن المجردة لسيادته على كامل ترابه كي نمشي بخطو مقيد بقيد عدونا، فهاهي الحملات الإعلامية العالمية تستعر لإبراز البنود السرية للاتفاقية التي لم نعلم عنها شيئا وقيل أن السادات نفسه لم يكن يعلم !والتي مافتيء أحد الكتاب الناصريين ينبه إليها منذ سنوات ولم يلق إلا التسفيه والإهانة، من هذه البنود عدم اشتراك مصر في أى حرب يمكن أن تنشب بين إسرائيل وأى دولة عربية أو أكثر، والتزام مصر بمساندة إسرائيل في الكشف عن المقاومة الفلسطينية وتبادل المعلومات الأمنية بين المخابرات المصرية الإسرائيلية، ومتابعة المفاوضات حول قيام تعاون عسكري مشترك.

كما تكشف البنود السرية عن تنازل القيادة المصرية حينذاك عن ميناء "أم الرشراش" والاعتراف بها "إيلات" الإسرائيلية، وكيف أن الاتفاقية لم تناقش قضية الأسرى المصريين الذين قتلتهم إسرائيل في حرب ٦٧ أولئك الذين مرت الدبابات على أجسادهم وطحنتهم، كذلك تضمن حق عدونا في بترولنا، بل وإعفائه من دفع غرامات أو تعويضات عن ١٥ سنة استغل فيها حقول أبو رديس ورأس سدر النفطية حيث استخرجت إسرائيل ١٦ مليون برميل بترول بما يوازي ثلث الانتاج المصري، كما تعطي البنود لعدونا الحق في الامتناع عن التوقيع على أية اتفاقية أو معاهدة لمنع انتشار النووي، والأدهى أنه لا يحق لمصر إلغاء المعاهدة أو خرقها أو التعديل عليها وإلا تدخلت أمريكا سياسيا وعسكريا ودوليا باعتبارها الراعية والضامنة للاتفاقية !

بنود الاتفاقية ما أُعلن منها وما أُسر يضع الوطن على أرجوحة تتأرجح حسب هوى أعدائنا، وتتيح الفرصة لمن أراد العبث بسيناء وفصلها عن الوطن أن يطمئن بالا بأن الجيش المصري لا يملك حق الانتشار الكامل فيها أو أن تشارك الشرطة في استتباب أمنها.. والحقيقة أن بعض الكتاب والصحفيين تلقفوا البنود السرية والتي تم نشرها وضمنوها في مقالات ودراسات وكتب فانهالت عليهم الاتهامات بالتجسس والعمالة والخيانة لصالح إسرائيل، لنقع جميعا في حيص بيص لا ندري كنه الحقيقة ولا نعلم الصدق من الخديعة !خاصة وأن محاضر جلسات المباحاثات والتي نشرت في الفصل السابع تحت عنوان "خطة الحصان العجوز.. انتهاء دور السادات" تشيرلحوار دار بين السادات وريتشارد نيكسون فحواه أن جمال

عبد الناصر استدعى السادات وأخبره بحتمية السير في طريق السلام مع العالم بما فيه إسرائيل، وحذره من الوثوق بأمريكا وإسرائيل أو حتى العرب أنفسهم، ونصحه بألا يرتمي في أحضان أحد، وأن يحاول التخلص من السوفييت لأنه نوع من الاحتلال الناعم، كما أشارت الوثائق كذلك لتأكيد السادات على أن عبد الناصر أعطاه ١٢ ورقة فيها تصور لبنود السلام مع إسرائيل صارت هي اتفاقية كامب ديفيد مع تعديلات طفيفة !!

الحقيقة لا نعلم مدى صحة هذه التسريبات والوثائق مهما بدت عليها أختام سيادية أمريكية وإسرائيلية ممهورة بعبارة سري جدا، لكني أراها مزيدا من سكب الكيروسين على النار المتأججة فعليا، ولذلك ألمح ملمحين في غاية الخطورة: إحداهما الحملة المستعرة لتشويه زعاماتنا وقياداتنا لينشب عراك حامي الوطيس بين مخالب الناصريين والساداتيين كلا يخون الآخر وقائده ليزداد نسيج الوطن تمزقا ويفقد المواطن العادي ثقته في كل قياداته السياسية التي تولت أمر البلاد؛ لدرجة فوجئنا منذ أيام قلائل بمن يطالب بعودة الملكية والتندم على نزاهة الملك فاروق وآبائه! الملمح الثاني أن كشف هذه الوثائق في توقيتنا هذا تحديدا والمخاطر تحدق بالوطن من كل حدب وصوب، داخليا وخارجيا وعلى حدوده شرقا وجنوبا وغربا، ولا أرى تفسيرا لذلك إلا القصد المتعمد لإضعاف همة الشعب كي يمارس خذلانه للوطن في احرج حالاته ومراحله.

ومع ذلك سواء أكانت تلك التسريبات والوثائق صحيحة أم مزورة؛ فيقيني أن سعي أعدائنا لن يجني إلا هباء؛ فوطننا همنا ووجعنا، واستنهاض همته ومنعه من الانهيار هو إيماننا وعقيدتنا الراسخة، وتنامي الوعي

ووضوح الرؤية خاصة للنشء الجديد بأن عدونا الرئيس هو إسرائيل ومن يدعمها مهما توارت أو حاولت ألا تبدو في المشهد.. هذا الوعي هو الذي نراهن عليه، وعي بدأ وامتد واشتد عوده منذ أن زُرع ذلك الكيان البغيض في أعز وأقدس بقاعنا وبقاع المسلمين.. هذا الوعي يستدعي قيام السياسيين والقانونيين والعسكريين ببحث موضوع سيناء وما يتهددها من مخاطر؛ فلابد أن هناك مخارج عدة تجعل الوطن يبسط سيادته على ربوعه كافة حتى آخر حبة رمل فيه.

تحضرني كلمات الشاعر المتمرد أمل دتقل عقب توقيع اتفاقية كامب ديفيد أسمعه يقول: لا تصالح ولومنحوك الذهب.. هل يصير دمي بين عينيك ماء؟.. ء تنسى ردائي الملطخ؟.. لا تصالح على الدم.. ولوقيل رأس برأس..ء كل الرؤوس سواء؟!.. ء قلب الغريب كقلب أخيك؟!.. ء عيناه عينا أخيك؟!.. وهل تتساوى يد سيفها كان لك بيد سيفها أتكلك؟!.. سيقولون: هانحن أبناء عم.. قل لهم: إنهم لم يرعوا العمومة فيمن هلك.. لا تصالح ولو توجوك بتاج الإمارة.. كيف تنظر في يد من صافحوك فلا تبصر الدم في كل كف ؟!.. كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام وهويكبر بين يديك بقلب منكس ؟!.. غدا.. سوف يولد من يطلب الثأر.. ويقول الحق.

البحر سيعود ثانية

ولأن حبس الدمع أوجع من سكبه؛ فقد قرر العاشق المخدوع – بعد ٢٥ سنة من مرافقة ألمه المتسكع في حنايا روحه – أن يسكب دمعه الهتون على دفاتره؛ فإذ بها تزدهي بحرفه الألِق البهي؛ ليكتشف أن نهور حروفه وكلماته لم تكن لتجف؛ وإذ بنا أمام قصة بديعة اندفقت في لحظة روعة ساحرة لتنبؤه نفسه عن مكنونها ودرها المخبوء، ولندرك أن الآلام الروحية الممضة أشد أنواع الأزمات وجعا للمبدع، لذا فالإبداع كما يقولون وليد الألم.

القصة بدأت حينما أدرت مؤشر المذياع لأنصت – للأسف – للجزء الأخير من حوار مع مبدع فلسطيني كان ضيفا على إذاعة بي بي سي العربية من لندن؛ لذا لم أستطع معرفة اسمه ،ما فهمته هو أن الضيف كان صحفيا ثم انضم لصفوف المجاهدين وانقطع مدة ربع قرن عن الكتابة، أثناء تلك الفترة صادف عشقه فخاله قصة عمره وإذ به حلم بسراب؛ فقد غدرت الحبيبة وغادرت تاركة قلبه كسيرا، فاجتاحته موجة من الكآبة وظل طوال تلك المدة يسائل نفسه عن سبب هجرانها، ولما لم يلف جوابا؛ أمسك يراعه وسكب ألمه على ورقه وأفاها بسؤاله الأبدي "لم تركتني حبيبتي"؛ وبدلا من أن تأنس روحه برد الحبيبة ليبلسم كنوز حزنه المخباة وتهدأ أنّاته؛ تلقفت وسائل الإعلام والقراء والنقاد قصته؛ لتكشف عن نفس الكاتب الزاخرة بفيوضات الإبداع، فيحصد شهرة يستحقها

وتستحقه، ولتبزغ شمسه بعد أن وجد "اسطورته الشخصية" عقب أن لاذ طويلا بوحدته حتى اعتراه اليأس؛ فيالَذاك الاكتشاف.

كل منا معرض لأن تبتئس نفسه، ويدور رحى حرب التشاؤم داخله، ولذلك تحضرني مقولة "باولو كويلو" الروائي العالمي مفادها أن تحقيق الذات هو الالتزام الوحيد للإنسان على سطح الأرض وهو مايطلق عليه "الأسطورة الشخصية "، قد تتوتر النفس ويعتريها اليأس لمضي قطار العمر ويهيء لنا أنه يتوجب علينا استقبال نهايات العمر، فإذ بنا من حيث لا نحتسب تاتينا لحظتنا السحرية لنبدأ من جديد، ولنحيا كل سِنَة في حياتنا بقدر سنوات خلت، فنكف عن اجترار الندم ونتشيث بما هو آت، ويرى "كويلو" أنك إذا رغبت في تحقيق شيء وهزمت خوفك وامتطيت شجاعتك فإن العالم كله سيطاوعك، وأن المجازفة لابد منها، وأن السفينة وإن كانت آمنة على الشاطئ إلا أنها ليست من أجل ذلك صُنعت.

لا تلوذ بوحدتك بل اعشق الحياة وأقبل عليها بنهم وشغف واشتياق فمن أجلها خلقنا ليسطر كل منا سطره الخاص فيها وليتقنه ليحقق معنى فلسفة وجوده، ولتبحث عن كنز حلمك الخاص وقد تجده تحت ناظريك أو مخبأ في وجدانك، لكنه يحتاج منك فقط لإزالة الأتربة من عليه كما نزيلها من فوق القطع الكريستالية فليتمع بهاء بريقها ويسطع كما سطع نجم ذلك الكاتب القاص الفلسطيني، ولنوقن أننا قادرون علىاجتراح المعجزات لأن الله قد نفخ فينا من روحه القدسية.

فلتشبث بالأمل وإن خالطه الألم تماما كَنَبت الفيافي تتشبث بالحياة رغم معاناة العطش، لنثق أن كل يوم جديد هي دعوة إلهية لنحيا ونكتشف

جمال الحياة ونتناغم معها لا أن نغادرها، ولنكن كبطل رواية "الخيميائي" الذي كلما عثر على صدفة في الصحراء وضعها على أذنه يتسمع صوت البحر داخلها؛ موقنا أن البحر سيعود ثانية ليغمر الصحراء ولتنعم الأصداف بروعة اللقاء، فليبحث كل منا داخل خبايا نفسه عن صدفاتها ولألئها المخباة في أعماقها، وليجذب كل منا مرساته مبحرين نحو إدراك دورنا الحقيقي في الحياة.

obeikandl.com

قلب العصفور

تضرب لنفسها موعدا لا تخلفه كل يوم مع مفكرتها لئلا تفقد روحها، وبقلم مطواع يُخضع قلب الورق الأبيض لرغبتها وسطوتها حانيا راضيا مستأنسا منسجما ومنصتا لأتون شتات أفكارها ونثرات حروفها وشذرات نفسها ومعارج روحها؛ لتلقي بكلمات ليست كالكلمات ولا تبالي، هاذية مرة متعقلة أحيانا لاهثة مبهورة الأنفاس مرات ومرات؛ تبغي أن تلقي بحمل ناءت بها دروب النفس، وليبح القلم بما يبوح، معاهدة نفسها أنها لن تقرأ ما ستكتبهوكأن شيئا لم يكن اتقاءً لتعرية الروح، ولأن فعل الكتابة عندها ترجمة لما يشغلها ويِئِنّها ساعة تجد نفسها تتواثب فيها كائنات وخلجان نبض وأحاسيس قلقة، ولا يشغلها مايود الناس قراءته أو سماعه؛ فتلك هي لحظتها الخاصة حين تطلق خباياها وماتُكنّه.

تمارس التنزه على ورقها كي تهدأ نفسا وتقر عينا، لتجابه وحشة نفسها وخيالاتها، بعد أن نزل الألم يتسكع في الحنايا ليشتد ظمؤها للراحة من معاناة أوجاع ممضة، فارتأت أن تلوذ بوحدتها ولتحتبس روحها في ثنايا صمت شغوف؛ صمت أيام وسنين أوهمتها أنها تحيا؛ وحين لاذت بالقلم إذا بالصمت يتمزق، وينكشف سرها وما تخفي ليفصح وعيها هاتفا "ريثما يكون الحب تكون الحرية" فحين نمنح ذواتنا كلية نكون أحرارا لأننا نمارس المنح والعطاء باختيارنا لا مجبورين ولا مقسورين، مازالت تدرك أن الحب وخلال فترة يسيرة قادر على أن يغير الأشياء والحياة وكل ماحولنا

لتصطبغ بلون البهجة؛ يفعل فعلته الجميلة هذه واثقا من تفوقه على قدرة السنين والحكمة المتعقلة على التغيير، تؤمن أن الحب فزعة الأمل ووثبة لمقاومة عجز المشاعر وومضة تتلقفها الحياة لتزدان وتُشرق وتزدهي.

طفقت تعطي دون أن تنتظر ثمنا، وكيف تنتظر؟ وهل هناك مايضاهي متعة العطاء في ذاته؟ فالعطاء بلذته هو الفعل الإنساني الحقيقي الذي تعتاش وتغتذي منه البسيطة التي يحيا عليها البشر أو هكذا يجب، لكنها لم تنتبه لنوع من الناس حين يعتاد على الأخذ يعتبرالعطاء فرض عين على صاحبه يُلام حين يقصر أو يتهاون أو تفتر عزيمته؛ بل يسعى لامتلاك صاحبه طمعا في حصاد الثمر الوفير؛ وبعد أن يتملكه يلقي عليه بأغلاله وقيوده لا بمحبته ووده؛ بل ولا يبادله عطاء بعطاء؛ لحظتئذ تتساءل النفس المعطاءة المقيدة أحقا تمارس حياتها ووجودها بحرية أم تتظاهر بأنها تعيش؟ يمر الوقت؛ تتعثر نفسها في إيجاد جواب يبلسم سؤالها المضني، ينضب معينها يفتر حماسها تفقد بهاءها ساعة تدرك أن من ينتظر منها الحب والعطاء دوما أبى أن يقاسمها هموم الروح وأتراح النفس، فأدركت أن الدهر لم ينصفها.. تراه الدهر الذي لم ينصفها أم أنها هي التي ظلمت نفسها بنفسها ؟!.

متى نتنبه أنه في ظل سعينا الدؤوب عن النصف الآخر لتكتمل أرواحنا يتوجب أن نتسلح بالكنز الحقيقي، كنز القلب الذي يحوي حبا حقيقيا يدفع الطرفين للأمام لا طرف دون الآخر، حبا يدرك أن كل يوم جديد يأتي هو دعوة إلهية كي نحياه لا أن نغادر هذا العالم، ترنيمة عشق تأبى إلا أن تتلمس الجمال في كل ماحولنا وتتناغم معه، لذا حين نفوز بمن هو قادر على الحب والعطاء ويستطيعه؛ حذاري أن نلقف روحه وعقله وقلبه

وإرادته مستحوذين عليها؛ نوهم أنفسنا أننا بذلك نفوز بالحب كله، وإلا نصبح كمن فتن ببلبل مترنم في رحابة الفضاء؛ فحبسه في قفص مزدان، فإذا بالطير يفقد بهاءه ورونقه وألقه، ولو أنا تركناه يسبح محلقا هائما يعود ويروح حرا طليقا لكسبنا وده ولتواصل مدده، فامتلاكه للطائر أفقده الاهتمام به ولذة انتظار تغريده، وسمح للألم السادر في غيه أن يملأ دروب قلب العصفور الصغير بخلايا حزن.. لتبدأ روحه فناءً بددا

obeikandl.com

يجوبان العالم على دراجة بخارية للترويج لمصر

يظل الوطن همهم ووجعهم لن يبرحهم حتى يغدو فرحهم وحبورهم، شبابنا باتت مصر وأحزانها تطرق أبواب قلوبهم وهم يرون احوالها الاقتصادية تصفع الملايين بقسوتها في المدن والقرى والنجوع، اهتدت عقولهم الفتية إلى أن السياحة والدعوة للاستثمار في مصر والتأكيد على أن ربوع الوطن آمنة وأن الإسلام ينبذ العنف والكراهية ويدعو إلى أسمى معاني الإنسانية هي الطريق الناجع وبوابة الحياة الرغيدة المرفهة التي يستحقها شعبنا.

عمر منصور فردي محامي سكندري وأول رحالة مصري يجوب مصر وإفريقيا وبعض دول أوربا على دراجته البخارية بجهده الذاتي ونفقاته الشخصية، طارق المصري مهندس من طنطا يعمل في مجال السياحة والسفاري.. شابان يحلمان معا ويقرران تنفيذ الحلم، يودان ان يطوفا بالمحافظات المصرية لتصوير كنوز ومعالم مصر السياحية المعروفة وغير المعروفة والحصول على الدعم الشعبي لأجل الترويج لمصر عالميا في مجال السياحة وتسجيل اسم مصر واسميهما في الموسوعات العالمية المختصة، على أن تبدأ رحلتهما بالمملكة العربية السعودية لأداء العمرة ثم التوجه للكويت فالبصرة بالعراق ومن بعدها تركيا فجنوب أوربا ثم شمالها حيث روسيا ومنها إلى فرنسا وعبور الأطلنطي إلى حيث ألاسكا وكندا وأمريكا بولاياتها لتنتهي الرحلة بأمريكا الجنوبية وصولا للأرجنتين.

تقدر مسافة الرحلة بنحو ٢٠٠ ألف كيلو متر تستغرق ١٥ شهرا وقد تزيد قليلا طبقا لاختلاف الأحوال الجوية بين القارات المختلفة وطبيعة المناطق الصحراوية والغابات والمناطق الجليدية التي سيمرون بها، يحتاجان في رحلتيهما دعما لوجيستيا من وسائل الإعلام المختلفة ورجال الأعمال وأصحاب الشركات لتغطية نفقات الرحلة، ويريان أن العالم المتقدم يقدر الجهود الفردية وجهود الرحالة وتعتبر خير دعاية للبلد.. وكانت قناة الجزيرة الوثائيقية قد عرضت على الشابين تمويل رحلتهما لأنها تهتم بهذه النوعية من الأفلام الوثائيقية؛ إلا أنهما رفضا وأصرا على أن يكون دعم الرحلة مصريا خالصا، فهل نجد من يرعى طموح هذين الشابين ؟

obeikandl.com

محور الشر وحديقة الطمأنينة

"محور الشر" عبارة ترددت على لسان الرئيس الأمريكي جورج بوش في خطاب ألقاه عام ٢٠٠٢ واصفا كل من إيران والعراق وكوريا الشمالية، لأنها – من وجهة نظره – تدعم الإرهاب وتسعى لامتلاك أسلحة الدمار الشامل، ومن بعدها بدأت وتائر ماسمي ب "الحرب على الإرهاب"، ووصف كوبا وليبيا وسوريا بأنها بلاد ما وراء محور الشر، ثم أقحم السودان في نفس الشأن، ثم زاد على كوبا تحديدا بكونها "ركائز الاستبداد" مضيفا لها روسيا وزيمبابوي وميانمار.

اليوم – في عهد أوباما – أضحت إيران وبرنامجها النووي "مصدر نعيم وطمأنينة العالم"، وبات رفع العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها قاب قوسين أو أدنى، وأوشكت الأمم قاطبة أن تتداعى عليها استثمارا واستوطانا ينشدون مكسبا وربحا ومستقرا إلى حين، في بلد قوي يتمتع بشخصية صعبة المراس لم يخضع لتفكير وعقلية العم سام، لإيمان إيران الدولة بقدراتها الاقتصادية ومزاياها الجغرافية وحدودها المترامية الأطراف ودورها الرئيس كلاعب دولي هام.وامتلأت وسائل الإعلام العالمية بصور أوباما يهاتف الرئيس الإيراني روحاني بابتسامة عريضة أعرض من شاشة التلفاز نفسه.

أما كوبا "الحديقة الخلفية لأمريكا" – كما بدأت وسائل الإعلام الأمريكية تردد ذلك الوصف – نرى أوباما يصافح راؤول كاسترو في

بنما منذ أشهر قليلة، وعلى الفور تقام الترتيبات والتجهيزات مدة أربعة أشهر والتي أوشكت على الانتهاء؛ ليعاد تطبيع العلاقات ثانية بين واشنطن وهافانا ليقطفا معا ثمرة تفاهمهما المشترك وحوارهما "البناء جدا" على حد تعبير مسؤول رفيع المستوى بالخارجية الأمريكية، وفي ذات التوقيت تعلن كوبا بكل وضوح وشجاعة أنها لن تغير نظامها الشيوعي، وأوباما يؤكد على أن أمريكا يتوجب عليها أن تحترم نظام كوبا السياسي وأن قرارته بالنسبة للعلاقات بين الدولتين هي الأهم على الإطلاق، وكيف أن الاقتصاد الأمريكي سينتعش بفتح أسواق كوبا تصديرا واستيرادا وفرص للاستثمار في مجالات البناء والمقاولات في بلد هي الحليف والعمق الاستراتيجي الطبيعي لأمريكا على حد وصف أوباما.

ساعة ننظر لبقية القائمة الأمريكية لدول الإرهاب ومحور الشرفيما يخص عالمنا العربي ؛نجد العراق وليبيا وسوريا والسودان والتي أصبحت دولا فقط على الخريطة بينما الواقع الفعلي يشي بغير ذلك، أعود ثانية وأتساءل لو كانت تلك الدول الأربع مازالت قائمة اكانت هناك ضرورة أمريكية ملحة تجعلها تشطبهم من قائمة الإرهاب كما فعلت مع إيران وكوبا؟ دعونا نقارن بين حوارات ومصالح تبودلت وتمت مقايضتها بين كلا من أمريكا وإيران، وأمريكا وكوبا، أعقبها كسر قيود تلك الدولتين وتحسين صورة أمريكا أمام العالم بأنها دولة تسعى للتآلف والتعاون مع كافة دول الدول المختلفة المشارب سياسيا واقتصاديا وعقائديا.

ترانا لو كنا مكان إيران وكوبا ءتسعى أمريكا كما سعت إلي هاتين الدولتين؟ بالقطع لا، ولكن لم لا؟ هل لأننا لا نجيد فن التحاور ولا نعرف

معنى التفاهم؟ هل لأننا نشعر بذل داخلنا فخضعنا لأمريكا وأصبحنا لا نحرك ساكنا بدون رأيها أو بالأحرى أوامرها ؟هل لأننا دول لا تلتزم عهدا ولا ميثاقا؟ هل لأن ذواتنا النرجسية منتفخة فصرنا يُهيأ لنا أن العالم يجب أن يخضع لعبقريتنا المكانية وجغرافيتنا المترامية وهدايا السماء لنا بأن جعلت بلادنا مهبطا للديانات دون حول منا ولا قوة؟ هل نحن دول محورية مؤثرة في السياسة والاقتصاد العالمي بشكل فعال؟ هل نجيد استخدام الأوراق المتاحة بين أيدينا بكفاءة عالية كما تفعل إيران؟ هل نهدد الأمن والسلم العالمي إذا قطعتنا دول العالم كما تفعل كوبا؟ هل نؤثر في العالم تكنولوجيا ولنا بصمة واضحة في مجال العلم والمعرفة؟ هل شعوبنا تتمتع بمهارات عالية بحيث يمكن أن نشكل إضافة هامة لمن يود أن يتعامل معنا ويُضار لو ابتعد عنا؟.. بكثير من الأمانة والوضوح والصراحة مع الذات سنجد أن الإجابة على كل تلك الأسئلة هي: لا، فقط وسائل إعلامنا المتشدقة بأننا شعوب لم يأت الدهر بمثلها وأننا مكسبا ومغنما لمن يودنا هي التي ستجيب بنعم.

لا تظنوا أني من هواة جلد الذات، لكني أسعى لنتبصر أحوالنا بهدف تطهير الجرح لأجل شفائه، أدعو لننظر لخريطتنا المهلهلة وشعوبنا الممزقة، فقد تولينا إضعاف أنفسنا بأنفسنا وتمزيق بعضنا بعضا، وقتل وإبادة جنسنا العربي بصورة فاقت ما فعله الاستعمار بنا وكأننا ننتقم منه فينا، أعتقد أن علم النفس ذاته مدعو لتفسيرنا كظاهرة غريبة، إذن مايضير العالم أن يدير لنا ظهره ويولينا الأدبار فرارا من هكذا شعوب همجية، ليواصل نجاحاته وتكتلاته الاقتصادية والسياسية للرقي بمستوى شعوبه، ولسان حال دول

العالم تقول عنا: دعهم يتشرزمون ويتشيظون ويعيدون سيرهم الأولى؛ قبائل بدو ترعى أغنامهم الكلأ ، ينصبون خيامهم وحين تجدب الأرض ويجف المطر والضرع يرحلون، وفي الليل يتسامرون ويرقصون شاهرين سيوفهم ويتغنون: امجاد يا عرب أمجاد.

obeikandl.com

الثوري بين التبجيل والتقبيح

الثورة والثوري والفعل الثوري؛ مصطلحات كانت حتى الأمس القريب جدا يجللها الاحترام والتقدير، وكانت البلدان الثائرة تتيه وتزدان بتاج الزهو والفخار، وتتمنى الشعوب الأخري بأن تحذو حذوها، ولكن في الفترة الأخيرة ونظرا للآلة الإعلامية الموجهة وأغراض البعض غير المترهة وتباين المصالح التي أدت لإهدار قيمة البشر وحقهم في الحياة الكريمة؛ شاهت تلك المصطلحات وقُبحت معانيها، واتهم مرددوها بالخيانة وفقدوا سمت البطولة.

أحاول أن أنسى الأربع سنوات العجاف الفائتة على أمتنا العربية بحلوها ومرها والتي بكثير من القصد وسابق إصرار عمدت لتشويه لفظة ثوري؛ وأتمنى أن أعيد لها جلالها وبهاءها وقدسيتها، وقت أسأل نفسي عن الثوري أراه ببساطة هو كل من يقول "لا" مجابهاتاريخ الإنسانية الحافل بالقتل والظلم والعنف، يقولها ضد الصمت المُمِض الذي يزيد الظالم ظلما، هو كل من يبحث عن مسوغات وجودنا وتتواثب روحه ونفسه وقناعاته بألا يترك الظالم سادرا في غيه، هو كل من يدفعه عشقه للحياة إلى ألا ييأس وأن ينصت لأولئك الذين يصرخون معلنين ازدرائهم ونبذهم وكراهيتهم للعنف ومريديه، هو كل من يصرخ في وجه المستكينين الذين لايستطيعون الفكاك من آلام العبودية فيتواءمون معها ويحيونها محبطين مرغمين جراء سلبيتهم.

الثوري هو كل من يبحث عن قيم الأخلاق والإنسانية والعدالة والحب لتكون فلسفته الحياتية، ويصر على أن قيم الجمال والفن والدين يتوجب عليها أن تجمل حياة نستحقها، الثوري هو من يلون الدنيا بفرشاة الحرية فيتمرد على القبح ويؤمن بقدرته على التعبير والتغيير؛ معلنا أن أولى مهام عاتقه غرس الأمل والتفاؤل، وأن من يسعى لتحطيم من حوله لن يتوانى عن أن يحطم ذاته، وأن الشعوب التي ترضى بالعيش تحت نير حاكم ظالم يمارس استبداده بحريته هي شعوب تستحق ذلك لأنها نفسها تمارس نفس الاستبداد مع فارق واحد هو أنه يمارس استبداده صراحة وعلنا؛ بينما هى تمارسه خفية وسرا تأسيا به؛ فالناس على دين حكامها. بينما الثوريون تتوق أرواحهم ويشتد ظمؤها للخلاص.

الثوري هو من لا يفلسف نظريات الحاكم المستبدة ويُلبس تصرفاته مسوح البراءة والتبرير؛ ولايقبل العبودية لأنها تعني الهبوط من مدارج الإنسان إلى دركات الحيوان الذي خُلق وسُخر للخدمة والمطية، هو من لا ينشد عالما خاليا من القتل؛ بل عالما لايُبرر فيه القتل ولا يُقتل فيه إنسان بغير وجه حق.يدرك أننا جميعا نحمل نفوسا مليئة بالمفاسد والجرائم ولكن مهمتنا محاربتها وتحجيمها لا أن نطلق لها العنان في وجه الأخرين ونفسد في الأرض ونسفك فيها، موقنين أن الهدف الذي يتحقق بوسائل غير أخلاقية ليس بهدف لأنه فقد معنى النبل.

الثوري يرفض تغبيش الوعي وإضعاف الإرادة وتغييب المقدرات وتشويه القدوات، ويرى أن البشر جديرون بالسعادة، وأن الحياة تستحق أن نحياها لا أن نقتلها ونقتل أنفسنا معها، بل يبحث عن حياة مفعمة بالأمل والعمل

والجمال، ويدرك أن التمرد على كل ماهو قبيح وظالم يولد الوعي، وأن الطريقة الوحيدة لامتلاك الإرادة هو أن تكون حرا ؛ وكما يقول ألبير كامو المفكر والأديب والناشط الثوري حتى الممات " فلنَمُت متمردين خير من أن نَمُت مستسلمين، التمرد يضفي على الحياة قيمتها، وليس هناك أجمل من منظر إنسان معتز بكبريائه مرهف الوعي بحياته وحريته وثورته"..

obeikandl.com

٢٠ ألف "شتيمة" الكترونية !!

منذ ثورة ٢٥ يناير ونحن نتعامل معها كمشجب نعلق عليه كل ظاهرة سلبية تفشت في المصريين؛ ومنها سوء الأخلاقيات وتفشي البذاءة حتى أصبحت آذاننا كسلة مهملات يلقى فيها كل يوم قبيح الكلمات والمعاني، فهل الثورة فعلا هي السبب؟ أم أن المصري بطبعه شعب بذيء؟ فأينما تولي وجهك تجد ألفاظا غير لائقة سبا وقذفا وشتما تعج بها صفحات التواصل الاجتماعي يتمترس أصحابها خلف شاشاتها ثم يتراشقون بأقظع العبارات دون سقف يحمل معنى العيب أو الحرام؛ حتى رصدت إحدى الدراسات نحو ٢٠ ألف لفظ بذيء يتم تداوله عبر الشبكات العنكبوتية ؛كترجمة حية وصورة منسوخة مما يتم تداوله في وسائل الإعلام والمواصلات والشارع والمؤسسات والمحاكم والمنابر السياسية بل والدينية وفي المقاهي أما النوادي والأحياء والمدارس التي يرتادها الصفوة – كما يسميهم البعض – وأبناؤهم فتعدت إلى استخدام ألفاظ جنسية على سبيل المزاح أو الإهانة والتحقير!

الموضوع جد خطير؛ استوقفني كثيرا فرحت أبحث في التاريخ القديم والحديث لسبر أغوار النفس "المصرية" بدأت ب "هيردوت" العاشق والمؤرخ للمصريين فهالني وأنا أقرأ قوله "من عادة المصريين المجون والألفاظ البذيئة الفاضحة، حتى أنه في عيد الإخصاب كان المصريون القدامى يحتفلون بتماثيل ضخمة تحملها النساء على هيئة أعضاء تناسلية

ويتغنون بأوزوريس إله الإخصاب، بينما يتبادل الرجال المحتفلون الأنخاب والنكات الجنسية" وكيف أنهم اتصفوا بالبذاءة وسلاطة اللسان والسخرية اللاذعة والفحش في القول، لكنهم كانوا يتحرجون من إهانة المرأة بألفاظ جنسية باعتبارها مقدسة كالدين تماما، لكن إهانتها بدأت منذ عصور الحريم وتحديدا في عهد الدولة العثمانية، حين تراجعت قيم احترام المرأة بانتشار عادة اقتناء الجواري.

البذاءة طالت الإعلام والأدب والفن وصارت وسيلة جديدة للشهرة! كذا في الحوارات والنقاشات اليومية العادية بين الناس وأصبح المصري ماهرا في خلق معارك لفظية تنتهي في كثير من الأحايين إلى عنف جسدي واستخدام آلات حادة وكثيرا مايصل إلى مرحلة القتل، ولأن البعض يعتقد دائما أن الزمن الماضي "الجميل" كان يغلفه الرقي والجمال ولا يدار إلا بالمنطق والعقل والحكمة؛ فإذا بالتاريخ حافل بسجل معارك بين أدباء ومفكرين وفنانين وصحفيين شهدت شتائم وإهانات خاصة بين المختلفين سياسيا من اليساريين والشيوعيين من ناحية والمتشددين من ناحية أخرى.

هل وجود الشتائم تدل على أننا شعب "قليل الأدب"؟ وما معنى انتقالها إلى الفن والأدب؟ حتى طريقة معاكسة الفتيات تحولت من مجرد بضع كلمات والفاظ هادئة تحمل أوصافا استعارية إلى تحرش لفظي وجسدي وخدش للحياء والعفة وهتك للأعراض، وأصبحت أماكن بعينها تحت مستوى الشبهات كالنوادي وقاعات السينما والمسرح بسبب نوعية مرتاديها، أما شبكات التواصل الاجتماعي فحدث ولاحرج حيث الكلام فيها يطول. وهنا يرى المختصون في الطب النفسي وعلم الاجتماع أن

الشتائم جزء من الثقافة؛ موجودة عند كافة الشعوب؛ أما حين تتحول لدى شعب ما إلى حالة دائمة فتعتبر مرض وتعبير عن أزمة لا يمكن فصلها عن الكبت السياسي وضيق الحريات والنشر والتعبير والشعور بالاحتقان، ومعبرا عن ضيق الشعب من أزماته التي يحياها من زحام وضجيج وتلوث وظلم وعنف جسدي وفقر ومرض وتدني مستوى التعليم ومعايشة الفوضى واستهانة بقيمة الفرد كإنسان يجب تكريمه، والتفرقة في التعامل وعدم المساواة؛ مما يجعل الشعب يبدأ بالتندر على نفسه والسخرية منها ثم إهانتها كطريقة لجلد الذات لأنها قبلت الإهانة بسبب خنوعها، يليها إهانة كل ماهو مقدس "المرأة والدين وثوابت القيم والأعراف" حتى تصبح سمة أساسية وثقافة حياة معاشة.. فهل تصبح تلك البذاءات عرضا ينتهي بانتهاء مسبباته أم تبقى لتصبح سمة وثقافة لشعبنا؟!

obeikandl.com

الفهرست

الموضـــــــــــوع	الصفحة
١. إهـــداء	٣
٢. شكر وعرفان	٥
٣. الأولة.. آه يا وطن	٧
٤. احنا شعب وانتوا شعب	١٠
٥. التسامح..الفريضة الغائبة	١٢
٦. من النيل.. إلى الفرات	١٣
٧. كفانا قبحا	١٨
٨. نشكر.. إنسانيتكم	٢١
٩. في تهذيب النفوس	٢٣
١٠. تخلفنا.. يشغلهم !!	٢٥
١١. الخاطبة	٢٨
١٢. وطننا عشقنا	٣١
١٣. كارين بولنس العاشقة	٣٣
١٤. قبائل الآكان	٣٥
١٥. الاحتفال بالصندوق السحري	٣٦
١٦. بتحبيني يا هدير ؟	٣٨
١٧. زمان الوصل بالأندلس	٤٠
١٨. حديث الكراهية	٤٣
١٩. كيف نصلح المعادلة ؟	٤٥
٢٠. ليته لم يبح بسره	٤٧
٢١. لو لم أكن مصريا لحمدت الله على ذلك	٥٠

obeikandl.com

٢٢. يا أمة تعرت	٥٣
٢٣. إلى صديقي المتفائل وسط مواكب المحبطين	٥٥
٢٤. "توشكري يا أستاذة يا بنت مصر يا مجدع"	٥٨
٢٥. الدود يأكلنا أحياء	٦١
٢٦. كان يا حبة عيني جعان .. يا ضنايا	٦٤
٢٧. أسارى لعنة الكراكيب	٦٧
٢٨. عذرا يا حبيبي	٧٠
٢٩. الآن.. الآن يا وطني	٧٣
٣٠. ممكن تشرشحي شوية ؟	٧٦
٣١. جناة أم ضحايا ؟	٧٩
٣٢. وا بغداداه	٨٢
٣٣. الغرفة ٦١٦	٨٥
٣٤. حنظلة في غزة	٨٨
٣٥. أخيرا.. اتحد العرب	٩١
٣٦. حدوتة قبل العيد	٩٤
٣٧. السمكة الفاتنة	٩٧
٣٨. إعلام زليخة	٩٩
٣٩. القراءة للجنين	١٠٢
٤٠. الخنزير هو الحل	١٠٥
٤١. وطن بطعم الشَتات	١٠٧
٤٢. سنة أولى حب	١٠٩
٤٣. إعلام "سرجون" العظيم	١١٢
٤٤. سبتمبر الشعر والحب والمطر	١١٥

obeikandl.com

٤٥. "حابي" المتأنق الطيب	١١٧
٤٦. متفائلون ومتشائمون	١٢١
٤٧. مَن للجميلة؟	١٢٣
٤٨. بلقيس.. يا وجعي	١٢٦
٤٩. قل إنصاف ولا تقل تحرير	١٢٩
٥٠. من بدأ المأساة لن ينهيها	١٣١
٥١. الانتحار الاستعراضي	١٣٣
٥٢. تحية إلى معلمي	١٣٦
٥٣. حين يخون العاشقون	١٣٩
٥٤. "عودوا من حيث أتيتم"	١٤٢
٥٥. لا وقت للحب ؟!	١٤٤
٥٦. زهور ربيع منسية	١٤٦
٥٧. اهدموا سرادقات العزاء	١٤٩
٥٨. للرجال فقط	١٥١
٥٩. في انتظار عودة الوعي	١٥٣
٦٠. الفساد كلمة السر	١٥٥
٦١. قضية أمن قومي	١٥٨
٦٢. التهمة "متلبسة" بمشاهدة التليفزيون	١٦١
٦٣. أنا الحرة فاتبعوني	١٦٤
٦٤. يوم أخير لنا	١٦٦
٦٥. ترنيمة عشق	١٦٩
٦٦. اطلبوا الحكمة ولو في الصين	١٧١
٦٧. خُدعت باسم الهَوى والعشق	١٧٤

obeikandl.com

٦٨. بلادنا أقرب لداعش من حبل الوريد	١٧٧
٦٩. يسحبون مصر للمستنقع الليبي	١٨١
٧٠. مزرعة الحيوانات	١٨٤
٧١. مصر بين مطرقة داعش وسندان إيران	١٨٧
٧٢. وعلى الوعي.. نُراهن	١٩٠
٧٣. البحر سيعود ثانية	١٩٤
٧٤. قلب العصفور	١٩٧
٧٥. يجوبان العالم على دراجة بخارية للترويج لمصر	٢٠٠
٧٦. محور الشر وحديقة الطمأنينة	٢٠٢
٧٧. الثوري بين التبجيل والتقبيح	٢٠٦
٧٨. ٢٠ ألف "شتيمة" الكترونية !!	٢٠٩

obeikandl.com